ك. م. مونشي

كريشنا

الأسطورة الهندية

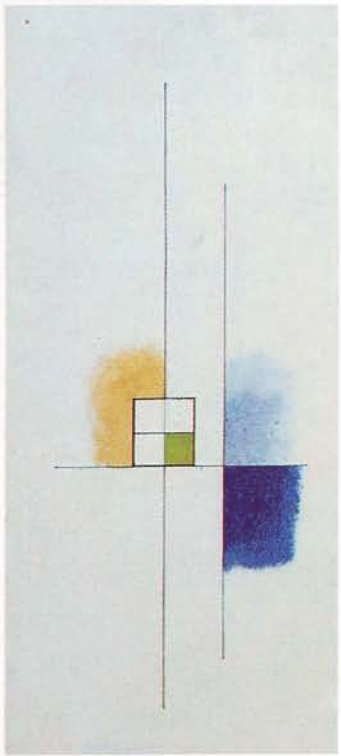

ترجمة: رعد عبد الجليل جواد

دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا - اللاذقية - ص.ب 1018 هاتف 422339

تصميم الغلاف : ناظم حمدان

كريشنا الأسطورة الهندية

كريشنا الهندي هو صنو مردوخ البابلي وزيوس الإغريقي. ولكريشنا مكانة خاصة في الديانة الهندوسية التي تجاوزت الهند لتصل إلى أمريكا وأوربا، وفاق من يعتقد بها في العالم على المليار.

لقد عكفَ مؤلف هذا الكتاب قرابة عشرين سنة على دراسة مختلف الحكايات والروايات المكتوبة والشفاهية للوصول إلى هذه الصياغة الدقيقة والمتألقة لسيرة كريشنا، والتي تعانق الأسئلة الكبرى للوجود والحاجات الروحية للإنسان.

وإذا كانت دار الحوار قد أصدرت الترجمة العربية لـ (الكتاب الهندي المقدس: الباجافاد جيتا) فالمأمول أن يكون ذلك، مع هذه الترجمة للأسطورة الهندية «كريشنا» مساهمةً في تقديم كنوز الفكر والخيال الإنساني.

www.alkottob.com

◆ كريشنا: الأسطورة الهندية
◆ تأليف: ك. م. مونشي
◆ رعد عبد الجليل جواد
◆ جميع الحقوق محفوظة للناشر©
◆ الطبعة الثالثة 2007
◆ الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع
سورية ـ اللاذقية ـ ص. ب: 1018
هاتف وفاكس: 963 41 422339
البريد الإلكتروني: Soleman@scs-net.org

تم تنفيذ التنضيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار
تصميم الغلاف: ناظم حمدان

ك. م. مونشي

كريشنا
الأسطورة الهندية

ترجمة: رعد عبد الجليل جواد

الحوار

www.alkottob.com

المحتويات

تقديم 9
زواج فاسوديفا من ديفاكي 13
غضب كامسا 16
كامسا يعد خطة 19
اكرورا الورع 23
مأزق كامسا 27
نبوءة فيدافياسا 31
الزمن يجرب قرب هاستينابورا 34
ناندا يزور ماثورا 40
ولادة بالاراما 45
الطفل الثامن 50
استراتيجية كامسا 55
تمت تسميته كريشنا 61
الخالة بوتانا تذهب إلى جوكول 66
ترينافريت 77
لهو كريشنا 85
بماذا شعرت النسوة بخصوص ملابسهن 91
معجزة الشجرتين المتماثلتين 97

صدر هذا الكتاب باللغة الإنكليزية بعنوان:
Krishna Vataral The Magic Flute

وقد نشرته دار: Bharatiya Vidya Bhavan
Bombay - India - 1983

www.alkottob.com

فاسوديفا وديفاكي يعودان إلى ماثورا 106
رادا 116
حيث تمر السنون 125
المغامرة المجنونة 129
كاليا حية المستنقع المسمم 137
خطبة رادا 154
عودة إيان من الحروب 154
رفع جوفرظان 160
موت الوزير 165
استدعاءات كامسا 171
الدعوة إلى ماثورا 178
آلهة الفرح والجمال 185
كريشنا يغادر إلى ماثورا 194
إنذار انظاكا 201
تريفاكرا الحدباء 209
القوس المقدسة 216
سيد الأفيال 223
كافالاياييدا: الفيل الغاضب 230
شانور البطل 236
النبوءة تتحقق 243

نبذة عن المؤلف

كانيالال مانيكلال مونشي

(1887 - 1971)

محام معروف وأحد المشاركين في وضع الدستور الهندي. سياسي ومن دعاة استقلال الهند، عمل مع المهاتما غاندي، محمد علي جناح، نهرو.. الخ.

تولى مناصب حكومية رفيعة أهمها وزير داخلية بومبي 1937، وممثل الهند في حيدر آباد قبل الإنفصال، ثم وزيراً للتموين، وحاكماً لولاية آتاربراديش.

كاتب وأديب بلغة الكوجرات واللغة الإنكليزية وله العديد من الروايات. من أهم كتبه: «الكوجرات وآدابها» «امبراطورية الكوجرات»، «خلق فن الحياة»، «نهاية عصر»، «باجافاد جيتا والحياة الحديثة»، «حكاية النحت الهندي».

www.alkottob.com

تقديم

رغم وجود عدد هائل من الآلهة في «البانثيون» الهندي، فإن كريشنا يكتسب مكانة خاصة في الديانة الهندوسية.

ويعتقد البعض من المتخصصين ومنهم الدكتورة (ديانا إيك)، استاذة الديانات الهندية في جامعة هارفرد «أن تاريخ حركة كريشنا يشكل جزءاً لا يتجزأ من تقاليد (جوديا فسنايا) الدينية القديمة التي تعود جذورها إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

من هنا يمكن القول أن هذه الديانة التي يدين بها الآن أكثر من 1000 مليون شخص في العالم والتي تجاوزت الهند لتصل حتى الولايات المتحدة الأميريكية وأوربا، تعتبر جزءاً من الديانات الأسطورية التي سادت العالم القديم.

وكفكر اسطوري فقد كان لابد لفكر كريشنا من أن يتعرض للإضافة والحذف، وإسباغ صفة البطولة الجسدية والفكرية عليه كشخص.

ومن هنا برز الإله الإسطوري القادر على إشباع خيال القاص أولاً وإقناع المتلقي الباحث دوماً عمن يشبع

www.alkottob.com

خياله ويرضي احتياجاته الروحية ثانياً، فكان أن أصبح كريشنا هو الملبي لهذه الحاجة فنسبت إليه البطولات والمعجزات واستقر في وجدان تلك الجماهير إلهاً ومعبوداً.

ولكن من هو كريشنا؟ وما هي دعوته؟

في البدء علينا أن نقرأ حقيقة أن المكتبة العربية تخلو تماماً من أي كتاب عن كريشنا ودعوته وفكره، ولعل مرد ذلك النظر إلى هذه ـ الأسطورة ـ من زاوية أحادية تلك هي النظرة الدينية بالإضافة إلى ضعف حركة الترجمة العربية وخاصة في مجال الأساطير وذاكرة الشعوب، واقتصار الحركة على تقديم بعض الترجمات التي تعالج ما تمت كتابته عن الأساطير التي وجدت في البلاد العربية. ومن هنا يتبدى مدى ما يمكن أن يعانيه الباحث والكاتب في هذا المجال وهويحاول إيجاد المقارنات بين ما أبدعه الإنسان عبر عصوره في مختلف مناطق العالم من فكر وأساطير.

وكلمة كريشنا باللغة السنسكريتية تعني «الإله ذواللون الداكن» وحسبما تشير الأسطورة فقد ولد من أب أمير حيث تذكر الأسطوره نسبه كاملاً، وقد تجلى بصورته البشرية ليضع حداً لمعانات الإنسان من الظلم، لذا كثيراً ما يتردد بأنه أحد أبرز الآتين لقوانين وتعاليم «ظارما» وهي الشرائع المقدسة المنظمة لعلاقات البشر مع بعضهم وعلاقتهم بالإلهة.

إذن فهو في جانب يماثل «مردوخ» البابلي و«زيوس» الإغريقي. ودعوته تتناول الإنسان ووجوده وأصل الكون وتحاول أن تجيب على جميع الأسئلة المتعلقة بهما. ولعل من الطريف أن نذكر أنه وبرغم تعدد المعابد المخصصة لكريشنا في الهند فإن لونه يختلف ما بين شمال الهند وجنوبها، فبينما يجسده أهل الجنوب باللون الأزرق الداكن نراه في الشمال بلون مختلف، ومرد ذلك، الإختلاف في الإنتماء العرقي ما بين شمال وجنوب الهند واختلاف لون البشرة. وقد عكف مؤلف هذا الكتاب ما يقارب العشرين سنة على دراسة ومراجعة مختلف القصص والحكايات والروايات المكتوبة والشفاهية لغرض الوصول إلى كتابة سيرة كريشنا بعد تخليصها من الكثير مما علق بها من معجزات وبطولات ضعيفة الإسناد، ليقدم في النهاية خلاصة لهذه السيرة والتي تبدأ من الولادة حتى تحقق معجزة الحكيم «نارادا».

ويجد القارئ لهاذه السيرة مادة أولية تصلح للمقارنة والدرس والبحث بالإضافة إلى أنها صيغت بإسلوب قصصي متتابع الأحداث حاول المؤلف قدر الإمكان سد الثغرات والفواصل الزمنية التي واجهته وهوينهل من معين القص الشعبي.

إن قيمة هذه السيرة تكمن في تقديرنا بما تملكه من جانب أسطوري كان هوالسبب وراء دافعنا للترجمة

www.alkottob.com

وذلك وصولا لتقديم مادة خام تمكن المهتمين من إيجاد التماثل والمقارنة بينها وبين ما أبدعه الإنسان عبر أزمانه الطويلة، وإسهاماً في تقديم كنوز الفكر الإنساني.

رعد عبد الجليل جواد

الشارقة 1988

1 ـ زواج فاسوديفا من ديفاكي

في الأيام العظيمة لـ «ديفابارايوجا» استقرت قبائل يادافا في وادي يامونا الخصب المسمى فراجابومي. لقد كان واديا كثير الأشجار الظليلة، مليئاً بالحيوانات والعشب والكلأ، حيث راحت قطعان يادافا تسمن وتتكاثر. وفي ذلك الوادي كانت الشرائع المقدسة هي السائدة لذا اتبعتها قبائل يادافا.

وقد كونت العديد من القبائل مثل كوكورا، انظاكا، فرشني ستوات، يوجا، ماظو وشورا، اتحاد يادافا الذي سمي أيضاً فرشني سمغا. وكان دستورهم جمهورياً ورغم ذلك فقد بقيت قبائل انظاكا الأكثر قوة بين القبائل وكانوا يفخرون بتلقيب زعيمهم بـ«الملك» طمعاً بالهيبة.

أما قبائل يادافا فقد كانوا شجعاناً من نسل رجال وهم فخورون بأنفسهم بين الآخرين من شعوب الأرض ذلك أنهم يدعون بأن نسبهم يمتد إلى براهما الخالق نفسه.

وبراهما كان له ولدان الأول أترى والثاني دكشا. وقد ولد لدكشا اديتي الذي ولد له فيفاسفات. الذي ولد له مانو. وقد تزوجت الآ ابنة مانومن سوما وولدتبورورافاس الكبير عيوشا. وولد لـ «عيوشا» خمسة أولاد، وكان أكثرهم قوة ناهوشا. الذي ولد له ياياتي. وكان ياياتي أول الفاتحين العظام في الأرض، فقد انتصر على الآلهة والشياطين معاً. وزوجة ياياتي الأولى كانت ديفاياني. حيث كانت ابنة بارجافا ساجي الكاهن

www.alkottob.com

الأعظم للشياطين والذي بإرادته استطاع ساجي أن يذل كبرياء الآلهة وقد ولد لـ «ديفاياني» ولدان، هما يادو وتورفاسو. وقد عرف أحفاد يادو باسم يادافا وكان «يادو» ولد اسمه كروشتو. وولد لولد كروشتوديفا ميدوش ولد اسمه شورا. وفي تريتا يوجا التي أعقبت ديفابارا فإن الشيطان ماظوعاش في غابات فراجابومي وأصبح قوياً جداً وأصبح اسمه ماظوفانا. وقد ترك ماظوالغابة ووجد له مستقراً على ضفاف يافونا وأصبح اسمه ماثورا وقد جلب أبناء ماظوالشر العظيم للأرض، وأصبح الناس يرتعشون لمجرد ذكر أسمائهم وكان شاتروغنا أخ سري راما شاندرا، غاضباً على ولدي ماظو اللذين كان قلباهما مليئاً بالشر. لذا غزا ماثورا ودمّر نسل الرجال الخطاة. وقام أيضاً بقطع الأشجار في ذلك الوادي، وتحت أمرته وأولاده من سلالة اكشفاكو، أصبحت الإقامة في ماظوفانا مريحة كما لم تكن من قبل.

بعد ذلك ساد شورا بين قومه. وقام بقيادتهم. وقامت قبائل يادافا بغزو ماثورا وانتصرت على سلالة شاتروغنا. وحققت يادافا الإستقرار في الوادي. وأصبحوا أغنياء بامتلاكهم الأغنام، الفضة والذهب. وأصبح وادي فراجابوما يسمى شوراسينا.

وينحدر فاسوديفا من نسل شورا، فقد ولد حينما كانت النجوم مؤاتية. وعند ولادته صدحت الأبواق في السماء وتردد إيقاع الطبول في الأرض. لذا كان اسمه اناك دندوبي.

وقد نثرت الآلهة الزهور عليه، فقد كان جميلاً مثل القمر وشهرته كانت ستبقى حتى نهاية الزمان. كان لـ «فاسوديفا» خمس أخوات إحداهن تدعى بريثا. وقد تبناها ملك كونتي بوجا. بعد ذلك أصبحت زوجة باندو، وأم لثلاثة من خمسة أبناء. الذين تفوقوا في حرب براتا، والذين أسماؤهم محفورة في ذاكرة الإنسانية طوال السنين.

وقد تزوجت إحدى أخوات فاسوديفا من ابن ملك شيدي وولدت سيشوبالا.

وأصبح فاسوديفا رئيساً على الشورا والذين يملكون أعداداً كبيرة من الأغنام. وكما قلنا سابقاً، فإن انظاكا، هي قبيلة أخرى تنحدر من أحد أولاد كروشتو. قد أصبحت قوية وأن فاسوديفا كان المسؤول عن إقطاعياتهم. أما أوجراسينا الذي كانوا ينادونه بـ «الملك» فقد كان لديه خمسة أولاد وتسع بنات. وأكبر أولاده هوكامسا. أما ديفاكا أخ أوجراسينا فقد كان لديه أربعة أولاد وسبع بنات وكانت ديفاكي المفضلة لديه وكان هناك عداء دائم بين الشورا والـ «انظاكا» وكان محاربوهم يتقاتلون دائماً، وقد اقترح العقلاء القبيلتين أن تتزوج ديفاكي من فاسوديفا وعندها سيعمّ السلام. لذا تم الزواج في قصر الملك أوجراسينا.

وقد دار فاسوديفا حول النار المقدسة سبع مرات تتبعه الفتاة التي وجهها مثل البدر المشع فتنة. وقد تم الإعلان عن هذه المناسبة السعيدة. وراحت الطبول تقرع والمزامير تغرد. وكان الـ «يادافا» سعداء، إذ لم يروا سابقاً مثل هذا العريس الجميل وزوجته وهما منسجمان.

www.alkottob.com

2 ـ غضب كامسا

ومن بين جميع الأمراء الشريرين في براتا، فإن ابن ملك أوجراسينا كان أكثرهم شراً وكان شجاعاً وماكراً، عصبي المزاج منتقماً وعنيداً متحالفاً مع الأمراء الأقوياء، مرعباً للصديق والعدوعلى حد سواء. ولم يكن يحترم القانون، الإنسانية أو الآلهة. يسخر من الحكمة ويهزأ من القسس ويكره أولئك المكرسين حياتهم للآلهة. وفي وقت زواج ديفاكي من فاسوديفا، جاء نارادا الحكيم العجوز والضمير المتجسد لعشاق الآلهة، إلى كامسا وللترحيب بالحكيم قام الأمير بالسجود طالباً البركة وجواباً على ذلك راح الحكيم ينصح كامسا بأن يتوب عن طريق الشر الذي يتبعه. قائلاً له، لن يحوز النصر النهائي من يحتقر الشرائع المقدسة. ضحك كامسا وقال: ياسيدي بقانون أوبلا قانون، لن يقف أمامي شيء إني لا أخاف من الآلهة. إن الآلهة ليست سوى شبح يخيف الضعفاء وإني قوي وإن إرادتي فوق القانون ولن أقبل بغيرها وسأجبر الجميع على الخضوع لها. ابتسم نارادا الحكيم الإلهي ابتسامة لا يقدر عليها سوى الحكماء وأجاب، أن الشرائع المقدسة يا ولدي غير قابلة للتعديل، ولن يستطيع أحد ولا أنت أن تهرب منها. وتذكر أنه عندما يختل ميزان العدالة فإن الله نفسه ينزل إلى الأرض لتعديله.

ضحك كامسا بعصبية وقال، لتعلم أيها الحكيم أن لا الإنسان ولا الله يجرؤ على الوقوف بطريقي.

ـ هل أنت واثق جداً من نفسك؟ إن كنت كذلك فإنك هالك، لقد

قررت الآلهة ذلك، قال الحكيم ذلك وعيناه تتلامعان.

ـ تساءل كامسا بإزدراء، ومن الذين يجرؤ على المساس بي؟.

صمت الحكيم برهة ثم قال أيها الأمير: إن الكبرياء رهن بقوتك، وأن قوتك هي التي ستدمرك، إن الطفل الثامن لـ «ديفاكي» ابنة عمك سيدمرك. واختفى الحكيم قبل أن يستطيع كامسا الرد عليه. ورغم أن والده أوجراسينا كان ملكاً فإن كامسا نفسه كان يحكم ماثورا وكان الملوك المجاورون له يرتعشون من ذكر اسمه حيث لم يكن أحد يجرؤ على مقاومته وقد جعلته نبوءة الحكيم أكثر عنفاً.

وفي نفس الوقت الذي بين الحكيم نارادا طريقة موت كامسا، كانت ديفاكي قد تزوجت تواً من فاسوديفا، وقد جن كامسا لذلك. وقرر ألا يترك شيئاً للصدفة فقد قرر أن يقتل ديفاكي فوراً، وعندها لن يكون هناك طفل تتحقق النبوءة من خلاله، لذا توجه كامسا والغضب يعصف به نحومدخل القصر حيث كانت احتفالات الزواج عل وشك البدء، وكان الرجال والنساء فرحين حينما شاهدوا كامسا يدخل سريعاً مثل إله الموت. وقفوا خائفين، توقفت الطبول عن القرع والمزامير صمتت عن النفخ. تقدم كامسا بغضب نحومحفة العروس وأمسك بالعروس من شعرها وسحبها خلفه، أما العروس التي كانت قبل ذلك بقليل تجلس فرحة في محفتها متزينة بالحلي وتحدوها الآمال فقد أطلقت صرخة خوف ورعب. أما الملك أوجراسينا الذي كان يعرف مزاج ولده الوحشي فقد راح ينتحب لما فعله ولده وبقي ذاهلاً، أما سوديفا الامير الشاب فقد قفز من المحفة وأمسك بيد كامسا الذي كان يحمل سيفاً وخاطبه قائلاً بدهشة، إنك تقتل أختك الضعيفة المتزوجة حديثاً، صرخ كامسا وعيناه تشعان غضباً، ابق بعيداً.

أما ديفاكي شقيق الملك أوجراسينا فقد راح يرجوكامسا قائلاً، ياولدي دع ديفاكي تذهب فما الذي فعلته لك؟ دعها تذهب. ضرب كامسا

www.alkottob.com

قدمه بالأرض بقوة وصرخ قائلاً، لن أدعها تعيش، يجب أن تموت.

كان فاسوديفا حكيماً وقد تربى في ظلال قوة كامسا وكان يعلم عاقبة مقاومة إرادة الأمير حينما يكون بمثل هذا المزاج الغاضب.

وبأيد متشابكة راح يتضرع للأمير قائلاً، يا نبلاء بوجاسي اسمعوني لماذا أنتم غاضبون علينا.

قال كامسا وعيناه تدوران بقلق، لقد استلمت تحذيراً من الآلهة أخبروني فيه أن طفل ديفاكي الثامن سوف يقتلني. لذا يتوجب علي ألا أرى ذلك يقع.

كان فاسوديفا يعلم ألا أحد من الحاضرين يستطيع أن يحول بين كامسا وإرادته النارية تلك. إنهم رجال نبلاء فقط أليس كذلك؟ شبك يديه وقال، ولكن الآلهة لم تقل أن هناك خطراً عليك من هذه الفتاة المسكينة فلماذا يجب قتلها إذن؟ فالنبوءة تقول، أن طفلها الثامن سوف يقتلك، وإني نسيبك المخلص ورهن لحمايتك من كل خطر. دع ديفاكي تعيش وإني أعدك بأن أجلب إليك كل طفل يلد لها فوراً وتستطيع أن تفعل به ما شئت وعندها لن تتحقق النبوءة.

نظر كامسا نحو والده وعمه وإلى ديفاكي المرعوبة ونحو نسيبه الذي كان يقف حزيناً ذليلاً. لقد كان كامسا ذكياً وماكراً ووجد من الحكمة عدم إثارة قبيلة يادافا ضده لذا قرر أن يترك ديفاكي تعيش قائلاً لهم، سأدع ديفاكي تعيش بشرط واحد. أن تنقلوا حفل الزواج إلى قصر كاجاراجا الذي ستتم حراسته من قبل رجالي الموثوق بهم ليلاً ونهاراً، كما أني سألزمك يافاسوديفا بوعدك في أن تجلب لي كل طفل يلد لـ «ديفاكي» وتذكر أن لاتخطئ في ذلك فلن أدع أياً من أطفالك يعيش مهما كانت الظروف.

3 ـ كامسا يعد خطة

شعرت قبيلة شورا وكذلك حلفاؤهم قبائل ستوات وكوكورا بالإهانة العميقة لأزمة فاسوديفا وديفاكي وما وقع في حفل الزواج. وقد شعرت قبيلة انظاكا التي ينتمي إليها الملك أوجراسينا بالإنزعاج أيضاً نتيجة لتصرفات أميرهم البربرية. وأدركت أن عدم الرضا هذا سينعكس على كامسا قريباً. وبعد بضعة أشهر سمع كامسا من جواسيسه أن عدم الرضا يتصاعد، وأن حكماء قبيلة يادافا يتناقشون فيما بينهم ليس فقط فيما فعله برئيس قبيلة شورا، ولكن أيضاً بجميع أفعاله الشريرة. وكانت النسوة أيضاً خائفات فقد شعرن أن معاناة ديفاكي هي أيضاً معاناتهن ولن تنجو أيُّ منهن من مثل هذا المصير وربما أسوأ من ذلك. ولم يكن كامسا خائفاً من تنامي هذه الأحاديث فقد شعر أن الحشد افتراضي وقرر أن يسحق الجميع من يعارضه أوينتقده. سوف يحطمهم جميعاً وقال لنفسه سأقطعهم إرباً، واستدعى المقربين إليه لإجتماع سرّي.

وكان المقربون إليه مجموعة غريبة من الرجال، فهم لا ينحدرون فقط من قبيلة يادافا ولكن من أكثرهم شراً، ومعظمهم لا يحترمون القانون أو الآلهة أو الإنسانية. وكانوا يعيشون على نفقة كامسا ويقومون بما يأمرهم به ويتحركون بين الناس لإثارة فزعهم وخوفهم. فباسمه يضربون ويعتقلون من يسمونهم غير المخلصين. وهم يقومون أيضاً بتدمير العائلات وغالباً ما يسرقون النساء لإشباع رغباته ورغباتهم.

استمع كامسا بعصبية بالغة إلى التقارير التي قدموها إليه، حيث قالوا

www.alkottob.com

أن قبيلة يادافا تتحدث عن سيدنا باعتباره متوحشاً وشريراً، وهم متعاطفون مع فاسوديفا وديفاكي فقط. وقد اتصلوا بالملك أوجراسينا ليشتكوا من سلوك مولانا. وأن الملك ضعيف وهو جاهز دوماً ليستمع للشكاوى ضد مولانا.

وكانت بونانا زوجة كبير مستشاري كامسا، وأصبح شغلها الشاغل معرفة ما تقوله وتحسه نسوة يادافا تجاه كامسا، كانت إمرأة قوية البنية مؤذية، ذات سلوك عدواني. وكان كامسا يفضلها على جميع عملائه حيث كان يعلم أنها الوحيدة من بين الجميع ومن كان يقدم إليه الحقيقة العارية دون خوف.

قالت له، إن نساء يادافا يكرهنك يا سيدي، وهن يحثثن رجالهن على التآمر عليك ويتعاطفن مع ديفاكي، وكلما ازددت في اضطهادها مع فاسوديفا ازددن هن في محبتهن لهما. وقد سمعن بالنبوءة وهن يتطلعن لولادة الطفل الثامن الذي سيكون امتداد لـ «يادافا».

جلس كامسا يعبث بشاربه بغضب بعدما استمع لجاسوسته وقرر أن يلقن قبيلة يادافا درساً، والأفكار الشيطانية تعبث في رأسه بعد عدة أيام ذهب كامسا إلى غابة اجرافان لغرض الصيد. بعد ذلك قام بزيارة إلى بوما حاكم إحدى المقاطعات الصغيرة في ضواحي فراجابوفي. وقد كان كامسا وبوما صديقين منذ الطفولة بالإضافة إلى بانا وهو الآن حاكم لمقاطعة أخرى وكان الثلاثة طلاباً في أشراما في جلافا ريشي وقد حولوا المدرسة إلى حجيم لا يطاق بسبب ألاعيبهم وحيلهم مما اضطر مدير المدرسة أن يطلب من الملك أوجراسينا أن يسحب ابنه من المدرسة. حتى بعد أن كبروا. وبقي بوما وبانا يتطلعان إلى اليوم الذي يبدأ فيه كامسا انتقامه وكان ذلك أملهم الوحيد في أن يوسعوا دائرة نفوذهم. وخلال الأيام التي بقي فيها كامسا ضيفاً عند بوما، التحق بهم

بانا. وحينما التقى الثلاثة راحوا يتحدثون عما حدث في ماثورا. وقد اتفق ثلاثتهم على ضرورة سحق أي تمرد تقوم به قبيلة يادافا. كما كان هناك شيء آخر يجب القيام به وهو منع أوجراسينا من أن يصبح ملجأ للساخطين. وكان كامسا يكره والده الذي كان طيب القلب ويتعامل مع رعيته وكأنهم أولاده. قال كامسا، الغبي العجوز إنهم يأتوه دوماً ولا يرفض مقابلتهم. وكان كامسا يعرف طريقة تفكيره، وقد قرر أن يقمع سخط قبيلة يادافا بقسوة. وذلك لن يتم ما لم يقدم لأبناء شعبه عناصر عدائية تعد ثانوية بالنسبة له. فالبرغم من أنه وريث لقيادة قبيلة يادافا فإنهم بالتقليد والغريزة أحرار محبون للحرية وكل عشيرة تحب حريتها، وعليه سينظرون بارتياب إلى أي شخص يجمع ويحتكر السلطة في يديه وذلك بالتأكيد يعني الحرب. وذلك ما جعل موقف كامسا ضعيفاً. فسيصبح في يوم ما ملكاً ولكن بالإسم فقط ولن يصبح ملكاً حقيقياً. ولن يستطيع أن يشن حملة فتوحات. وعليه كان يجب أن يتم شيء عنيف إن كان يريد التمتع بالسلطة المطلقة. فهوبحاجة لأصدقاء أقوياء وطالما وجدهم فعلية أن يعمل بحذر وصبر. وأقوى الحكام آنذاك كان الملك جارا صاندا حاكم ماجاظا. لقد كان قائداً عظيماً. واستطاعت قواته أن تدمر الحكام في الجوار ومن خلال الحروب المتتالية أضاف أراض جديدة لمملكته وخلال سنوات قليلة كان يمكن أن يسيطر على جميع منطقة جاكرافارتي. وبالنسبة لكامسا فإن جاراصاندا كان يعتبر بطلاً ونموذجاً يحتذى به. والآن حان الوقت لإتخاذ خطوات لتحقيق هدفه. في البداية عليه أن يساعد ماجاظا في أن تنتصر في حروبها، وإذا ما دخل جاراصاندا في حلف معه فإنه متأكد من أنه سيساعده في أن يسود على يادافا ومن يعلم؟ فربما يموت الملك ويسود هوالآخر على جزء من امبراطورية حليفه.

www.alkottob.com

وهكذا وضعت الخطة وذهب بانا ابن عم جاراصاندا فرحاً في بعثة ليطلب يد ابنة جاراصاندا زوجة لـ «كامسا»، وقد نجحت الخطة أكثر مما تصوروا وخلال أشهر قليلة تزوج كامسا من ابنتين من بنات ملك ماجاظا.

وبعد الزواج حينما جاءت الإبنتان إلى ماثورا جلبتا معهما العديد من المحاربين الأقوياء القساة والذين كانوا معدين لدعم كامسا ضد شعبه، وكان كامسا متشوقاً للحرب للقضاء على نفسية شعبه.

4 ـ اكرورا الورع

حينما كان كامسا يعد قوته. كان فاسوديفا وديفاكي معزولين في قصر بعيد رهن الاعتقال وقد صلى فاسوديفا طويلاً من أجل انقاذهما وكذلك فعلت ديفاكي وشاركته في الصلاة ونذرت كل ما يمكن لإمرأة نبيلة أن تنذره من أجل ذلك. وكانت لديها رغبة فقد أرادت أن تكون أمّاً للمنقذ. وغالباً ماكانت تقوم بعد انتصاف الليل وتتسلل من جانب فاسوديفا وتقف ويداها متشابكتان ورأسها منكس تصلّي قائلة، يا إلهي، يا مأوى الجميع، اجعلني أمّاً للمنقذ وغالباً حينما تصلي في ساعات الصباح الأولى تشعر أن صلواتها قد استجيبت. مما يجعلها تشعر بالراحة طوال النهار والليل وهي تخدم فاسوديفا وتساعده وتتحمل كل شيء بشجاعة.

حالما عاد كامسا إلى ما ثورا مع أميرات ماجاظان. كانت ديفاكي قد ولدت ابناً وقد انتشرت الأخبار بين أفراد قبيلة يادافا الذين ظلوا يرتجفون خوفاً من أن يتم قتل الطفل على يد كامسا.

وكان اكرورا قديساً ورعا شاباً ينتمي لعشيرة فرشني أحد عشائر قبيلة يادافا وكان رجلاً مستقيماً ملتزماً بالشرائع المقدسة. وكان محترماً جداً بين أفراد قبيلة يادافا وقد انتدبه شيوخ القبيلة لمقابلة كامسا وإقناعه بالعدول عن قراره الشرير في قتل طفل برئ وقد وافق اكرورا وذهب مع عدد من الشيوخ ومعهم فاسوديفا مصطحباً الطفل الرضيع إلى كامسا. وكان كامسا حينما دخلوا عليه جالساً على عرشه محاطاً بأتباعه المخلصين وعدد من محاربي ماجاظان، استقبلهم دون مراسيم. وحاول اكرورا إقناع

www.alkottob.com

كامسا بعدم تنفيذ ما عزم عليه. وحاول فاسوديفا كذلك وعيناه باكيتان أن يبقى على الطفل. وقال اكرورا ويداه متشابكتان، لتكن في قلبك رحمة إني أتضرع إليك. ماذا فعل لك هذا الطفل الصغير؟ أن تقتل طفلاً صغيراً فإن ذلك ظلم وذنب كبير، وإن كان هناك خطر يتهددك فسيأتي من الطفل الثامن الذي تلده ديفاكي وليس من هذا.

أجاب كامسا أريد أن أتأكد من عدم وجود أي خطر.

رد فاسوديفا وهو يحتضن الطفل، الملك يجب أن يكون مثل الإلهة قشنو بأربعة أياد تتجسد فيه الرحمة.

استمع إليهم كامسا باحتقار في ضحك ضحكة شريرة وصرخ قائلاً، إن كان إلهك رحيماً فاطلب رحمته، إني لست إلهاً ولا أريد أن أكون وإني لست رحيماً.

بقي اكرورا وفاسوديفا يتوسلان لفترة طويلة دون جدوى وبقي كامسا ينظر إليهما بازدراء. وحينما انهياحديثهما نهض واقفاً واختطف الطفل من يدي فاسوديفا ورماه أرضاً فتمزق رأسه. وصرخ أبناء قبيلة يادافا الذين كانوا حاضرين هلعاً.

وحينما انتشر خبر قتل كامسا لطفل فاسوديفا شعر أبناء قبيلة يادافا وكأن صاعقة أطاحت بهم، فبقوا لا يعرفون ماذا يفعلون أو إلى أين يتجهون، وأخيراً توجه شيوخهم إلى قصر الملك أوجراسيني وراح الرجال ينتحبون والنساء يضربن صدورهن. لقد كانت مأساة ويجب عمل أي شيء لوقف هذه الوحشية.

استمع الملك أوجراسيني والدموع في عينيه لفعلة ابنه الشنيعة وبخطوات واهنة توجه نحوقصر كامسا لمعاتبته، ولم يعرف أحد ماذا حدث بين الأب والابن حينما التقيا. غير أن الأب لم يخرج من قصر

كامسا، ولم يعد أحد يراه سوى زوجاته وبعض المقربين إليه وهكذا أصبح الأب رهينة لدى ولده. وقد صعق أبناء قبيلة يادافا لما حدث فإنه وحسب قوانين «اريان» فإن الوالد بمثابة إله لابنه، وفي اليوم التالي أشاع رجال كامسا الرعب في ماثورا. فقد تم إلقاء القبض على اكرورا وتم سجنه في نفس القصر الذي يوجد فيه فاسوديفا وديفاكي. وتم إحراق بيوت القسس أتباع اكرورا وتم قتل حراس قصر الملك، وهرب الرجال مختفين في بيوتهم، أما أولئك الذين شعروا بأنهم يمكن أن يعاقبوا فقد هجروا المدينة.

وراح كامسا يجوب شوارع المدينة بعربته تحف بها ثلة من الخيالة الموثوق بهم، منتشياً بانتصاراته وهو يستمع إلى صراخ أتباعه وتوسلات ضحاياهم. وحينما راح يفكر بانتقامه أخذ يعبث بشواربه فقد نالت قبيلة يادافا ما تستحقه.

في القصر حيث كانوا مسجونين، جلس فاسوديفا أمام ديفاكي التي كانت مضطجعة في فراشها، تنشج بحزن، لقد جفت مدامعها ولم تعد قادرة حتى على البكاء، وأفلتت من قلبها صرخة حرّي وهي تقول، يا إلهي الحبيب، يانبع الرحمة عجّل بإرسال المخلص سريعاً.

وكان اكرورا واقفاً إلى جوارهم فراح يواسيهم قائلاً، المعاناة بوتقة الإله، لا تخافي ياديفاكي. ثم وجه كلامه نحو فاسوديفا فقال سيأتي المخلص يا فاسوديفا إن طرق الإله غامضة، لقد غمرتني السعادة منذ أربعة أيام، ففي أيام قلائل سيكون الحكيم كريشنا ديفابايانا الموقر في طريقه إلى أندرابراستا وسيأتي إلى هنا، أنه أحكم من جميع الحكماء ولابد أنه سيرانا بطريقة أو بأخرى.

وبالرغم من أن اكرورا كان شاباً غير أن معرفته وحكمته كانتا عميقتين وواسعتين وكان ذا إيمان بحكمة الإله، ومحبوباً من شعب ماثورا حيث كان يشاركهم الآلام والأسى.

www.alkottob.com

جلب جواسيس كامسا تقريراً له يفيد أن الثورة قد أخمدت، وأن عدداً من قادة يادافا قد هاجروا إلى الأقاليم المجاورة مع عوائلهم، والآخرين ألقي القبض عليهم وقتلوا، غير أن الجميع حتى الذين كانوا موالين له شعروا بعدم السعادة بسبب معاقبة قديس ورع مثل اكرورا.

أما كامسا فقد كان شاعراً بالرضا بما حققه من الضربة الأولى، وأراد لهذا الشعور بالرضى أن يعم الجميع لذا فكر بإطلاق سراح اكرورا فربما ينسى الناس استياءهم ويقدرون رحمته.

جاءت الرسل من بشما، المحارب العظيم، تدعو فاسوديفا إلى أندرابراستا، ولم يكن كامسا يعلم بماذا يجيب. فقد كان بشما زعيماً قوياً يسود امبراطورية هاستينابورا القوية، فإذا أهمل دعوته فسيجعل منه عدواً ولم يستطع كامسا أن يجد مخرجاً من هذه المعضلة. ولكنه عرف أن اكرورا كان مفضلاً في امبراطورية هاستينابورا وربما يجد له الحل، لذا أطلق سراح اكرورا من السجن.

ولم يطلب اكرورا جميلاً من الطاغية المستبد. فقد ذهب إلى بيته وأرسل عائلته إلى جوكول، غير أنه بقي في ماثورا ليطمئن أتباعه وقد تنقل من بيت لبيت واستمع بكثير من العطف إلى المآسي التي ارتكبها كامسا. وقد ساعدهم قدر استطاعته ومنحهم ما استطاع من إيمان بالآلهة. وقال لهم، حتى لو أن معاناتنا من الآلهة فإن البشر يمرون في التجربة وعليهم أن يخرجوا منها أنقياء كالذهب وسيكون الناس قادرين على عبور التجربة. وبالنسبة للحكماء فقد ثبت ما كان يعدهم «فأولئك المنذرون لن يهلكوا». وقد رغب في أن يدخل إلى قلوب الناس وإعطائهم الشجاعة للمعاناة والقوة.

5 ـ مأزق كامسا

حينما مثل اكرورا زعيم عشيرة فرشني بين يدي كامسا في قصره، دهش أن يجد الأمير ماكراً ومتحايلاً، حيث سأله كامسا قائلاً: لقد علمت يا أكرورا أن كريشنا ديفيابايانا الحكيم قادم يوم غد إلى ماثورا. لابد أنك تعلم سبب قدومه. أخبرني كل شيء عن ذلك لابد أن لذلك علاقة بالرسالة التي استلمتها من بشما المرعب. أتعلم أنه أرسل لي يطالب بحضور فاسوديفا إلى أندرابرستا؟ أجاب اكرورا أعلم ذلك أيها الأمير العظيم.

سأله كامسا بنفاذ صبر، ما الذي يبغيه من قدومه إلى هنا؟ رد اكرورا بابتسامة، وإنى لي أن أعرف؟

قال كامسا، إني متأكد من معرفتك، ألست على معرفة وثيقة به؟ أجاب اكرورا، نعم إني أعرفه، لقد التقيت به عدة مرات.

قال كامسا وهو يصرّ على أسنانه هل حقاً أن الحكيم ابن صيادة الأسماك وهل هو والد الأميرة كورو؟

أجابه اكرورا، إن الحكيم لا يخفي ذلك ولايشعر بالعار أيضاً، إن ساتيافاني هي جدة الأميرة كورو وهي والدته، ورغم أنها صيادة أسماك فإنها ولدت حكيماً وأن والده كما تعلم ربما، هوالحكيم باراشارا، وأن أحفاد الحكيم فاششا يعبد الناس أقدامهم.

تساءل كامسا بسخرية قائلاً، وهل ساتيا فاتي المبجلة كانت جميلة في شبابها كما يقول الناس؟ كيف هو شكلها الآن؟.

www.alkottob.com

صمت اكرورا برهة إذا لم يشأ أن يرد فوراً، ثم قال، يا سيدي إن ساتيافاتي المبجلة تشبه على وجه الدقة الإمبراطورة أغسطس. إن وجهها صورة للكرامة والحكمة الملكية.

شعر اكرورا بارتباك من طريقة تساؤل كامسا عن أشياء يعرفها جيداً. غريب ذلك الرجل بشما المدعو بالمرعب، لقد بقي أعزب طول عمره من أجل أن يتزوج والده العجوز من تلك الفتاة الصياد السمك، أراد كامسا بقوله ذلك أن يثير حفيظة اكرورا الذي يحترم تلك المرأة.

بقي اكرورا صامتاً للحظة محاولاً أن يسيطر على انفعالاته ثم أجاب قائلاً، أوافق معك أيها الأمير أن من الصعب عليك أن تفهم مثل أولئك الرجال ولكن بالنسبة لبشما المبجل فإن والده الملك سانتانوكان إلهاً ليس بالإسم فقط ولكن بالفعل أيضاً.

بقي كامسا يحدق برهة بأكرورا حيث فهم من كلماته إشارة لطريقته هوفي معاملة والده وأجاب كامسا قائلاً، ألم يمت والدا سانتانو دون أن يخلفا أطفالاً أو لم تستدع الملكة ابنها موني ليهب لمساعدتها؟ أولم يتبنّ هو ظرتياراشتنا وباندو وأخوانه من أمه؟ أجاب اكرورا، نعم بموجب القانون السلفي - نيوجا -

وفجأة تحول كامسا إلى المداهنة قائلاً، والآن أخبرني يا اكرورا بالحقيقة، لقد ذهبت إلى هاستينابورا قبل عدة أشهر أليس كذلك؟ ورأيت أميري كورو، ظريتاراشتا أعمى ولايمكنه أن يحكم امبراطورية براتا والآخر باندو ضعيف. وليس لأي منهما أبناء، ماالذي سيحدث للإمبراطورية عند موتهما؟.

أجاب اكرورا، وما الذي سيحدث لامبراطورية كورو مادام بشما حامياً لها؟

إن كورو تعيش برعاية قوانية ضرما وليس بالخداع والقوة.

أجاب كامسا، هكذا إذن، ولكن لِمَ يريدون فاسوديفا في أندرابراستا؟

لابد أن في ذلك حيلة من حيل العجوز.

أجاب اكرورا، كل الذي أعرفه أن بشما المبجل يترفع عن جميع الخدع رد كامسا قائلاً، ولكني لن أدع فاسوديفا يذهب.

- أعلم أنك لن تدعه ولكنك بذلك ستعادي بشما، وإذا ما غضب فسيكون مرعباً، وإن كنت حكيماً لا تمنع فاسوديفا من الذهاب، وهونفسه لن يذهب ويدع ديفاكي ها هنا، فالأمير لايحبذ أن تذهب معه.

- حسناً، حسناً، قالها كامسا وهو يضحك، إنك رجل ذكي يا اكرورا ولكن أي جواب عليّ أن أرسله إلى بشما؟ تعال وأخبرني هل أرسل العم ديفاكا بدلاً منه؟ أخبرني ما الذي سأقوله إلى الحكيم إن هو أرسل نفس الرسالة.

- ولم لا تقول الحقيقة؟ إنك لا تريد أن ترسل فاسوديفا وديفاكي لأنهما لن يعودا وأنك خائف من أن أحد أبنائهما سيقتلك.

- إنك تتحدث بحمق، لِمَ يتوجب على أن أخاف؟

- لأن الجميع يعلم ذلك، قالها اكرورا وهو يبتسم.

- اسمع يا اكرورا أنك تحاول أن تكون ذكياً، بالنسبة لي أريد فاسوديفا نفسه أن يرفض الذهاب، فهو لن يترك ديفاكي لوحدها، وإني أريد منك أن تذهب بدلاً عنه وذلك سيجعل بشما المرعب قانعاً.

صمت اكرورا ثانية لبرهة ثم قال، سوف استشير موني غداً فإذا وافق فسأذهب.

- وإذا لم يوافق؟ تساءل كامسا بغضب.

www.alkottob.com

ـ عندها لن أذهب، أجابه اكرورا بهدوء.

ـ تعلم ما الذي سيحصل لك إن أنت رفضت الذهاب، قال كامسا ذلك وعيناه تشعان غضباً.

ـ الموت والحياة بيد الإله أيها الأمير القوي، ثم أحني رأسه وشابك يديه وخرج من الغرفة.

نهض كامسا من على عرشه وصرخ قائلاً، سأخرج للصيد هذا المساء ولا أريد أن أرى موني، وأنت أفعل ما قلت لك.

استدار اكرورا وابتسم له أجابه على قوله.

6 ـ نبوءة فيدا فياسا

في اليوم التالي بقي الحشد على الدرج النازل إلى النهر ينظر إلى ثلاثة قوارب في النهر. وقد أفادت الأخبار أن الحكيم الكبير كريشنا ديفيا بايانا كان في طريقه إلى ماثورا وكان الناس في شوق للقائه. قبل ثلاث سنوات حينما جاء الحكيم إلى ماثورا كان ذلك حدثاً عظيماً. فقد استقبله آنذاك الملك أوجراسيني بنفسه غير أن الأشياء تغيرت منذ ذلك الحين. فاليوم تقف في انتظاره ديفاكا واكرورا فقط اللذين يكرههما كامسا.

حينما اقتربت القوارب كان اكرورا قادراً على تمييز الحكيم جالساً في القارب الأول فلم يكن من الصعب تمييز رأس الحكيم وعينيه الوضاءتين وبنيته القوية.

ومرت صورة الحكيم القديمة في ذهن اكرورا، قد أصبح ابن صيادة السمك حكيم باراشارا، لقد درس كل شيء، لقد تعلم حكمة الـ «فيدا» وحفظها ودرسها، إنهم يقولون عنه أنه يعرف الماضي والحاضر والمستقبل. ويقول الحكماء أنه قادر على اختراق البشر أنه كالحكماء الآلهة، وإينما يذهب يحمل معه تعاليم «ظارما». حالما خطا الحكيم خارج القارب انحنى اكرورا على قدميه، وحالما سقط نظر الحكيم عليه شعر اكرورا وكأن الحكيم طوقه بالحب والحنان وشعر بدفء نظرات الحكيم وكأنه بين ذارعي أم رؤوم، ثم توجه نحو الشاب الذي نزل من القارب يتبع الحكيم. وراح يحييه هو الآخر.

www.alkottob.com

ـ اكرورا هل تعرف ولدي فيدورا؟ تساءل الحكيم بصوت مؤثر.

مسّ اكرورا قدمي الشاب، كان قد سمع بالشاب، وسمع عن كيفية ولادته من أم كانت تعمل خادمة.

ذهب الحكيم مصحوباً بـ «فيدورا» إلى بيت اكرورا الذي قدم لهم الحليب والفواكه، بعد ذلك أخبر اكرورا الحكيم بكل ما وقع لـ «فاسوديفا» وديفاكي وأخذه إلى القصر حيث كانا محتجزين.

شعر فاسوديفا وديفاكي بالسرور حينما شاهدا الحكيم يأتي لزيارتهما فقاما للسلام عليه والإنحناء على قدميه وغسلهما ثم قدما إلى زهوراً، فباركهما واحتضن فاسوديفا وتشمم شعر ديفاكي. بعد ذلك راح الزوج والزوج يتحدثان بلهجة متعثرة وأخبراه ما حدث لهما وعيونهما باكية.

استمع الحكيم إليهما وهو يتبسم، ثم قال لهما بحب كبير، أنت يا فاسوديفا وأنت يا ابنة الملك ديفاكا لقد تمت معاملتكما بوحشية إني أعرف كامسا الذي ولد للشر ولايستطيع أن يكون إلا شريراً ولكن لتعلما فإن الشر حينما يستعمل فإن الفضيلة تزهر. أتمنى أن تأتيا معي.

شبك فاسوديفا يديه وقال، سيدي أتمنى أن استطيع الذهاب معك إلى أندرابراشا، حيث أن رغبات بشما المبجل أوامر دوماً بالنسبة لي.

ـ لاتدع ذلك يزعجك يا ولدي، إن واجبك أن تكون مع ديفاكي، فإنها بحاجة إليك أكثر من أي شخص آخر، ورغم ذلك فإن كامسا يعتزم إرسال اكرورا بدلاً منك، فدعه يأتي معي وسيفعل كل ما يجب أن تفعله مهما كانت الصعوبات، إن بشما حكيم وسيفهم ويقدّر عدم مجيئك.

ـ يا سيدي المبجل إن اكرورا صديقي العزيز وهو حكيم إيضاً وسيعرف ماذا سيفعل بشكل أفضل مني.

تدخلت ديفاكي قائلة بصوت مرتجف، أيها الحكيم امنحني بركاتك.

أجاب الحكيم، إن الزوجة التي تكرس نفسها لزوجها مباركة دائماً وتذكري يا طفلتي إن الصبر هو قمة العطاء وإن الإله يجب أن يعطي ذلك.

ـ يا سيدي، إني أحاول جاهدة أن أكون صبورة قدر استطاعتي ولاتدري كم كنت سعيدة بقدري، ولكني خائفة من كامسا، فسيقتل جميع أبنائي وستبقى النبوءة غير محققة، تساقطت الدموع من عيني ديفاكي حينما كانت تتكلم غير أنها شعرت بالأمان في حِمى الحكيم.

ـ لا تخشي شيئاً على النبوءة يا ديفاكي فسوف تتحقق.

تساءل فاسوديفا قائلاً، ولكن أهي نبوءة حقاً أم إشاعة أم ربما كابوس؟

فإن الحكيم الإلهي نارادا لا يأتي لمقابلة الناس بهذه البساطة على وجه التحديد مقابلة كامسا.

أجاب الحكيم، لقد سعدت يا فاسوديفا حينما سمعت بالنبوءة، فهناك الكثير من الشر على الأرض وقد آن أوان ظهور المنقذ.

تساءلت ديفاكي بشفقة، ولكن هل سيأتي أخيراً؟ وهل سأكون أماً للمنقذ؟ وإذا جاء فهل سيسمح له ابن عمي القاسي أن يعيش؟ بقي الحكيم صامتاً لفترة، ومن ثم أغلق عينيه وراح يصلي للإله شيفا، بينما الآخرون ينظرون إليه بإجلال ورهبة، من ثم فتح عينيه حيث غطت نظراته ديفاكي بدفء واق. وقال، يا طفلتي لا تفقدي الإيمان، إن المنقذ سيأتي ولم يجرؤ أحد على المساس به حيث أنه نفسه سيكون إلهاً.

كان صوت الحكيم صوت نبي، أما ديفاكي فقد انتشت بحبور وفرح.

www.alkottob.com

7 ـ الزمن يجري قرب هاستينابورا

تبدت مياه نهر الكنج في أشعة الشمس الغاربة وعكست صور المعابد والبيوت في هاستينابورا.

وفي قصر كورس الواقع على ضفاف النهر، جلست ساتيافاتي أرملة الملك سانتانو في غرفة عبادتها، وكان وجهها داكن اللون وهو الذي ورثته عن أبيها الصياد، ترتدي سارياً أبيض واضعة الرماد على جبهتها. كانت تزيد على الستين عاماً. وجهها وجسمها يبديان آثار جمال غابر، فقبل خمسين عاماً ولدت الحكيم باراشارا وجعلت الملك العجوز يهيم حباً.

على يمينها جلس جانجيا المسمى بشما على كرسي مغطى بصحاف ذهبية وابن ابنها ذو العشرين ربيعاً جلس منتصباً على كرسيه، كان وجهه مشعاً ملتحياً غير أن نظرة حزن كانت تشع من عينيه. وأمام الملكة جلس مونيكريشنا ديفيا بايانا على سجادة غزلت من الحشائش. كان أكثر بياضاً من أمه ولكن ليس أكثر بياضاً من بشما. شكل متوارث عن أسلافه بمهابة إلهية.

جلس أكرورا وفيدورا بجانب الحكيم. وكان الحكيم كريشنا ديفيابايانا قد قام بمعجزة جمع وتجسيد تعاليم الفيدا المقدسة.

لذا سموه فيدا افياسا المحترم.

ـ كريشنا، على أن أستدعيك، إذ أن المأساة تهدد حدود امبراطورية باراتان ولن يستطيع أحد أن يساعدنا سواك يا ولدي، يا إلهي لم ولدت

لأزعج الآخرين مرات ومرات قالت ساتيافاتي ذلك وتهدج صوتها بالحنان.

ـ يا أمي، إني سعيد أن أرسلت في طلبي، قال الحكيم ذلك بحنان ورقة، ليس في ذلك أي إزعاج لي، ألم أعدك حينما أخذنيوالدي المبجل بعيداً بأني سأكون في خدمتك في كل وقت؟ إني دائماً طوع أمرك.

كانت ابتسامة قياساً لا تقاوم ولم تستطع ساتيافاتي، برغم حزنها إلا أن تبتسم لقد كانت عظيمة مثل أبيها، وبالرغم من أنه كان يعيش بعيداً منذ فترة طويلة فقد كانت تعتبره دائماً العزيز وكان معينها الرئيس في جميع المشكلات في حياتها الصعبة.

ـ لقد كانت لحظات شريرة حينما أغرى والدي كورسي أن يأخذ على جانبها تعهداً بعدم الزواج، قالت ساتيافاتي ذلك بصوت حزين ونظرت إلى بشما الذي كان يجلس صامتاً، الذي يجسد العفاف الذاتي، وفي الماضي رجوته مرات ومرات أن يتزوج ولكنك تعلم يا كريشنا أي رجل هو بشما فهو لا يحنث وعده ولكي يكون أميناً لنذره فقد كان قاسياً معي ومع والده ومع أحفاده.

ـ يا أمي لا تتركي مجالاً لليأس وأخبريني ما هي المشكلة؟

ـ مسحت ساتيافاتي دموعها وأجابت، منذ سنتين احتفلنا بزواج ظريتاراشترا وباندو، واعتقدنا أن نسل كورس سيكون طويلاً كالشمس والقمر ويستمر في السماء ولكن الآن... بالرغم من أنهما متزوجان... ولم تستطع الملكة أن تكمل الحديث.

ـ أمي، ماذا حدث؟ أخبريني بصراحة.

واصلت ساتيافاتي حديثها بصوت مرتجف: لقد أصبح ظرتياراشيا أعمى، ولا يمكن أن يصبح ملكاً وزوجته جنظاري حامل ولكن اللعنة

www.alkottob.com

حلت عليها فقد مرت عليها سنة منذ أن حملت، وقد ذوى الجنين في بطنها.

ـ قال الحكيم: يا لسوء الطالع.

ـ باندو... ثم توقفت ساتيافاتي للحظة ونظرت إلى الأرض بتوتر ومن ثم استجمعت شجاعتها وواصلت بصوت منخفض، لن يكون له أبناء، لن يستطيع فاللعنة قد حلت عليه أيضاً.

سادت بعد ذلك برهة صمت، تكلم بعدها بشما بمرارة قائلاً لقد كرست حياتي بأجمعها لتعزيز كوروس العظيم، والآن لم يعد هناك شيء يمكن أن يقدم. كان صوته منخفضاً وحزيناً.

ـ إني أنا الخاطئة، تدخلت ساتيافاتي بقول ذلك، لقد ألزم بشما نفسه بالنذر إكراماً لي ولم يعاقبني الإله سيفا لحد الآن على ما ارتكبته من ذلك، ألا تستطيع أن تفعل شيئاً لإنقاذ نسل باراتا النبيل؟.

ـ قال بشما بصوت منخفض وثقة النفس، ليس ذلك كل شيء، فلو عرف العالم البؤس الذي يهددنا فإن عظمة كوروس ستضيع للأبد.

تساءل الحكيم فيدا فياسا قائلاً: وأي بؤس جديد؟ أخبرني يا بشما المبجل.

ـ إن كونتي، زوجة باندو تستطيع البقاء والعيش دون أطفال لذا قررت أن ترمي بنفسها في النار.

ـ تدخلت ساتيافاتي قائلة وقد وضعت يدها على جبهتها بحزن، أوه أتمنى لو مِتُّ. رأى فياسا وجه أمه يعلوه البؤس والحزن لذا تكلم بصوت رقيق فقال، يا أمي لا تدعي اليأس يسيطر عليك، فخلال السنين الماضية صارعت القدر وحققت الإنتصارات وكذلك بشما المبجل.

ـ ولكن يا كريشنا ما الذي سيحدث حينما يلحق بآبائه وأجداده؟

ـ يا أمي أعلم ما الذي يزعجك، إني ازعج نفسي ان كوروس ليسوا مجرد ملوك إنهم الأوصياء على اريا ظارما. وإذا ما اضمحلت امبراطوريتهم فإن الارتباك سيحل وستخفى تعليمات ظارما.

ـ قال بشما، أيها الحكيم إنك تنفذ ظارما لأجلنا، وعليك أن تساعدنا الآن، إنك وحدك من بين جميع الحكماء من يستطيع أن ينير لنا الطريق.

ـ هل كونتي هنا؟.

ـ نعلم لقد جلبناها هنا، إذ لانريد أن تعرف هاستينابورا ما نمّر به، قال ذلك.

في مكان آخر من القصر جلست بريثاً أمام ممرضتها العجوز، صورة بائسة لقد كانت أخت فاسوديفا ولكن الملك كونتي يوجا كان قد تبناها وعرفت باسم كونتي، لقد كانت في السابق جميلة مليئة بالحيوية ولكنها الآن ضعيفة هزيلة باكية العين ليلاً ونهاراً.

وحينما شاهدت كونتي الحكيم قادماً نحوها نهضت وارتمت على قدميه وراحت تنتحب بمرارة، كانت غير قادرة على الكلام أو الترحيب به كما يجب. أنهضها الحكيم عن الأرض برقة وتنفس في وجهها وطوق كتفيها بيديه وأجلسها على الكرسي بحنان ورقة. جلس على الأرض بقربها على سجادة من الحشائش فرشت له من قبل الممرضة التي باركها ثم طلب منها الانصراف.

ـ كونتي، ما هذا الذي سمعته؟

سيدي، أريد أن أموت.. أموت.. أموت، لا أريد أن أعيش. قالت كونتي ذلك بصوت مرتعش منفعل.

ـ يا طفلتي إني أعلم كل شيء عن اللعنة التي حلت على باندو ولكني لا أريد أن تحزني.

www.alkottob.com

ـ أوه.. إني لن أكون سعيدة وأريد أن أموت.. تعلم كم أحب الأطفال.. لن أرى وجه طفلي ثانية بالرغم من أنه أمام نظري ليلاً ونهاراً يريدني وينتظرني. إني أم قاسية تخلت عنه لحظة ولادته وقد أخذته أنت بعيداً وقد كان جميلاً.. أوه يا سيدي أعذرني لقد جننت فإن كلامي لايدل على احترام لك.. وأوه يا إلهي لن يكون لدي أطفال بعد الآن.. أبداً أبداً، وستبقى ضحكات أطفالي تنتظر الولادة وذلك هو عزائي حتى الموت.. أريد أن ـ أموت.. أموت يا سيدي: إنها الطريقة الوحيدة والمخرج الوحيد من هذا المأزق.

وضع الحكيم يده برقة على كونتي وبدأت ابتسامته وفهمه وتأثيره يؤثران عليها تدريجياً وراحت تتغلب على مزاجها الهستيري.

ثم تكلم الحكيم بصوت مؤثر قائلاً: يا طفلتي ألا تدركين معرفتي بعاطفتك وحبك للأطفال وكم تودين أن تعيشي بينهم ومعهم؟.

ـ يا سيدي إني خجلة من نفسي في أني أكلمك بهذه الطريقة ولكن ماذا أفعل؟

ـ فإني لا أستطيع.

ـ لا تخجلي يا كونتي أن كل امرأة يجب أن تفخر بمشاعر الأمومة. والمرأة التي لا تريد إنجاب الأطفال والتي لا تتحملهم ولا تتحمل العيش معهم فإنها شيطانة، وهي لعنة العائلة ومدمرة لمبادئ ـ ظارما.

كانت كلمات فياسا هادئة مؤثرة وقد ذكرت كونتي بآمالها الخائبة وراحت تبكي ثانية بتشنج.

راح الحكيم يمسح شعرها وكأنه أم حنون قائلاً، إن آمالك يا كونتي ـ ستتحقق وإن نسل كوروس لن يضيع أليس في ذلك الكفاية؟

نظرت كونتي إلى الحكيم بعينين كابيتين دامعتين ولكن مليئتين بالأمل

صمت الحكيم لبرهة ثم تكلم قائلاً، اصغ يا كونتي إن الأقدمين المبجلين قد قالوا إذ أريد لظارما أن تبقى فإن على العائلة المحافظة عليها بأي ثمن وأن الأم الحنون التي تعبد زوجها وتعيش من أجل أطفالها هي أساس ظارما. وقد تمت معاقبة المارقين.. من قبل العرافين القدماء، لذا سيكون لك أطفال إذا أطعت القسم الذي أقوله لك.

ـ سأفعل أي شيء تطلبه، قالت ذلك وقلبها يخفق ولكني لن أكون غير صادقة مع سيدي. الأفضل من بين كوروس.

ـ سوف تبقين طاهرة، وسيأمرك باندو ويوافق الجميع وسأمنحك الدعاء للإتصال بالآلهة. وبقراءة الدعاء ستتواصلين مع آلهة النور ويباركونك وتقدمين جسدك تضحية بعد انتهاء الطقوس، وأثناء ذلك عليك ألا تفكري برجل آخر سوى زوجك وعندها فإن الإله رب الأرباب مهاديفا سيباركك.

ـ سيدي، سيدي وهل سيكون ما أفعله صحيحاً، تساءلت كونتي بعمق وحرارة.

ـ إنه صحيح يا طفلتي فإن المرأة الشابة حيث تكون أماً فاضلة وتبقى وفيّة لزوجها فإن تلك مرحلة عليا في شريعة ظارما. وسيكون لك أولاد كثر وستعيشين معهم وسيكونون مكرسين لشريعة ظارما.. افرحي فإني أنا ابن ساتيافاتي أعدك بذلك.

راح قلب كونتي يخفق بفرح لم تعرفه منذ أشهر.

www.alkottob.com

8 ـ ناندا يزور ماثورا

تعتبر فامن أفضل أرض في فراجا، غير أن عيون المياه قد جفت، وأصبحت جوكول أفضل قرية في فراجا مليئة بالحزن، جفت فيها مياه الآبار ولم تعد الأبقار تجد ما يكفيها من مياه وأصيبت بالهزال ولم يعد الناس يرقصون أو يغنون. وكان ناندا زعيم شورا يادافا في جوكول يراقب الموقف بقلق ويراقب السماء أن تمطر، وكانت بقراته الثلاثمائة تشبه الملكة الجالسة على عرشها لم تعد تجد ما تقتات به من حشائش وأصيبت بالهزال بسبب العطش، البعض منها نفق وهي تنظر إلى السماء وتنتظر. لم يهتم ناندا كثيراً بأبقاره فبالنسبة لسكان جوكول كانوا ينظرون إليه باعتباره الأب الحكيم وكانت زوجته ياشودا أشبه بالأم بالنسبة إليهم حيث جمعت النسوة وأقنعتهم لجمع مصادر عيشهم سوية لئلا يموت أحد من الجوع أو العطش، ولم يحدث مثل ذلك سابقاً في فراجابومي فمثل هذه المآس تقع فقط حينما يكون الحاكم شريراً. وليس هناك من شك من أن آثام كامسا قد جلبت غضب الآلهة عليهم وكان ذلك قول متداول في فراجا. وحتى في ماثورا كان الجميع يرهب كامسا عدا المقربين إليه.

في هذه الأثناء كانت ديفاكي قد ولدت ستة أطفال وتم قتلهم جميعاً على يد كامسا وفي كل مرة يقتل فيها طفل جديد يرتعب السكان وكانوا يأملون أن تصدق النبوءة وأن هذه الأعمال ستؤدي إلى ولادة المنقذ قريباً.

وفي أحد الأيام ارتحلت عائلة جارجا شاريا، عائلة قساوسة آل شورا نحو جوكول في رحلة طويلة لمناقشة الموضوع مع ناندا. وقد امتلأت

عيون آل جارجا بالدهشة غير أن وجه ناندا بقي مشعا بالإبتسامة والثبات، وفي اليوم التالي كان آل جارجا قد أنذروا ناندا، جاء رجال كامسا إلى جوكول. وكان الأمير قد أمر ناندا بالمثول أمامه في ماثورا وقالوا إن ناندا قد قرر إطاعة الأوامر. لذا تحركت ثماني عربات وسافر زعيم جوكول إلى ماثورا مصحوباً بعشرة محاربين شاكي السلاح.

وخلال السنوات الست الماضية تزايد إحباط كامسا، فلم يعرف الهدوء وبدأ يشك أن أي رجل هو بالضرورة ضده، فلم يعرف الراحة وبقي يخطط لقتال الأعداء الحقيقيين و الوهميين. ففي الليل نادراً ما ينام حيث يعتقد أن رجالاً سينقضون عليه و أن آل يادافا ينتظرون قدوم المنقذ. و بالرغم من أن المنقذ لم يأت بعد فقد كان كامسا يراه ليلاً و نهاراً أمام ناظريه. و كانت التقارير ترد إليه عما يتحدث به الناس رجالاً و نساء عن قرب مجئ المنقذ، لقد بدأ يشعر أن شبكة غير مرئية تحيط به و تطبق عليه. وغالباً ما كان يرى كوابيس مزعجة في نومه، وكان يستيقظ وقلبه يخفق بشدة وجسمه يرشح عرقاً وعندها يرى المنقذ قادماً وكل يوم صباحاً يستيقظ و هو يكزّ على أسنانه ويقسم اليمين على أنه سيمضي في سبيله مهما كان الثمن. ثم حل الجفاف الذي جلب معه الإضطرابات وراح كامسا يشاهد الحقد في كل نظرة وقرر أن يرعب آل يادافا، لذا تحرك رجاله في أنحاء البلاد يستولون على قطعان الأغنام ويصادرون الأراضي من الفلاحين.

أما كامسا الذي حكم الرقابة على ديفاكي فراح يحسب الأيام المتبقية لها قبل ولادة طفلها السابع، أو ربما هو الثامن؟ وكان كامسا يخطئ في العد أحياناً.

و استلم كامسا تقارير عن شدة ابتهاج آل شورا بهذه الأخبار وكيف كانوا يتحدثون بصراحة عن قرب مجئ المنقذ. وكان ناندا الأقوة من بين

www.alkottob.com

الشورا وزعيم قبيلته ولم يكن يتحدث بصراحة عن المنقذ غير أن كامسا علم أنه يقاسم الآخرين قناعتهم بمجيء المنقذ.

وحتى الآخرين من قبائل يادافا راحوا يتساءلون.. لذا كان لابد من فعل شيء مثير، لذا استدعى ناندا لملاقاته. نظر كامسا نحو ناندا بغضب حينما مثل تحت قدميه. وقد بقي مرافقو ناندو من آل شورا واقفين كالتماثيل خلفه صامتين باحترام. بعد ذلك قال كامسا لـ ناندا، ناندا كنت دائماً أعتقد أنك رجل حكيم غير أنك لم تدفع الجزية عن السنة الماضية ماهي أسبابك يا ترى؟.

ـ أيها الأمير النبيل كما تعلم فإن هناك جفافاً، ثم جاءت هذه المجاعة ونحن نموت جوعاً أن أغنامنا تموت عطشاً. فكيف ندفع الجزية؟ ومن أين؟ أجابه ناندا ويداه متشابكتان ووجهه لا يزال مبتسماً.

ـ لا أهتم من أين تجلب الجزية ولكن يجب دفعها إذ عليّ أن أدير مملكتي وإذا لم تدفعها أفتعلم ما الذي سيحصل لك؟ سأقول بأخذ جميع أراضيك وسيقوم رجالي بأخذها منك وزرعها أفضل منك.

ـ أجابه ناندا قائلاً إنك المهيمن أيها الأمير النبيل غير أن الأرض ملكنا إنك سيدنا ولكن الفلاح هو أيضاً سيد أرضه، وقد دفعت عائلته وأجداده حياتهم ثمناً لها. إني لست رجلاً متعلماً غير أن سلب بوصة واحدة من أرضه الأغلى من حياته لا تعادل شريعة ظارما. إن أميراً نبيلاً مثلك لن يقدم على إيجاد تشريع مثل ذلك فإن الآلهة لن تسامحك.

ـ إني على استعداد لإيجاد مئات القوانين إذا كان في ذلك عائد مالي أحصل عليه وإذا كان ذلك يعزز قوتي، فعليّ أن أطعم جيشي وخدمي وإلا فكيف أستطيع ذلك؟ والآن قل لي متى ستدفعون الجزية؟

ـ سندفعها بالتأكيد حينما تشاء الآلهة وتمن علينا بالمطر وتمنحنا

أغنامنا الحليب الكافي، قالها ناندا وعيناه تبرقان.

ـ حسناً يانائدا سأنتظر سأدعك وقومك تذهبون هذه المرة ولكن إن تفوهتم علي بكلمة سأقتلك وأقتل المقربين منك. فما هذا السخف الذي يدور حول المنقذ؟

هل تفكرون في موتي؟

ـ المنقذ! ومن الذي يتكلم عنه؟ تساءل ناندا وعيناه تبرقان ولايزال مبتسماً.

ـ آل شورا يفعلون ذلك، أخبرهم أن يصمتوا، صرخ كامسا بغضب.

ـ قال ناندا، كما يأمر مولاي.

ـ صرخ كامسا ثانية، والآن اذهب.

ـ لدي طلب أن شاء مولاي أن يسمعه.

ـ وما هو؟

ـ هل أتكلم؟ وعيناه تدوران من طرف لآخر. إن أردتني أن أتحدث إلى آل شورا دعني أقابل زعيمي فاسوديفا وعندها أستطيع أن أتحدث إليهم نيابة عنه أيضاً.

ـ افعل ما تشاء لكن إن كان سلوكك غير مرض لي فستفقد كل بوصة من أرضك.

ـ أنا سيد الأرض، قال ناندا ذلك وانسحب من أمام الأمير. وقد قيل فيما بعد أن ناندا ذهب بصحبة اكرورا زعيم فرشني وجارجا شارياً قسيس آل شورا وزاروا فاسوديفا وديفاكي وقد كانت روهيني زوجة فاسوديفا الأولى والتي أصبحت فيما بعد أماً. حاضرة أيضاً. وقد تعانقوا بود ومحبة. وقد بدا الأمر ميئوساً منه إذا لم يستطيعوا أن يفكروا بأي احتمال للهرب من قبضة كامسا. بعد ذلك تكلمت روهيني وخداها يشعان

www.alkottob.com

والجميع مصغ لها باحترام وقد قررت كما قالت أن تجد طريقة ما.

حيث قالت إن النبوءة أن تتحقق وكانت تتكلم ودموعها تنهمر على خديها.

في صباح اليوم التالي غادرت روهيني إلى جوكول مع ناندا غير أن العربات التي جلبت رفاق ناندا إلى ماثورا لم تتحرك جميعاً نحو جوكول عدا واحدة هي تلك التي سافر بها ناندا مع روهيني أما الأخريات فقد تعطلن في مختلف مراحل الطريق.

وفي تلك الليلة رأى كامسا حلماً حيث شاهد نفسه يحمل سيفاً ويدخل غرفة ديفاكي حيث كانت قد ولدت ولدين كانا يلعبان سوية وكان الثامن جميلاً يشبه اللوتس الأزرق يكبر حجمه لحظة بعد أخرى، وشعر كامسا أن يده التي كانت تحمل السيف قد شلت ولم يصدق عيناه والطفل ذو وجه يشع جمالاً يلبس تاجاً وبيده قرص. وقد بقي هو ساكناً حينما رماه الطفل بالرقص الذي جاء نحوه ليحز رأسه... وقد شاهد رأسه وهو يتدحرج أمامه على الأرض ويسقط في بركة من الدماء ثم الطفل وهو يبتسم ويبتسم.

بعد ذلك استدعى كامسا بوتانا زوجة براديوتا الكريهة، رئيس حرسه الذي عينه لمراقبة ديفاكي ذلك أنها كانت مستشارته السرية وقد أخبرها عن الحلم الذي شاهده. وقد أمر كامسا بوتانا أن تتأكد إن كانت ديفاكي على وشك الوضع. وقد ذهبت واستفسرت وأفادت بأن ديفاكي تحتاج لما لايقل عن ثلاثين يوماً قبل أن تلد، عندها تنفس كامسا الصعداء.

9 ـ ولادة بلارما

لعشرة أيام بقي فاسوديفا وديفاكي يصليان للإله، فقد أعطاهما وعداً وهو ملزم بتنفيذه، بعد ذلك علمت ديفاكي أن وعد فياسا سيتحقق وكانت سعيدة بذلك. وقد شاهد حرس القصر الحب والإيمان الذي واجه به فاسوديفا وديفاكي سجنهما، وقد ذابت قلوبهم وأصبحوا هم أيضاً قلقين وهم يرون رئيس آل شورا والأمراء وهم يأتون دون أذى. وكانوا قد سمعوا بنبؤة فياسا وعلموا بإيمان اكرورا بحتمية مجيء المنقذ وفي قلوبهم تمنوا أن يتم ذلك بسرعة.

في اليوم العاشر وبعد أن غادر ناندا رئيس جوكول، ماثورا وعند الفجر شوهد قارب يتسلل إلى مرسى القصر حيث كان فاسوديفا وديفاكي في السجن. ونزل أحد الرجال الثلاثة الذين كانوا في القارب وبيده صرة، وجاء اكرورا الذي كان مع جارجا شاريا، مع فاسوديفا ونزل درجات المرسى.

ـ قال الرجل الشاب، ها قد جئت يا سيدي، وأشار اكرورا إلى الصرة التي كانت بيده بصمت.

ـ نعم، المولودة فتاة.

رفع اكرورا عينيه وراح يصلي بصمت.

كان هناك حارسان يقفان في نوبتهما، قال اكرورا لهما بهمس: لقد دعا جارجا شاريا هذا الشاب كي يقرأ الدعاء لإنقاذ حياة الأميرة

www.alkottob.com

ديفاكي. أرجو أن تذهبا وتخبرا سيدكما النبيل كامسا أن الأميرة ربما تلد ولداً.

فتح الحارسان عيونهما واسعة بدهشة وركضا لنقل الخبر.

وكان جارجا شاريا مع إمرأتين عجوزين ينتظر وصول الشاب. ولدقائق بقيا يتكلمان همساً.

وكان فاسوديفا جالساً بجانب ديفاكي المضطجعة على الفراش وعيناها مغمضتان، ويدها في يده.

بعد ذلك أشار جارجا أن تذهب ديفاكي مع المولدات إلى الغرفة الداخلية.

قال جارجا واضعاً يده على رأس ديفاكي، عسى الإله أن يمنحك القوة يا طفلتي.

أجابته باسمه، لا تزعج نفسك سأذهب قرب النار، لن يحصل لي أي مكروه، فمنذ يومين شعرت وكأن انانتا الآلهة ذات الألف تجسيد كانت هنا لحمايتي، بعد ذلك شبكت يديها ومستّ الأرض أمام زوجها والمعلم وخرجت مع المرأة العجوز. وقام الشاب بتسليم الصرة إلى إحدى النسوة ولفترة كان كل شيء هادئاً بعد ذلك راحت ديفاكي تصرخ ألماً وأصبح الصراخ على فترات متقاربة وفي النهاية كانت هناك صرخة مرعبة مزقت السكون.

وكان جارجا شاريا واكرورا وفاسوديفا غير قادرين على التنفس تقريباً لطول الانتظار ثم سمعوا بعد ذلك صراخ المولود الجديد قوياً وحاداً، مرّ بعض الوقت وهدأ صوت الطفل وجاءت إحدى العجائز إلى حيث يقف الرجال قائلة:

ولد، وقوي جداً جداً، وأسفر فمها الخالي من الأسنان عن ابتسامة

وقالت فرحة تعالوا جميعاً، خطا الرجال بخفة نحو الغرفة واسترقوا النظر من خلال الباب المفتوح حيث شاهدوا على ضوء شاحب ديفاكي مستلقية في الفراش شاحبة ومرهقة. وبجانبها الطفل كامل الهيئة. قال اكرورا دعونا لا نضيع الوقت فقد ذهب الحراس لإبلاغ كامسا وربما يأتي في أي لحظة ابتسمت ديفاكي بعذوبة قائلة، نعم أعلم، واحتضنت الطفل وكأنه شيء ثمين جداً بعد ذلك أشارت إلى إحدى النسوة أن تأخذه ومسحت دموعها.

أخذت المرأة الطفل الذي راح يبكي ثانية حيث غسلته ووضعته على الأرض قام جارجا شاريا بالتقاطه وربط خيطاً أسود في عنقه وهو يقرأ الدعاء.

ـ تساءل جارجا شاريا، ماذا نسميه؟

سأل فاسوديفا ديفاكي قائلاً وهو يشعر بالزهو من بطولة زوجته ما هي رغبتك يا ديفاكي؟

ردت قائلة، إنه قوي جداً سمه بالا.

والتفت فاسوديفا نحو المعلم قائلاً، وماذا تسميه أيها المعلم؟

أجاب جارجا شاريا وهو يبتسم، إني أسميه سانكارشانا، فهو لم يولد ولكنه انزلق أخذ فاسوديفا الطفل من جارجا وضمّه إلى صدره بحب وأعطاه للشاب الذي ترك الغرفة فوراً مع اكرورا. وهرع الحراس إلى قصر كامسا لإعلامه بأن ديفاكي قد ولدت، وانتقل الخبر من حارس لآخر. وقفز قائد الحرس براديوتا من فراشه حينما سمع الخبر وركض ليخبر كامسا قائلاً له، لقد ولدت الأميرة ديفاكي طفلاً يا سيدي.

استيقظ كامسا وفرك عينيه وامتشق سيفه وطلب إحضار عربته وأمر قائد الحرس أيضاً أن يجلب زوجته بوتانا معه. تلبسته ضراوة وحشية

www.alkottob.com

أوقفته قليلاً وراح يفكر ربما ولدت ديفاكي توأما حيث لم يكن قادرا على الخلاص من تأثير الحلم الذي رآه قبل عشرة أيام.

مزقت حوافر الخيل وصرير العربة سكون الصباح المحيط بالقصر الذي توجد فيه ديفاكي وفاسوديفا ودخل كامسا القصر متبوعاً من براديوتا وزوجته. وكان جارجا شاريا وفاسوديفا واقفين في المدخل جاهزين لاستقباله؟

ـ صرخ كامسا، أين الأولاد؟

ـ تساءل جارجاشاريا، الأولاد؟ أي الأولاد؟

ـ التوأم اللذين ولدتهما ديفاكي.

ـ قال فاسوديفا، ليس هناك أولاد ولا حتى ولد واحد، هناك بنت واحدة ولدت.

ـ انفجر كامسا غاضباً وصرخ، إنك تكذب وهمّ بالتوجه نحو الغرفة حيث تضطجع ديفاكي ثم قال إلى بوتانا، اذهبي وتأكدي بنفسك أين الفتاة؟

أجاب جارجاشاريا، ها هنا، ورفع العجوز قطعة قماش تغطي الجسد الميت الذي جلبه الشاب من جوكول.

نظر كامسا نحو الجسد الميت بانبهار ثم صرخ، وكأنه أفاق من حلم، نحو بوتانا وزوجها، فتشا البيت جيداً، لاشك أن هناك حيلة ما. وقاموا بتفتيش البيت دون جدوى.

عاد كامسا إلى قصره خائباً، وتحول غضبه إلى كآبة وكانت الأشياء تتشكل بطريقة لم يكن يتوقعها لقد شعر بقوى غير مرئية تطبق عليه.

بعد فترة قصيرة استرخى وراح يفكر، كان ذلك هو طفل ديفاكي السابع والثامن سيأتي وهناك وقت كاف لإتخاذ الحيطة والحذر، كان يود

أن يقتل ديفاكي فوراً ولكن إن هو أقدم على ذلك فإن والده وعمه سينتحران وسيثور عليه آل يادافا، لا، عليه أن ينتظر حتى الطفل الثامن.

وكان الشاب الكاهن طبيباً، فقام بإطعام الطفل.

وقبل أن ينبلج الفجر وصل إلى جوكول حيث أعطى الطفل إلى روهيني زوجة فاسوديفا الكبيرة والتي ضيفة على نانداً. شاهدت الطفل وملامحه الشبيهة بزوجها وكانت شديدة الفرح.

وقامت بإطعام الطفل ووضعته في مهد ونامت. وحينما استيقظت جمدت من الخوف حيث شاهدت أفعى ضخمة ملتفة على المهد وانتظرت روهيني بذهول وكانت لحظات طويلة كالدهر فلم تكن تستطيع الصراخ فربما تلسعه الأفعى حينما تعبّر عن خوفها ومرّت لحظات التوتر وبقيت الأفعى تتراقص لفترة وبعد ذلك انسحبت تدريجياً وذهبت روهيني نحو المهد وكان الطفل نائماً وابتسامة على شفتيه.

www.alkottob.com

10 ـ الطفل الثامن

عمت أجواء التوقع فراجا، وراح كل قلب يخفق مترقباً، فديفاكي زوجة فاسوديفا زعيم آل شورا كانت تتوقع ولادة طفلها الثامن وباقتراب الموعد المحدد بدأت تتفتح مثل زهرة في الربيع وأخذ عقلها وجسمها يعيشان فرحاً غامراً، وأصبحت عيناها تشعان أملاً لم تعرفه من قبل وبذات الوقت كانت قلقة فقد كان من الصعب عليها أن تصدق أن إمرأة ضعيفة لا حيلة لها سيئة الحظ مثلها ستلد إلهاً، وهل سينقذ آل يادافا من كامسا؟ أم ربما سيقتل هو الآخر على يد ابن عمها الشرير؟ وبالرغم من هذه الشكوك فلم يفارقها الإيمان فلابد أن تتحقق نبؤة الحكيم نارادا ووعد فيدا فياسا.

ومع اقتراب موعد ولادة ديفاكي بدأ كامسا يتخذ احتياطات كثيرة فقد قام بسحب جميع الخدم من القصر الذي تحتجز فيه مع زوجها ومنع حضور القابلات إليها وبدلاً من ذلك جلب بوتانا وزوجها براديوتا قائد الحرس ليعيشا معها. غير أن ديفاكي كرهت بوتانا ومنعتها من الإقتراب منها.

وبذات الوقت حرص فاسوديفا على ألا يجعل ديفاكي تشعر بالوحدة أو بعدم وجود الخدم.

وقد أحب ضعفه وزوجته الجميلة وكان يلبي جميع احتياجاتها الصغيرة فكان يشاركها صلاتها ويخفف عنها حينما تكون في ضيق وفي كل مساء يجلس بجانبها وهي مضطجعة في الشرفة تنظر إلى مياه نهر

يامونا وتتحدث عن الأبطال القدماء. وقد تحدثا عن الإله وجلاله وعن اتحاده بالإيمان وأحياناً حينما يتكلمان عنه يشعران وكأنه ينتصب أمامهما ويمد يده ليباركهما.

ملأ التوقع والإنتظار ماثورا وكذلك القرى والأديرة في فراجابومي فخلال التسع سنوات ظل الجميع يتطلع لليوم الذي يلغى فيه تشريع كامسا، وفي كل مرة كان كامسا يقتل أحد أطفال ديفاكي يبدأ الناس باحتساب الزمن الذي سيأتي فيه المنقذ، والآن كاد الوقت أن يأتي لذا راحوا يستخيرون النجوم ويصلون للآلهة لترسل إليهم المنقذ حالاً. وراح الحكماء في الأديرة المنتشرة على ضفتي نهر يامونا يصلون ويقدمون القرابين تقرباً للآلهة، أما الكهنة فلم يكونوا يفعلون أي شيء دون أن يصلوا ويتضرعوا لقدوم المنقذ. وفي هذه الأثناء فإن كامسا أصبح خائفاً فقد استطاع أن يسحق أعداءه من آل يادفا وهجر العديد من رؤسائهم فراجابومي، وراح البعض منهم يمجده علناً ولكن يصلى سراً من أجل سقوطه، وقد بقي حراسه وعملاؤه أوفياء له لأنه هو الوحيد الباقي لهم أمام غضب آل يادفا وبمرور الأيام أصيب كامسا بالهلع وكانت التقارير اليومية التي تبين انتظار الناس لقدوم المنقذ تثير أعصابه وحنقه. لقد أصبح يشكك بكل شيء وأصبح يستثار حتى من الأشياء الصغيرة وغالباً ما يكون شارد الذهن. لقد جفاه النوم وحتى في منامه كان يرى كوابيس وبموجب أوامره كان يتم تغيير الحرس المكلف بمراقبة فاسوديفا وديفاكي يومياً وصدرت الأوامر بألا يروا أحد عدا جارجارشاريا قسيس العائلة الذي يحضر الطقوس اليومية التي يمارسها فاسوديفا. وكانت بوتانا التي تعيش معهم ترسل رسالة يومية إليه عن حالة ديفاكي الصحية وخوفاً من حدوث هياج شعبي إذا ما أقدم على قتل الطفل الثامن فقد أرسل حراس ماجاظان لتطويق المدينة.

في اليوم الثامن من شهر سرافان ويعد نهار مليء بالرعود والبرق والمطر

www.alkottob.com

الغزير والعواصف وحوالي الظهر وبرغم الجو العاصف، حضر جارجاشاريا للقيام بالطقوس اليومية في القصر وبعد الإنتهاء منها احتضن القسيس فاسوديفا وهمس برسالة في أذنه.

استمر المطر ينهمر بغزارة حتى الغروب، هبطت الظلمة على المدينة وكانت بوتانا قد ذهبت إلى بيتها في الصباح ولم تستطع العودة إلى القصر بسبب طوفان الطرقات، وكان الحراس يرتجفون من البرد لذا أغلقوا عليهم غرفهم تاركين أبواب القصر مفتوحة لها.

كان القصر تكتنفه الظلمة عدا المصابيح النفطية التي تلقى بضيائها الخابي في الغرف حيث تستلقي ديفاكي، وفاسوديفا بجانبها. انهمر المطر بغزارة وبقوة، واستيقظت ديفاكي مذعورة وفي اللحظة التالية أمسكت يد فاسوديفا في محاولة للتغلب على الألم، كانت عيناها الفرحتان مليئتين بالدموع وظلت تنظر لزوجها نظرة عبادة.

ـ الإله، إنه يأتي، محاولة كبت ألم اللحظة.

وقام فاسوديفا بأخذها بكل حنان إلى الغرفة الداخلية.

عند منتصف الليل، استمر المطر يهطل والبرق يتلامع ولدت ديفاكي ودون محاولة منها حينما كانت النجوم الثابتة في الأفق الشرقي. وقام فاسوديفا بدور القابلة وحمل الطفل بين يديه، أملهم الوحيد. وكان طفلاً كامل الهيئة لونه كلون اللوتس السماوي الأزرق. لم يكن يبكي كمثل الأطفال حديثي الولادة ولكنه يبتسم ابتسامة جميلة ترتسم على شفتيه الصغيرتين.

شعر فاسوديفا بالدوار وهو يرى الطفل، فللحظة رأى الإله يتجسد أمامه بكل جلاله يحمل في يديه الصولجان، القرص، المحارة واللوتس، لقد تحققت نبوءة فيدافياسا.

وانتبه فاسوديفا إذ عليه أن يقوم بدوره الآن، ترك الطفل مع ديفاكي برهة وحمل مصباحين نفطيين بيديه ومشى نحو الشرفة وراح يحركها وعبر النهر جاءه الجواب حيث التمع ضوء في البعيد.

عاد فاسوديفا إلى ديفاكي وقام بغسل الطفل وتنظيفه وقام بتغليفه بقطن مغمس بالعسل ووضعه في السلة.

ـ ديفاكي، علي أن أذهب الآن.

ـ ولكن كيف ستذهب؟ إنها تمطر والعاصفة قوية والنهر قد فاض أجاب فاسوديفا، يجب أن تنفذ مشيئته، وذهب ليرى ما يفعله الحراس، وكان الحراس ينامون خلف أبواب مغلقة ولم تكن بوتانا قد عادت من بيتها وأبواب القصر مشرعة.

لف فاسوديفا الطفل في عباءته، ووضعه في سلة غطاها بسجادة صغيرة وحمل السلة على كتفيه وخرج من القصر. وعلى بعد حوالي 440 ياردة كان النهر قد فاض على الضفاف الحجرية التي تحيط به ومشى فاسوديفا والسلة على رأسه حيث ينام الطفل آمناً وابهامه في فمه. في هذه الأثناء حصلت معجزة إذ توقف المطر عن الهطول وغلفت سحابة سوداء منخفضة تشبه أفعى الكوبرا السلة.

توجه فاسوديفا نحو المخاضة وعبر نهر يامونا بسرعة رغم أن المياه كانت متلاطمة. وعلى الضفة المقابلة وتحت شجرة كان جارجاشاريا ونانداً يقفان، وقام جارجاشاريا بالتخفيف عن فاسوديفا وسلمه سلة أخرى سأله فاسوديفا، طفل من هذا؟

ـ لقد ولدت ياشودا ابنة، هذا الصباح

ـ امتلأ فاسوديفا فرحاً وقال لـ نانداً.

ـ كيف لي أن أفي جميلك يا نانداً؟

www.alkottob.com

مسّ ناندا قدمي فاسوديفا قائلاً، يا إلهي، إنك السيد وكل ما أملك ملكك أخذ ناندا السلة من يدي جارجاشاريا، وانزاحت السجادة الصغيرة، التمع البرق، وشاهد الطفل الجميل، شاهد عينيه الصغيرتين وهما تتفتحان وتغلقان وملأت الفرحة الغامرة قلب راعي البقر العجوز.

فقد ولد المنقذ.

11 ـ استراتيجية كامسا

كان كامسا غير سعيد، فسنوات التوتر والقلق خلقت له كوابيس مقيمة. وكان يخشى أن تتحقق النبوءة برغم جميع ما فعل ودونما شك فقد اتخذ جميع الإحتياطات ضد الخطر. فالحراس الذين كانوا يحرسون فاسوديفا وديفاكي كانوا من المؤتمنين وبوتانا كانت موثوقاً بها وهي المسؤولة عن ديفاكي ولم يكن يسمح لأحد بدخول القصر عدا قسيس العائلة جارجارشاريا الذي يأتي صباح كل يوم للقيام بالطقوس اليومية وتكون أثناءها بوتانا حاضرة.

وفي ليلة الثامن سرافان لم يستطع كامسا النوم حتى للحظة فقد شعر بخوف فظيع وقد أخافه تصفيق الرعد الذي شعر أن قلبه يردده صداه. وحينما كان البرق يومض كان يرتجف.

وقد نزل من غرفته إلى الصالة السفلية وراح يفكر فمنذ عشر سنوات كان ينتظر هذه المناسبة، التي قد تأتي في أية لحظة وعندها سيقتل طفل ديفاكي الثامن ولن تتحقق النبوءة.

مشى بخطوات تعبة إلى النافذة وفتحها لينظر إلى السماء غير أنه لم يستطع إذ أغرقه المطر المنهمر لذا أغلقها وراح يعبث بشاربه لم يخف كامسا من الخطر الذي يعشعش في مخيلته غير أن قلق السنوات المتراكم هاجمه وزحف عليه.

فلم يعد هناك من يلجأ إليه، فشعبه يخشاه، وكذلك زوجتاه، وحتى

www.alkottob.com

المقربين إليه كانوا يخشونه وهو نفسه كان خائفاً، وقد راح يطمئن نفسه قائلاً، متى ما تخلصت من طفل ديفاكي الثامن فسأضع نهاية لهذا الخوف وفجأة أنير ضوء الغرفة، لقد حلّ النهار رغم أن السماء كانت مظلمة والمطر لم يتوقف وراح خوف كامسا يتراجع.

ها قد حل النهار وستأتي بوتانا إليه لتعلمه أن ديفاكي لن تلد بعد وذلك سيتعبه قليلاً إذ يعني ليالي أخرى من القلق غير أنه سيكون مهدأ مؤقتاً وأخيراً جاءت بوتانا وانحنت أمامه قائلة، أيها الأمير العظيم لقد ولدت الأميرة ديفاكي بنتاً.

تساءل كامسا بقلق، وهل أنت متأكدة؟

وفي محاولة للسيطرة على انفعالاتها تجرأت بوتانا وكذبت بشجاعة قائلة، تمام التأكد لقد ولدت بحضوري.

غير أن كامسا لم يكن متأكداً، فالمولد الثامن يجب أن يكون ولداً إن كانت النبوءة حقيقية، ولكن هل عليه أن يقتل البنت كذلك؟ ولم يترك الأمر للاحتمالات؟

صرخ بصوت عال، أعدّوا عربتي، وأمسك برمح في يده وسرعان ما تحرك نحو القصر حيث يحتجز فاسوديفا وديفاكي.

وبخطوات ثابتة دخل كامسا الغرفة حيث ديفاكي.

صرخ قائلاً: أين الصبي؟ أعطوني إياه

ـ إنها فتاة وليس صبي، وتساءل فاسوديفا ولكن لم تريد قتلها؟

ـ صبي أم بنت يجب ألا تعيش، تكلم وهو يجرد سيفه قرب المهد حيث الطفلة تنام.

وشبكت ديفاكي يديها وبعينين دامعتين راحت تكلمه قائلة، يا أخي لِمَ أنت قاس هكذا؟ اترك لي أحد أطفالي حياً، ما الذي يمكن أن تفعله فتاة

صغيرة مثل هذه لأمير قوي مثلك؟ واحتضنت الطفلة وتنهدت حتى كاد قلبها يقلع.

أخذ كامسا الفتاة من المهد وأمسكها من رجليها حيث رأسها يتدلى للأسفل، وفجأة أحس بعدم توازن فقد بدأت يداه ترتجفان، أصيبت يده التي تحمل الطفلة من أجل أن ترميها على الأرض بالخدرة وانزلقت الطفلة من يده تبعها صرخة مرعبة وطارت من الشباك!.

وغامت الغرفة من حوله وأصبح كل شيء معتماً وبينما كامسا يخرج من الغرفة سمع صوتاً غير مألوف يصيح به. من سيقتلك مستقبلاً قد ولد وهو في مكان آخر.

لم تعد ركبتاه قادرتين على حمله وصدى الصرخة يرن في أذنيه وركضت بوتانا نحوه ويديها كوب ماء وجاء زوجها براديوتا إلى جانب الأمير قائلاً:

ـ ألا يود سيدي أن يعود إلى القصر الملكي؟

أجاب كامسا، أخرجوني من هنا، لقد كان مسكوناً برعب فظيع تساءلت بوتانا، وما الذي سنفعله بالأمير فاسوديفا والأميرة؟ وهل أبقى هنا أم أذهب لبيتي؟.

نظر إليها كامسا نظرة بلهاء وكأنه لم يفهم سؤالها ثم تكلم بصوت ضعيف.

ـ دعيهم يذهبون أينما شاؤوا، إلى قصرهم إن شاؤوا، فالنبوءة التي حدثني بها نارادا لم تكن سوى فكاهة، دعيهم يذهبون، بعد ذلك عاد إلى قصره.

في اليوم التالي دعا المجلس الموالي له للإنعقاد، وكان من بينهم برالامبا رئيس مستشاريه، براديوتا وزوجته بوتانا، باهوكا محارب

www.alkottob.com

ماجاظان العجوز، والذي كان قد أرسله جاراساندا إلى ماثورا ليرى ابنتيه.

وقد أخبرهم كامسا عما حدث، وعن الصرخة الغريبة وعن الطفلة التي طارت وعن الكلمات التي سمعها. من سيقتلك مستقبلاً قد ولد وهو في مكان آخر.

وقد تساءل برالامبا كبير مستشاري كامسا قائلاً، سيدي هل لي أن أخبرك الحقيقة؟

هز كامسا رأسه إيجاباً.

ـ أيها الأمير القوي، أخشى أن تكون هذه الكلمات التي سمعتها بمثابة تحذير من الآلهة، فالشعب يخاف منك ولا يجرؤ على الكلام غير أنهم جميعاً بانتظار المنقذ.

وقالت بوتانا، لقد سمعت الصوت كذلك ولا أدري من أين جاء غير أني سمعت من سيقتلك مستقبلاً قد ولد وهو في مكان آخر.

أطرق كامسا برهة ثم عقد ما بين حاجبيه وقال: لن أترك أي شيء للصدفة، اقتلوا جميع الذين ولدوا خلال العشرة أيام الماضية، أو خلال الشهر الماضي، ماذا تقول في ذلك يا باهوكا؟ ثم استدار نحوه.

أجابه العجوز، يمكنك أن تقتل من الأطفال قدر ما تشاء ولكنك لن تستطيع أن تمنع الناس من انتظار المنقذ وطالما بقوا بانتظار الإنقاذ فستكون في خطر.

ـ وكيف يمكننا أن نمنع الناس من انتظار المنقذ؟

ـ سيدي إن الناس جبناء، وسيقبلونك سيداً عليهم إن عاملتهم بقوة وقسوة ولن تستطيع أن تغير مشاعرهم ما داموا يأملون بقدوم المنقذ.

ـ وكيف أحوّل تفكيرهم عن المنقذ؟

ـ سيدي، إن آمالهم تبقى منتعشة بوجود الحكماء والزهاد والكهنة الذين يتحدثون عن الشريعة.

ـ إنك محق فمهما فعلت سيتكلمون عن الشريعة، إنك حكيم يا باهوكا يامن تتلمذت على يد جراساندا ولديك خبرة كبيرة، لنرى ماذا سنفعل؟

ـ سيدي إن الواجب الأول للحاكم القوي يكمن في إطفاء شعلة الأمل بالإنقاذ في نفوس الشعب، هذا الأمل كما قلت يبقى حياً طالما بقي الزهاد.

ـ وكيف لي أن أطفئه؟

ـ يا أميري القوي، لن تستطيع أن تتعامل معهم بسهولة فهؤلاء لايمكن إغراؤهم ولا يخافون ولا يكرهون أحداً، ولايريدون شيئاً لأنفسهم. وهنا يكمن سبب قوتهم. غير أن ذلك ليس كل شيء فهناك الكهنة ذوو القيم الذاتية، الذين يؤمنون بتعاليم فيدا المقدسة والذين يستحضرون الآلهة ويتعلمون الشريعة التي تفوق قدرة وقوة الملوك. ولن يرضوا ما تأمر به بسهولة. وهم يحاكمون كل شيء بما يسمونه الشريعة.

ـ لقد حاولت استمالتهم بالمنح السخية.

ـ لن تستطيع رشوة الحكماء، فليس هناك ما يمكن أن يفسدهم وإذا ما قدمت منحا للكهنة فإن ذلك يسمنهم غير أن قلوبهم العطشى للمعرفة ستبقى كما هي وسيأخذون المشورة من أولئك الرافضين العيش بغنى.

ـ أستطيع قتلهم على وجه التحديد.

ـ سيدي الأمير القوي، لوقتلتهم فسيثور الشعب عليك، وإذا أبعدتهم عن ماثورا فسيؤلبون الأعداء ضدك أينما ذهبوا.

استمع كامسا لما قاله باهوكا بصمت ثم تابع الوزير العجوز قائلاً،

www.alkottob.com

سيدي الأمير القوي هناك طريقة واحدة لتدمير الحكماء والكهنة، افتح خزائنك للشعب، علمهم أن يأكلوا، ويشربوا ويمتعوا أنفسهم، دمر عوائلهم، علم النساء أن العفة ليست شيئاً أمام اللذة، ربّي الأطفال على أن ينظروا إلى آبائهم على أنهم قدماء ودونما فائدة. ومتى ما آمن الناس بالمتع غير المقيدة كهدف لحياتهم فسوف ينظرون ينظرون إلى الكهنة على أنهم مجانين وأنانيون، سيضحكون من الذين يمارسون العبادة بحب وإخلاص.

وحينما تجري أنهار الخمر، ستختفى قيود الذات وسيكون الناس مثل القطيع المسمن بانتظار الراعي. وعندها مهما تفعل سيتحملون بصبر الوحوش وسيطيعون سياطك وكأنها منحة منك.

ـ ذلك طريق طويل يا باهوكا وعلينا اتباعه، وبذات الوقت عليك يا بوتانا أن تبحثي عن عدد الأطفال الذين ولدوا خلال الأيام الماضية وأن تتأكدي من أنهم جميعاً قد تم قتلهم.

12 ـ تمت تسمية كريشنا

أصبحت ديفاكي حرة وعادت لتسكن في قصرها. وصارت تعيش في عالم من الأحلام من صنعها. لقد كان الصبي الأزرق الصغير دائماً أمام عينيها يتشبث بها، يضرب الهواء ويرضع في صدرها وتنفرج شفتاه الحبيبتان عن ابتسامة، وينظر إليها. وحينما تكون لوحدها مع فاسوديفا تحب أن تتحدث عنه فقط، ولم تكن تتعب من الإصغاء إلى زوجها وهو يقص عليها ماذا حدث في تلك الليلة من معجزات، وكيف أنه ومنذ أن أخذه بين يديه شعر بجلال الإله ذي الأيادي الأربعة، وكيف راح يصلي من أعماق قلبه، وكيف فتحت الأبواب بأيد خفية وكيف نام الحراس، وتوقف المطر حينما خطا نحو دوامات مياه نهو يامونا، وكيف غطت السحابة السوداء السلّة التي كان ينام فيها، وكيف جلب طفلة ياشودا دون أن يشعر به أحد وكيف انزلقت من يدي كامسا وطارت من الشباك تتبعها صرخة أثارت الفزع في قلب ذلك الأمير الشرير.

لم تكن ديفاكي ترغب في رؤية أحد عدا فاسوديفا أو جارجاشاريا، فحينما تكون مع أحدهما يمكنها أن تتكلم عن الطفل الذي ملأ قلبها وحياتها حباً. وغالباً ما تفكر به في الليل بـ «جوكول» رغبة منها في معرفة ما الذي يفعله طفلها، رغم ذلك كان عليها أن تكون شديدة الحذر ويجب ألا يعرف أي شخص أن ولدها لايزال حياً.

وفي الليل حينما تنام ويدها على فاسوديفا فإن الشوق يغالبها لرؤية

www.alkottob.com

ولدها، أن تحتضنه وتضمه إلى صدرها وتقبله وتشاهد الفرح يشع من تلك العينين الصغيرتين اللتين تتراءيان أمامها.

وكل أسبوعين يذهب جارجاشاريا إلى جوكول للقيام بطقوس التضحية والقرابين في بيت ناندا وتبقى ديفاكي في شوق ولهفة، وتنتظر عودته وكأن حياتها معلقة، وحينما تعود وتشاهد عينيه تشعان أملاً يخفق قلبها فرحاً وتأثراً. ويهمس قلبها، أنه جيد... إنه جيد، طفلي، منقذي، إلهي...

ويغمرها الحنين أحياناً لرؤية طفلها فتروح تغني أغاني المهد لنفسها، وقد تعجبت خادماتها في البداية من هذا الجنون غير أنهن علمن فيما بعد أن الأميرة قد حرمت بوحشية من طفلها الثامن وأن ذلك الفقدان قد أثر على عقلها.

وفي أحد الأيام لم تستطع أن تقاوم الشوق، فقامت بصنع طفل من طين وصنعت له مهداً، بعد ذلك أصبح شاغلها أن تستيقظ في الصباح مبكرة وتقدم للعبة الزهور والبودرة الحمراء والزعفران، وتهز المهد بقرع الجرس وتقدم الحليب وتغني أغاني عذبة طوال الوقت وتنيمها وتوقظها بقرع الجرس وتقدم له الزهور والفواكه والحليب والعسل.

وكان فاسوديفا وجاجاشاريا يعلمان ما الذي تفعله ديفاكي، فالطفل المصنوع من الطين كان يمثل بالنسبة لها الطفل الذي لا ينسى والتي كانت متأكدة من أنه الإله نفسه.

بينما يفكر الآخرون أنها قد جنت،غير أن ما يشفع لها هو اخلاصها في عبادة الصورة الصغيرة لإلها.

أما ياشودا زوجة ناندا فكانت قد هجرت الأطفال منذ سنين عديدة لذا فقد كانت ولادتها صعبة جداً ومؤلمة وبعد ولادة الطفل أصيبت بالإغماء، وكانت روهيني زوجة فاسوديفا الوحيدة التي معها.

وحينما ثابت ياشودا إلى رشدها في الصباح، أعطتها روهيتي الطفل. خفق قلبها فرحاً فقد تحققت آمالها، فلديها الآن طفل صبي، رائع، كامل الهيبة لونه كزرقة السماء وبكل الفرح أخذت الطفل من روهيني وضمته إلى صدرها وبكت من النشوة وهي تقول يا حبيبي، يا ولدي، فتح الطفل عينيه وكان في نظرته ضوء شعرت به، وكأنه معجزة.

انتقلت الأخبار بسرعة شديدة، وعمت جوكول فرحة غامرة، لقد رزق زعيمهم العجوز ناندا بولد جميل جداً، اذ لم ير أحد من قبل مثل هذا الطفل، وقد جن الرعاة وزوجاتهم فرحاً بذلك وراح الجميع يهيئون للإحتفالات.وجاء الرعاة بأبقارهم وثيرانهم وغسلوها ونظفوها وصبغوها بالأحمر أو الأخضر ووضعوا أوراقاً ذهبية وفضية على قرونها.وراح الأطفال يتصايحون فرحين ويرقصون في طول القرية وعرضها معبرين عن الفرح وكانوا جميعاً يريدون الذهاب إلى زعيمهم لرؤية طفل ياشودا.

بعد ذلك توجه الجميع إلى بيت ناندا ومعهم الأبقار ذوات القرون الذهبية والفضية، والأطفال يتراكضون ها هنا وهم فرحون مستبشرون، والرجال في الخلف يصفقون وهم مرتدون عماماتهم الملونة، والنسوة يلبسن ملابس الأعياد الملونة.

وصل الحشد إلى باحة منزل ناندا حيث استقبلهم الزعيم العجوز الذي كان يبتسم للجميع ودخلوا إلى حيث كانت ياشودا مضطجعة وقامت بعرض الطفل بكل فخر أمام العيون المندهشة، وحينما شاهدوا الطفل الأزرق أصابتهم الدهشة، فلم يروا في حياتهم طفلاً رائعاً مثله.

وفي أحد الأيام كانت ديفاكي واقفة في الشرفة في قصرها، فصادف أن شاهدت سحابة سوداء تتحرك عبر السماء، كان لونها أسود مزرقاً، لقد كانت تلك سحابة طفلها الحبيب وبقيت تنظر إليها حتى تحول شكلها لتشبه الطفل، شاهدت الأيدي،القدمين والوجه الذي لم تنسه والعينين

www.alkottob.com

اللتين ملكتا يومها وليلها، شعرت بفرح غامر لقد كان حبيبها داكناً كالسحابة.

بعد ذلك جاء جارجاشاريا بجانبها وانضم إليهما فاسوديفا، وكان قسيس العائلة قد استخار أبراج طفلها وكانت المفاجأة أنه استناداً إلى القانون الموضوع من قبل الحكماء فإن اسم الطفل يجب أن يبدأ بـ (كا) أو (شا) أو (غا) أية معجزة! سيكون إما غاناشيام داكن كالسحابة - اوكريشنا - الداكن اللون.

وفي اليوم التالي جلب فاسوديفا صبياً لعبة مصنوعاً من المرمر الأسود إلى ديفاكي. ومنذ ذلك الوقت أصبح معبودها تلبسه باعتباره غاناشيام، ولا يعلم أحد عدا الثلاثة أنها تتعبد لـ كريشنا وكانوا يخشون أن يعرف كامسا حقيقة المعبود.

أما في فراجا فقد انتظمت الاحتفالات لتسمية الطفل، حيث تم تزيين باحة بيت ناندا بأشجار الموز وأوراقه التي تحرك الهواء وأوراق شجر الهمبا وتم رش الأرضية بالمسك والصندل وتم وضع القدور النحاسية المتلامعة في أماكنها.

وحضر جارجاشاويا وأتباعه إلى فراجا وتم استقبالهم بمهابة. وقام ناندا بتشريفهم بهدية حيث أخرجت ياشودا الطفل وقام جارجاشاريا بإطعامه الرز والدهن وتمت تسمية الطفل كريشنا حسب الطقوس الملائمة بعد ذلك أعدت وليمة للكهنة شارك بها الرجال والنساء. وتم إطعام جميع الفقراء في النواحي وفي المساء عاد جارجاشاريا وأتباعه إلى ماثورا.

وحينما تم إبلاغ فاسوديفا وديفاكي عما تم شبكا أيديهما وراحا يتعبدان للتمثال الداكن. الصغير المستلقي في المهد تحت أكوام الزهور. وتعاظم الإيمان في قلبيهما بأن الإله نفسه قد ولد لهما. مر إثنا عشر شهراً واحتفلت فراجا بعيد الميلاد الأول لـ «سري كريشنا» على ضفاف نهر

يامونا حيث ينتصب معبد جوباناث مهاديفا، وأولم ناندا للكهنة حيث تمت دعودة جميع الرجال والنساء، وكانت ياشودا تحيي الجميع بابتسامة وهي حاملة الطفل.

كان الوقت ظهراً حينما بدأت الوليمة وكان الطفل نائماً وكانت ياشودا ولكي تتحرك بحرية بين المدعوين قد وضعت الطفل في عربة فارغة في الظلال اتقاء للشمس.

ومشت نحو النساء وتلقت التهاني وتبادلت معهن الأحاديث، وفجأة سمعت بكاء فقد انقلبت العربة! وبصرخة رعب ركضت ياشودا إلى المكان الذي وضعت الطفل فيه وهناك كان الطفل يرفس الهواء ويبكي بقوة ولكن دون ألم!

وركض ناندا أيضاً إلى المكان وتساءل كيف لطفل صغير أن يقلب العربة. حينما جاء جارجاشاريا بإخبار المعجزة امتلأت عينا ديفاكي بالدموع وراحت تهمس، حبيبي، إلهي! ودموع الفرح في عينيها.

www.alkottob.com

13 ـ الخالة بوتانا تذهب إلى جوكول

كان كامسا غاضباً من بوتانا، فقد وعدت أن تجد جميع الأطفال الذين ولدوا في شهر سرافان وأن تقوم بقتلهم أو تسميمهم. وقد مضت سنتان على ذلك الوعد، وطوال تلك المدة فإن جميع ما قامت به هو قتل تسعة أطفال فقط. وكان كامسا مسكوناً بهاجس أن يكون أحد الأطفال قد أفلت من بوتانا حيث يمكن أن ينشأ في أحد البيوت النائية، إذ لم يستطع أن يصدق أن تسعة أطفال هم عدد المواليد في عاصمته في شهر واحد.

ومرة بعد أخرى راح كامسا يؤكد على بوتانا والحراس يعيدون عليه قصة ولادة ديفاكي لفتاة بحضور بوتانا، وهو يفعل ذلك لتطمين نفسه أن تلك هي الحقيقة وليس هناك شيء غيرها. وبذات الوقت لم يستطع نسيان كيف أن الفتاة انزلقت من يده وطارت عبر النافذة تتبعها تلك الصرخة الرهيبة التي ماتزال ترن في أذنيه ليلة بعد أخرى. ولم يستطع تفسير معنى الصرخة وتلك الكلمات، «من سيقتلك مستقبلاً قد ولد وهو في مكان آخر».

ورغم ذلك فإن بوتانا كانت تؤدي مهمتها، ولم يخبرها أحد كما أنها لم تجد غير الأطفال التسعة الذين سبق وأن تخلصت منهم ممن ولدوا في ذلك الشهر. وأصبح من المستحيل أن تفعل أكثر من ذلك فحينما تمر في الشوارع يغلق الناس أبواب بيوتهم في وجهها، ولا يدعها أحد أن ترى أطفاله، وغادرت نساء عديدات مع أطفالهن ماثورا.

وفكر كامسا في ذبح جميع الصبية ممن تبلغ أعمارهم سنة واحدة في ماثورا. غير أنه علم أن البعض من المقربين إليه لديهم صبية يبلغون من العمر سنة واحدة. كما أن اثنتين من زوجاته كن قد ولدن في نفس السنة. لذا لم يستطع أن يقدم على تلك الخطوة.

بعد ذلك سمع كامسا أن زوج ناندا زعيم جوكول وبالرغم من أنها كنت امرأة في أواسط العمر قد ولدت صبياً منذ سنتين. ومنذ بضعة أيام كان ناندا قد جاء إلى ماثورا بصحبة بعض الأتباع لدفع الجزية، ولقد التقط جواسيس كامسا قصصاً تحكي عن ولادة الصبي وعن جماله الذي يتحدث عنه جميع الناس.

وحالما سمع كامسا ذلك التقرير تلبسه شعور غريب فتساءل، أيكون ذلك الصبي هو من سيقتلني؟ وكان ناندا يدفع الجزية التي عليه بانتظام وهو محترم بين قومه وكان الـ «شورا» أقوياء وأغنياء في جوكول وكانوا متضامنين فيما بينهم والناس يحترمونهم فهم ذوو روح مستقلة بالإضافة إلى أنهم أقوياء. ولو هوجموا فإن ذلك سيسبب مشاكل لاتنتهي. أما بالنسبة لـ فاسوديفا فإن ملكهم يرتبط بأناس ذوي ـ مكانة عالية عن طريق الزواج فأخته متزوجة من باندو وهو من الأسرة الحاكمة في هاستينابورا، وأن إشعال الحرب ضد آل شورا وقتل صبي ذي سنتين وهو ابن زعيمهم سيشعل الحرب من ماجاظا إلى هاستينابورا، إلا أن ذلك لايمكن أن يحدث ولا يوجد حلّ سوى الإستعانة ببوتانا لذا أمر بإحضارها أمامه.

وقفت بوتانا أمام كامسا وهي شديدة التعاسة، لقد شعرت بغريزتها أن هناك مهمة للقتل سوف توكل إليها. لقد بدأت تكره فكرة القتل إن صدى صرخات الأطفال الذين قتلتهم وسممتهم لايزال يرن في أذنيها.

ـ هل سمعت يا بوتانا عن صبي ولد لزوجة ناندا زعيم جوكول؟ هزت بوتا رأسها علامة اللامبالاة.

www.alkottob.com

ـ لقد ولدت زوجة ناندا صبياً في نفس الفترة التي ولدت فيها ديفاكي تلك الابنة ويقولون أنه ولد جميل، لا بد أن تريه.

ـ سيدي، لا أستطيع أن أفعل ذلك، كما تعلم فإني المرأة المخيفة في ماثورا، ثم استطردت قائلة بمرارة، إني الخالة بوتانا التي يكرهها الجميع، إن مجرد ذكر اسمي يرعب الأطفال، وليس هناك إمرأة أو طفل لا يلعنني، حتى قريباتي من النساء وأخواتي يلعنني، فالنظر إليّ يجلب الكارثة، ذلك ما يظنه الآخرون بي.

ـ هراء!

ـ سيدي، لقد خدمتك بكل قوتي، ولا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك. وأسأل زوجاتك إن كن قد رأين وجهي، إنهن يذهبن ليتطهرن من الآثام بعد رؤيتي.

ـ إنك مخطئة يا بوتانا، وتعلمين كيف أكافئك، لاتهتمي لتلكم النسوة، ساعديني في موضوع ابن ناندا، افعلي هذا لي ولن أزعجك مرة أخرى.

ـ أرجوك اعفني من ذلك يا سيدي، لقد فقدت القوة حتى على حمل طفل. فمنذ شهرين فقدت طفلي الذي مات بين يدي ومن خلال أنفاسه الأخيرة تذكرت الأطفال الأربعة الذين خنفهم الموت وحينما ماتوا أدركت مأساة الأمهات التسع اللواتي سمعت أطفالهن وقتلتهم. والآن أدرك معنى أن يموت طفل أمام أنظار الآخرين لايا سيدي لا أستطيع أن أفعل ذلك بعد الآن.

ـ لا تتكلمي بسخف يا بوتانا، فأنت من بين الجميع يجب أن تكوني شجاعة، إذ أني لا أستطيع أن أترك هذا الصبي حياً، فحينما أفكر به تتزايد رغبتي في قتله.

أسبلت بوتانا عيناها خوفاً.

سألها كامسا، ألن تفعلي ما أمرت به؟ وكان في صوته نبرة وعيد ـ سامحني يا سيدي، اطلب مني أن أفعل أي شيء عدا ذلك وسأطيعك، ولكن أرجوك ألا تطلب مني أن أقتل صبياً بعد الآن، لقد كانت بوتانا في منتهى التعاسة لأول مرة في حياتها، وتسابقت الدموع تجري من عينيها.

ـ بوتانا، لا تنسي أنك وزوجك باكاأغا وجميعكم مدينون لي طوال حياتكم، أصبح كامسا الآن هادئاً وهو يصدر أوامره إليها فاستطرد أستطيع إن أطردك إن عصيت أوامري ولكنك لا تستطيعين الابتعاد عني تذكري أن جميع ما تملكين هو ملكي وأن منصبك، ثروتك، قوتك حياتك رهن ببقائي على قيد الحياة ولو مت لن يبقى أحد منكم حياً، فسوف تقطعون إرباً. وعليه يجب أن تكوني تحت سيطرتي الآن ودائماً هل فهمت؟.

بقيت بوتانا مطرقة وصامتة.

ـ أنت تعرفين أني لا أحب ألا أطاع، كلمة واحدة مني وسيكون رجال ماجاظا سعداء جداً بتقطيعك بأياديهم، لتعلمي يا بوتانا أنك وبراديوتا ملك لي في حياتكم ومماتكم.

ـ أعلم يا سيدي.

ـ إذن لا تبقي واقفة هناك كالأصم العاجز، اذهبي إلى جوكول وانهي عملك.

ـ كما يشاء مولاي، أجابته وكان صوتها مرتعشاً.

ـ أمنحك أسبوعين لإنجاز أوامري.

ـ كما يشاء مولاي، رددت ذلك وشبكت يديها باحترام شديد

www.alkottob.com

وخرجت وحال خروج بوتانا من القصر تراكضت النسوة والخدم إلى غرفهن وأغلقن على أنفسهن الأبواب نعم فتلك هي الخالة بوتانا الملعونة.

عند انتصاف شهر أسوين وبعد أن أكمل كريشنا السنة الثانية، عمت الاحتفالات جوكول وأقام الزعيم وليمة تقرباً من الإله جوباناث مهاديفا وبهذه المناسبة نذر آل شورا إقامة رحلة لمدة يومين مع عوائلهم بالعربات التي تجرها الثيران للمشاركة بالاحتفالات.

وفي هذه المناسبة ومنذ الصباح يتوجه كل فرد لممارسة طقوس الاستحمام في نهر يامونا والمشاركة في الوليمة.

وكانت الليلة المقمرة التي تلت من أجل الليالي في السنة، وراح الإله سوما ـ إله القمر ـ يرسل رحيقه على الأرض عبر الشعاع، وذهب الجميع رجالاً ونساء وأطفالاً إلى شاطئ يامونا الرملي حاملين معهم أوعية الحليب الممزوج المحمى فحيث أن الليلة قمراء فإن أكل الرز المحمص الممزوج بالحليب يجلب الحظ ويطيل العمر. وحالما ينتهي آل شورا من أكل الرز والحليب وينتشون بشعاع القمر تبدأ الاحتفالات، حيث تغني الشابات ويرقصن ويضحكن، ويقوم الشباب بقرع الطبول أما الأطفال فيركضون ويقفزون مرحاً أو يسابق أحدهما الآخر.

وتستمر الاحتفالات حتى ساعات الصباح الأولى حيث يعود الفلاحون إلى مزارعهم منتشين فرحاً.

وقد صادف هذا الأحتفال بعد عدة أيام من استلام بوتانا الأوامر من كامسا وكان زعيم جوكول قد ذهب مع بعض أتباعه إلى ماثورا وكان يتوقع وصوله عند منتصف الليل.

وعند العصر جاء شخص يحمل رسالة إلى ياشودا زوجة الزعيم قائلاً أن سيدة وجيهة هي زوجة أحد الكهنة من ماثورا قد حضرت إلى

جوكول لزيارة معبد جوباناث مهاديفا وذلك للوفاء بنذر كانت قد نذرته منذ زمن.

والقرويون دوماً كرماء وآل «يادافا» وبالرغم من ضنك العيش فقد كانوا معروفين بترحيبهم بالضيوف وكان من دواعي الفخر بالنسبة لـ «ناندا» أن يستضيف أي زائر لجوكول سواء كان نبيلاً أم لا، غنياً أم فقيراً.

وكانت ياشودا وروهيني وبقية أفراد العائلة يتهيأون للذهاب إلى ضفة النهر بوصول المرأة الوجيهة أرسلت شاين مع بعض الخدم للخروج إلى ضواحي القرية لاستقبالها. وقد طلبت منهم أن يدعوا السيدة إلى البيت ويطلبوا منها بعد ذلك أن تصحبهم إلى ضفة النهر للمشاركة في الوليمة والإستمتاع بالاحتفال بعد ذلك بعد أن تمارس طقوس الاستحمام وتفي بنذرها.

لم تكن بوتانا سعيدة بمهمتها، وقد استقبلها أتباع ناندا عند ضواحي جوكول واستلمت رسالة ياشودا وقررت أن ترسل العربة التي كانت تستقلها إلى اصطبلات ناندا وذلك لغرض إراحة الثيران وأعدت العربة للعودة بها بعد منتصف الليل. بعد ذلك اصطحبت الخدم وذهبت مباشرة إلى ضفة النهر.

لم يكن لحزنها أن يعرف حداً معيناً حينما شاهدت الحشد المبتهج الفرح، وهي وحدها من بين جميع هؤلاء الفرحين الشريرة. لقد جاءت كالأفعى السامة لتقتل الوريث الوحيد لزعيمهم وتنفث التعاسة بين هذا الحشد وتكسر قلب أم تفتحت فرحتها بعد طول انتظار بصبي جميل. ذهبت بوتانا في البدء إلى النهر لتستحم فيه، بعد ذلك توجهت إلى المعبد وشاهدت القمر الأحمر الذهبي على الأفق يشع بضيائه الرائع على الحشد. جالباً الفرح لآلاف القلوب غير أنه لم يجلب لها سوى نوبة من

www.alkottob.com

الآلام. فهذا الشعاع الرقيق كان بمثابة سهام مسمومة لم تجلب لها سوى الشعور بأنها وحش.

وحينما وصلت إلى المعبد كان الناس داخلين وخارجين منه يضحكون ـ ويمازح بعضهم بعضاً، كان البعض واقفاً في المذبح الداخلي يطلب بركات الإله مهاديفا الطيب. اشترت بعض أوراق اللوتس وذهبت إلى المذبح الداخلي ووضعتها على قاعدة تمثال الإله، وقفت أمامه وسجدت وهي تردد إلهي يامن تمنح السعادة للجميع لِمَ تحجبها عني؟ لِمَ جعلتني شريكة ياما إله الموت، وربما أكثر شراً من ياما مدمرة الجمال والأحياء الأبرياء؟

رفعت بوتانا رأسها ثم سجدت ثانية، إنه الإيجاب الأخير، الطفل الأخير الذي سأقتله سامحني يا سيدي، فلن أمشي في طريق الشر ثانية، قامت وأخذت الماء المقدس حدقت فيه ثم خرجت من المعبد حيث اختلطت بالحشود. أخذها الدليل إلى المكان الذي فيه ياشودا وعائلتها الكبيرة الذين كانوا جالسين على شكل حلقة واضعين أوعية الحليب في الوسط. وحينما أعلن الدليل عن وصول السيدة الوجيهة نهض الرجال لإفساح المجال، ونظرت الشابات إلى الملابس والحلي التي كانت ترتديها بغيرة إذ لم يروا من قبل سيدةة وجيهة من ماثورا.

وكانت ياشودا جالسة على الرمل وبجانبها روهيني تقدم الحليب للأطفال وكل منهم يقدم إليها صحناً فخارياً. نظرت نحو بوتانا بابتسامة وقالت: أهلاً وسهلاً يا أختي، بعد ذلك تحركت قليلاً مفسحة المجال لبوتانا كي تجلس. شكرت بوتانا ياشودا لحرارة اللقاء وسرعان ما شعرت كم هي ملعونة فقد جاءت لتدمر حياة هذه الأم المبتسمة الطيبة.

نظرت بوتانا نحو ياشودا حيث جلست وراحت تحدث نفسها أية إمرأة رقيقة ذات مظهر نبيل هي! وكان هناك طفل صغير بجانبها رأسه

مغطى بالساري. رأت الطفل الصغير الأزرق، أطرافه، بطنه وكاحلاه. لابد أنه الطفل الذي ذكره كامسا أنه دونما شك الطفل الصغير الأزرق. وبجانب الطفل الصغير كان هناك طفل آخر يبلغ حوالي ثلاث سنوات طويل بالنسبة لعمره وكان يعبث بشعر روهيني زوجة فاسوديفا الأولى. لابد أن يكون الطفل الكبير ولدها.

أكمل الطفل الأزرق وجبته وأخرج رأسه من تحت السراي، وبمداعبة خطف الطبق الفخاري من يد طفل آخر، شرب الحليب الذي فيه ورمى الطبق بعيداً، نظرت بوتانا إلى الطفل معجبة. شعره المجعد رائع، وعيناه العميقتان تشعان سروراً ووجهه مليء بالبهجة. لديها العديد من الأطفال ورأت مئات الأطفال ولكن ليس من بينهم من يماثله.

هل سيصبح هذا الطفل ضحية لها! بدأت تميل للتخلي عن مهمتها فمن الأفضل لها أن تموت على أن تقتل هذا الطفل، ولكن لا... عليها أن تنجز هدفها، فلو تخلت ربما تموت ويموت معها براديوتا وعلى كل حال سيكون آخر الذين ستقتلتهم.

نظرت بوتانا بتمعن للطفل وحينما التقت نظرتها قرقعت بأصابعها نحوه، ضحكت له وصفرت، نظر إليها الطفل وابتسم... ا.. و.. ه.. ما أحلاه.

فتحت بوتانا ذراعيها، ونهض كريشنا متسلقاً حضن ياشودا دونما خوف ومشى نحوها، وفجأة تملكتها غريزة أمومة قوية واحتضنت كريشنا بقوة، وشعرت كأنها تحتضن ابنها الذي فارقته تواً. لا شعرت وكأنها لم تحتضن طفلاً من قبل!.

ورغم غريزتها المفاجئة كان تفكير بوتانا يعمل بسرعة إذ عليها أن تقتل هذا الطفل، فلم تكن هناك وسيلة أخرى، فحياتها وزوجها وأبناؤها الثمانية موضع رهان.

www.alkottob.com

أحنت بوتانا رأسها لملاطفة الصبي بأنفها، وراح الطفل يضحك بجذل أثارت ضحكاته النشوة في عروقها، ولاحظ الصبي الوردة الكبيرة التي تضعها في شعرها بعد عودتها من المعبد والإشارة الحمراء حيث راح يعبث بها، وأمسك بالوردة ونثرها في وجهها وعيناه تتراقصان فرحاً. قالت بوتانا إلى ياشودا: أماه، أماه، انظري ماذا فعل ولدك، وأسفر فم الصبي عن ابتسامة مشرقة، إنه وهو بهذا العمر يغازلني، لقد اختطف الوردة من شعري ونثرها على وجهي.

نظرت ياشودا بفخر الأمومة إلى كريشنا ثم قالت فرحة: أنت لا تعلمين جميع المزاح الذي يمارسه.

ـ وإذا كان عابثاً الآن وفي هذا العمر فما الذي سيفعله حينما يكبر؟

راح قلبها ينبض بشدة فرحاً وكتعبير عن النشوة احتضنت كريشنا ثانية وانفجرت غريزة الأمومة طوفاناً متلاطماً، شعرت أن جلدها أصبح رطباً، فقد تفجر الحليب غزيراً من ثديها حتى فاض صدرها. صار جسدها وذهنها وروحها تطلب هذا الصبي. تمتلكها أفكار مريضة متوحشة ضمن نشوتها في ضرورة أن تضم هذا الصبي إلى صدرها وكانت بعد أن استحمت قد دهنت ثديها بالزرنيخ وذلك كما فعلت في الماضي حيث تلقم الطفل ثديها وحينما يلحس الدهن تكون نهايته لم تكن هناك طريقة أخرى، فيجب أن تعيش هي وأطفالها وزوجها برغم كل شي، وإذا ما مات هذا الطفل فسوف يعيشون في نعيم ملوكي للأبد. وكان نداء قلبها يلح عيها، خذي هذا الصبي الرائع وضميه إلى صدرك، إنك شريرة يائسة، ولم تصادفي الفرح من قبل، نشوة تزلزل كيانك وعقلك بفرح غامر، هذه لحظتك، اللحظة التي تنقذك وزوجك وأبناءك، ضمي هذا الصبي إلى صدرك لم تستطع بوتانا أن تكبح نفسها، فقد مزقها الوجد والشوق للصبي فتناست السم الذي وضعته على ثديها، وضعت كريشنا

في حضنها وكان يقاومها ضاحكاً، فقدت السيطرة على نفسها، حلّت نهاية صدارها وأخرجت ثديها، وكانت الحليب يتدفق غزيراً مسحت الحليب عن ثديها، وسمعت هاتفاً يهمس في أذنيها، إن ثديك مغطى بالزرنيخ وسوف تقتلين هذا الحبيب الذي يشتاق قلبك إليه، لكنها لم تهتم وجذبت كريشنا إلى ثديها بشهوة. واستجاب لها فقد وضع الحلمة في فمه وراح يرضع بنهم. كانت بوتانا مبتهجة وعاشت لحظة من السعادة التي لا توصف قائله له، تمتع به يا ولدي قدر ما تشاء فقد منحتني ما لم يستطع أحد منحي إياه.

شعرت وكأن تفكيرها قد توقف، هل كانت منتشية بفرح؟ نعم فكل ما أرادته هو كريشنا بن ياشودا، يمكنه أن يمتص الحليب، حياتها آمالها وهي برمتها إن أراد نعم أمنحك كل شيء يا طفلي الحبيب وتلامعت الفكرة في ذهنها، إني لك.

وراح شيء يدق في دماغها، وظل قلبها ينبض كحصان جامح ثم نوبة من الألم في جسدها ألم لا أسم له وتلاشت لذة إرضاع الصبي من ثديها.

وانطلقت صرخة متوحشة من أطراف الحشد، تراكض الرجال وهم يحملون عصي الخيزران بأيديهم ونانداً في مقدمتهم كالثور الهائج فقد أشاعت الصرخة الفزع فيهم.

ـ بوتانا ها هنا؟

ـ أين هي؟ أين كريشنا؟

وصرخ نانداً، كريشنا، كريشنا، أين هو؟

وتناقلت الأفواه، بوتانا، بوتانا.

نظرت ياشودا نحو الحشد المندفع نحوها بخوف، وسمعت كلمات

www.alkottob.com

بوتانا، بوتانا، كريشنا ونظرت إلى السيدة الوجيهة، لقد كانت بوتانا.

وقبل أن تخطف ياشودا كريشنا بعيداً عنها رأتها تسقط تدريجياً على الأرض عيناها مفتوحتان إلى السيدة الوجيهة، لقد كانت بوتانا.

وقبل أن تخطف ياشودا كريشنا بعيداً عنها رأتها تسقط تدريجياً على الأرض عيناها مفتوحتان محاولة بجهد أن تحتضن الصبي وتضمه إلى صدرها.

وحالما سقطت على الأرض ميتة كانت ابتسامة عذبة أمومية قد ارتسمت على شفتيها، وبينما بوتانا تسقط على الأرض تركها كريشنا عائداً إلى ياشودا التي احتضنته بذراعيها. وحينما وصل نائدا إلى المكان حيث كان مستثاراً محاولاً أن يفهم ما الذي جرى وشاهد وتعرف على بوتانا الملقاة على الأرض جثة هامدة.

وصرخ قائلاً بصوت متقطع الأنفاس، أين كريشنا؟ لقد سمعت حينما كنت في ماثورا أن بوتانا قد غادرت إلى جوكول لذا عدت سريعاً.

وتصايح الرجال المجتمعون وهم يحملون عصي الخيزران، اقتلوا بوتانا! اقتلوا بوتانا!

وقالت لهم ياشودا وهي تبتعد عن الجسد المسجّى، لقد ماتت وابني هو من أماتها. واحتضنت كريشنا لقد كان حياتها، روحها كلها.

14 ـ ترينا فريت

حينما سمع كامسا بموت بوتانا، تملكه غضب شديد ودعا فوراً لإحضار برالامبا العجوز وزيره وفيلسوفه وموجهه. وقال له: لن أتسامح في هذا يابرالامبا، وعندما يعود براديوتا من جوكول سأهاجم المدينة وأسويها بالأرض لقد كانت بوتانا غالية علي وعليّ أن أنتقم لموتها.

رد عليه برالامبا العجوز ويداه مشبكتان، هل يسمح لي مولاي، إن كانت هذه رغبتك فلن أضيف شيئاً ولكن أتأذن لي يا سيدي في أن أقول ما أشعر به؟

ـ ولم استدعيتك إذن إن كنت لن تقول الحقيقة؟ قل ماتشاء يا برالامبا ولكني لن أصغي لأي نصح لا يتضمن الإنتقام لموت بوتانا قال برالامبا وهو يبتسم، ولكن يا مولاي إن دمرت جوكول ألن تعلن للعالم بأن بوتانا قتلت أطفالاً صغاراً بموجب أوامرك؟

ـ لايهمني ما يفكر به العالم نحوي فأنا لست عبداً لأحد.

ـ إنك أنت السيد يا مولاي ورأيي هو رأي عجوز، لقد قتل جلالتكم أبناء ديفاكي، ومهما يمكن للناس أن يظنوا في ذلك فقد كان من الضروري حماية حياة جلالتكم، ولكن أن تقتلوا أطفالاً أبرياء للإنتقام لموت إمرأة يكرهها الجميع فذلك وضع مختلف، إن ذلك يمكن أن يثير آل «يادافا».

ـ إن لا أهتم بهم، فهم يفعلون الأسوأ وماذا يمكنهم أن يفعلوا أكثر من ذلك.

www.alkottob.com

ـ أوافق على أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً لجلالتكم، ولكن ربما عن طريق دروباد ملك بانشال القوي يمكن أن يثيروا المتاعب وهو دائماً طامع بـ «ماثورا» وأن العديد من آل «يادافا» الذين هاجروا من هنا استقروا في بلاطه.

أطرق كامسا لبرهة وهو يفكر، حسناً إن أراد دروباد أن يقاتلني فإني مستعد له ونحن قد جهزنا للحرب منذ فترة طويلة وأفضل شيء أن تبدأ الحرب مبكرة، قال ذلك وراح يعبث بشاربه.

ـ نعم أعلم أن جلالتكم مستعد، ولكن إن سويت جوكول بالأرض فمن المؤكد أن آل شورا سيثورون وسيصبح اكرورا فرشني فعالاً ثانية وربما يتحالف معه الملك كونتي بوج قريب فاسوديفا ومعهم دروباد. ومن الأفضل أن تتذكر جلالتكم أن الملك كونتي بوج متبن أخت فاسوديفا، بريثا المتزوجة من الملك باندو ملك هاسيتنابورا ولو حصلوا على دعم فربما يشارك ذلك العجوز بشما في الحرب أيضاً وعندها يصبح وضعنا صعباً جداً.

صمت كامسا فترة ثم ضرب علي فخذه وقال، أيها العجوز إنك محق دائماً وسأقبل نصيحتك، ولكن يوماً سأنتقم لموت بوتانا وسأتخلص من أعدائي.

بعد أن خرج برالامبا بقي كامسا مقطب الجبين يقلب الموقف على مختلف أوجهه أن طفل ناندا خطر ولكن كيف يتخلص منه؟ لقد أصاب برالامبا فإن هجوماً كاسحاً على جوكول قد يجر إلى تعقيدات حقيقية جادة. نهض عن عرشه وتوقف عند النافذة يحدق دونما تفكير بنهر يامونا. ثم انتبه إلى أحد صيادي الطيور في الغابة لمعت الفكرة في ذهنه فإن صياد الطيور خبير باختطاف الأطفال أيضاً حسناً، تمتم، وأرسل أحد رجاله لجلب صياد الطيور.

شعرت ياشودا بالحذر الشديد عند موت بوتانا، فلم تكن تتخيل شخصاً مهما كان شرير يقدم على تسميم ابنها، وبالتالي تدمير حياتها. فهي لم تؤذ أحداً طوال حياتها بل على العكس فقد ساعدت الجميع واعتنت بالعديد من اليتامى في جوكول، أحبت جميع من جاءها وجميعهم أحبوها، لذا فإن من يحاول قتل ابنها لايمكن أن تتصور أن له وجوداً، ولكنها الآن عرفت بما فعلته (بوتانا) في (ماثورا) من قتل وتسميم للأطفال الأبرياء.

ولم تستطع ياشودا أن تبعد عن ذهنها التفكير ليلاً ونهاراً بما حصل لها فقد كانت تلك المخلوقة شيطاناً بمسوح بشرية. وحينما تفكر في نجاة كريشنا من السم، تتدافع الدموع من عينيها وعندها تحتضن كريشنا وتهمس في أذنيه بكلمات الحب... وبذات الوقت راحت ياشودا تنظر إلى طفلها ليس باعتباره معجزة جمالية ولكن كشخص قادر على صنع المعجزات أيضاً. فقد التصق بـ (بوتانا) رضع منها دون أن يتسمم ومن ثم امتص حياتها أيضاً وهو مايزال ابن عامين لقد كان ذلك شيئاً لا يصدق.

رغم ذلك قررت ياشودا أن تتجنب أي مخاطر، حيث قررت ألا تبتعد عن كريشنا حتى للحظة. وأخبرت ناندا وروهيني وبقية أفراد العائلة أن يبقوا يراقبون كريشنا لو افتراض وابتعد عنها غير أن كريشنا كان طفلاً تصعب السيطرة عليه. فلو افترض أنها كانت مشغولة ولو للحظة فسرعان ما يبتعد.

ليذهب بصحبة بالاراما ابن روهيني وعندها تتجمد رعباً فتترك كل شيء وتذهب باحثة عنه منادية عليه بصوت مرتفع. وحينما تجده تحتضنه كما لو أنه نجا من موت محقق. ويبتسم كريشنا ويحتضنها ولأنه رائع جداً فإن من الصعب توبيخه.

أما ناندا فقد كان أكثر خوفاً وقلقاً منها فقد أدرك مغزى زيارة بوتانا إذ

www.alkottob.com

أن ذلك يعني أن كامسا قد عرف أن كريشنا هو ابن ديفاكي الثامن وأن موت بوتانا لن يغير في قرار كامسا لقتل كريشنا لذا استدعى خدمه ومقربيه وجعل منهم حرساً لمراقبة قدوم أي غريب إلى جوكول وعدم السماح له بالإقتراب من كريشنا، وإن أمكن عدم السماح لكريشنا بالخروج حتى مع أمه دون مرافقة رجل أو اثنين من الأقوياء الذين يتبعونهم عن قرب. رغم ذلك فإن كريشنا كان ـ طفلاً تصعب السيطرة عليه، وكان يظن أن جميع المحاولات لمنعه من اللعب كما يشاء هي عبارة عن لعبة الإستغماية والتي كان يحبها وعند أول فرصة سانحة كان يهرب من حراسه ويختفي خلف سياج الشجيرات أو في مربط الأبقار أو في مخزن التبن. وعندما لا تجده ياشودا تبدأ بالصراخ والعويل، وعندها تحدث جلبة حيث يذهب الجميع للبحث عنه وفي النهاية يجدونه وهو يتسم وأحياناً يقوم بدفع بالارما ليبدو الأمر وكأن ابن روهيني مسؤول عن ذلك. وحينما يشاهد الباحثين عنه يقوم بالرقص فرحاً وفي ذلك غبطة كبيرة له.

غير أن ذلك لم يكن فيه ما يبهج بالنسبة لـ (ياشودا) أو أي من الحراس أو الخدم، فبعد البحث الدقيق في كل مكان والقلق يكتشفون أن كريشنا كان قريباً منهم ويخرج ليضحك منهم.

فتصرخ ياشودا، أين كنت يا كريشنا؟ أين كنت؟ كنت سأموت رعباً فيرد عليها قائلاً، كنت هنا، ثم يضحك ببراءة ثم يحتضن أمه وكأنه يكافئها على قلقها. كان من الصعب على أفراد بيت ناندا أن يتحملوا ألاعيب كريشنا حيث كان يأتيهم دائماً بألاعيب جديدة وذلك لزيادة قلقهم.

مرت عدة أيام دون أحداث. وفي صباح أحد الأيام كان على ياشودا أن تقوم بزيارة لإحدى قرياتها الساكنة في الجوار والتي كانت تعاني من ولادة متعسرة، وفي طريق عودتها إلى البيت كانت تحمل كريشنا على جنبها الأيسر كالعادة، وكانت رجلاه تقارب وسطها، وفجأة أحب أن

يمزح فبدأ يقفز للأعلى وللأسفل وكأنه راكب حصاناً مما جعل من الصعوبة أن تحمله. سألته، كريشنا ماالذي تفعله؟

أجابها وهو مستمر في القفز، لا شيء يا أمي.

ـ إذن لا تقفز.

وجدت ياشودا أن من الصعب عليها أن تستمر في حمل كريشنا، وشعرت أن أنفاسها تتقطع بسبب وزنه إذ كان قد كبر.

ـ ماالذي تفعله؟ إني لا أقوى على المشي يا كريشنا، لماذا لا تبقى ساكناً.

ـ أريد أن أمشي يا أمي.

شعرت ياشودا بأنها تكاد تتعثر فأنزلت الصبي على الأرض ووقفت معه في شرفة قريبة لبعض الوقت وفجأة أغبرّ الجو وظللت الشمس وهبت عاصفة رملية قوية غطت القرية وأصبحت معها الرؤية معدومة وأصبح الوقوف إزاء الريح صبعاً مما اضطر ياشودا أن تجلس وأن تغلق عينيها. اتقاء الرمل. ووضعت كريشنا في الشرفة واحتمت بعمود قربه بانتظار أن تنحسر العاصفة وحينما فتحت ياشودا عينيها وحاولت أن ترى كريشنا لم يكن موجوداً. صرخت بأعلى صوتها، كريشنا، كريشنا، أين أنت؟

لم يكن هناك جواب، نظرت حولها هنا وهناك، وفتشت في الشوارع والأزقة، بين البيوت، لم يكن هناك أثر له. أصيبت ياشودا بالرعب وراحت تصرخ بجنون كريشنا، كريشنا وحينما لم تسمع جواباً بدأت تبكي وتنتحب، ضاع كريشنا، ضاع كريشنا، شاركها بعض الرجال الذين تصادف مرورهم آنذاك في البحث حيث ركض البعض وأخبر ناندا عن فقدان كريشنا. وتجمع الخدم والأتباع وظلوا يسألون ويستفسرون وبقي الجميع يبحث عن كريشنا وبعد بحث طويل ومضن، عثر الباحثون

www.alkottob.com

أن ذلك يعني أن كامسا قد عرف أن كريشنا هو ابن ديفاكي الثامن وأن موت بوتانا لن يغير في قرار كامسا لقتل كريشنا لذا استدعى خدمه ومقربيه وجعل منهم حرساً لمراقبة قدوم أي غريب إلى جوكول وعدم السماح له بالإقتراب من كريشنا، وإن أمكن عدم السماح لكريشنا بالخروج حتى مع أمه دون مرافقة رجل أو اثنين من الأقوياء الذين يتبعونهم عن قرب. رغم ذلك فإن كريشنا كان ـ طفلاً تصعب السيطرة عليه، وكان يظن أن جميع المحاولات لمنعه من اللعب كما يشاء هي عبارة عن لعبة الإستغماية والتي كان يحبها وعند أول فرصة سانحة كان يهرب من حراسه ويختفي خلف سياج الشجيرات أو في مربط الأبقار أو في مخزن التبن. وعندما لا تجده ياشودا تبدأ بالصراخ والعويل، وعندها تحدث جلبة حيث يذهب الجميع للبحث عنه وفي النهاية يجدونه وهو يتسم وأحياناً يقوم بدفع بالارما ليبدو الأمر وكأن ابن روهيني مسؤول عن ذلك. وحينما يشاهد الباحثين عنه يقوم بالرقص فرحاً وفي ذلك غبطة كبيرة له.

غير أن ذلك لم يكن فيه ما يهيج بالنسبة لـ (ياشودا) أو أي من الحراس أو الخدم، فبعد البحث الدقيق في كل مكان والقلق يكتشفون أن كريشنا كان قريباً منهم ويخرج ليضحك منهم.

فتصرخ ياشودا، أين كنت يا كريشنا؟ أين كنت؟ كنت سأموت رعباً فيرد عليها قائلاً، كنت هنا، ثم يضحك ببراءة ثم يحتضن أمه وكأنه يكافئها على قلقها. كان من الصعب على أفراد بيت ناندا أن يتحملوا ألاعيب كريشنا حيث كان يأتيهم دائماً بألاعيب جديدة وذلك لزيادة قلقهم.

مرت عدة أيام دون أحداث. وفي صباح أحد الأيام كان على ياشودا أن تقوم بزيارة لإحدى قريباتها الساكنة في الجوار والتي كانت تعاني من ولادة متعسرة، وفي طريق عودتها إلى البيت كانت تحمل كريشنا على جنبها الأيسر كالعادة، وكانت رجلاه تقارب وسطها، وفجأة أحب أن

يمزح فبدأ يقفز للأعلى وللأسفل وكأنه راكب حصاناً مما جعل من الصعوبة أن تحمله. سألته، كريشنا ماالذي تفعله؟

أجابها وهو مستمر في القفز، لا شيء يا أمي.

ـ إذن لا تقفز.

وجدت ياشودا أن من الصعب عليها أن تستمر في حمل كريشنا، وشعرت أن أنفاسها تتقطع بسبب وزنه إذ كان قد كبر.

ـ ماالذي تفعله؟ إني لا أقوى على المشي يا كريشنا، لماذا لا تبقى ساكناً.

ـ أريد أن أمشي يا أمي.

شعرت ياشودا بأنها تكاد تتعثر فأنزلت الصبي على الأرض ووقفت معه في شرفة قريبة لبعض الوقت وفجأة أغبرّ الجو وظللت الشمس وهبت عاصفة رملية قوية غطت القرية وأصبحت معها الرؤية معدومة وأصبح الوقوف إزاء الريح صعباً مما اضطر ياشودا أن تجلس وأن تغلق عينيها. اتقاء الرمل. ووضعت كريشنا في الشرفة واحتمت بعمود قربه بانتظار أن تنحسر العاصفة وحينما فتحت ياشودا عينيها وحاولت أن ترى كريشنا لم يكن موجوداً. صرخت بأعلى صوتها، كريشنا، كريشنا، أين أنت؟

لم يكن هناك جواب، نظرت حولها هنا وهناك، وفتشت في الشوارع والأزقة، بين البيوت، لم يكن هناك أثر له. أصيبت ياشودا بالرعب وراحت تصرخ بجنون كريشنا، كريشنا وحينما لم تسمع جواباً بدأت تبكي وتنتحب، ضاع كريشنا، ضاع كريشنا، شاركها بعض الرجال الذين تصادف مرورهم آنذاك في البحث حيث ركض البعض وأخبر ناندا عن فقدان كريشنا. وتجمع الخدم والأتباع وظلوا يسألون ويستفسرون وبقي الجميع يبحث عن كريشنا وبعد بحث طويل ومضن، عثر الباحثون

www.alkottob.com

على جثة رجل في ضواحي القرية. يبدو أنه أثناء عدوه السريع قد تعثر وسقط فدق عنقه على صخرة كبيرة موجودة في الجوار، وقد تعرف عليه أحد القرويين أنه صياد الطيور الذي جاء إلى جوكول قبل يومين من ماثورا واسمه ترينا فريت.

شهق ناندا بهلع، إن هذا الرجل لابد قد اختطف كريشنا ولكن أين كريشنا؟

تراكض الرجال من كل صوب ينادون عليه.

وبعد برهة سمعوا إجابة حيث جاءهم الصوت المحبب أنا هنا يا أبي وخرج كريشنا من بين صف أشجار الهمبنة يبتسم بمرح وانطلق نحو ناندا الذي سارع باحتضانه كيف جئت إلى هنا يا كريشنا؟ سأله ناندا وصوته يتهدج.

ـ لقد ركض معي، قال كريشنا ذلك مؤشراً إلى ترينا فريت الميت على الأرض لقد حملني بقوة وتعلقت به بقوة أيضاً، غير أنه سقط أرضاً وركضت أنا، قال ذلك وهو يضحك فرحاً.

حينما سمع فاسوديفا وديفاكي بمحاولة بوتانا تسميم كريشنا كادا أن يغمى عليهما من الخوف.

فيبدو أن كامسا قد اكتشف مكان ابنهما، وإلا ما سبب ذهاب بوتانا إلى جوكول وإذا كان كامسا قد اكتشف مكان كريشنا فلابد أن يؤذيه استمع فاسوديفا وديفاكي باهتمام إلى جارجاشاريا وهو يشرح لهما كيف جاءت بوتانا مدعية بأنها راهبة وكيف شاركت في حفلة العائلة وكيف حاولت تسميم كريشنا وكيف بعد ذلك لقيت حتفها. بدأ إيمان ديفاكي بإلهها الصغير يتزايد، فقتله لـ (بوتانا) كان معجزة حققها إلهها الصغير وحده، وبعيون دامعة دخلت غرفة العبادة وراحت تفرغ أحزان قلبها.

أما فاسوديفا فلم يكن عميق الإيمان بطفله كما كانت زوجته. لقد أصبح شديد العصبية فقد تأكد أن كامسا قد آمن بضرورة تدمير كريشنا لذا استشار بعد بضعة أيام اكرورا وجارجاشاريا فلابد من إنقاذ كريشنا والإطاحة بـ (كامسا). وراح اكرورا يخفف من قلق فاسوديفا قائلاً له، لا تقلق يافاسوديفا، لقد سمعت بالأمس أن الأمير قد استشار برالامبا حيث أنه يعتزم أن يسوّى جوكول بالأرض.

ـ صاح فاسوديفا، يا إلهي!.

ـ ولكن لا تنسى إن الإله قد جاء لإنقاذنا.

أجاب اكرورا، لا أحد يستطيع حتى أن يجرحه وبذات الوقت فنحن بشر وعلينا أن نكون حذرين ولكن ليس هناك ما يخيف، وكما علمت فإن برالامبا قد نصح كامسا بعدم الإنتقام لموت بوتانا، عقب جارجاشاريا قائلاً غير أن هناك خطراً واحداً فإني أذهب كل أسبوعين إلى جوكول وسأجلب لكم الأخبار وكذلك يفعل ناندا وربما يعلم كامسا أننا جميعاً قلقون على كريشنا وسلامته وذلك سيؤكد ظنونه من أنه ابن ديفاكي وعندها سيفعل أي شيء ليؤذيه.

ـ سأل فاسوديفا، وماذا تقترح؟

ـ علينا ألا ندع كامسا يشك بأن هناك علاقة بينك وبين كريشنا وذلك يعني أن ترحلا أنت وديفاكي وتغادرا ماثورا وتذهبان في حج طويل.

ـ تساءل فاسوديفا، وماذا سيحدث لطفلي الحبيب أثناء غيابنا؟

ـ قال جارجاشاريا: سأكون هنا ولن يشك أحد بكاهن عجوز يذهب إلى جوكول لأداء الطقوس الدينية، وتستطيع أن تقنع ناندا بتقديم بعض التضحيات حيث يمكنني أن أذهب وأعيش هناك لفترة.

قال اكرورا بعد تفكير، أعتقد يا فاسوديفا إن جارجاشاريا محق فلو

www.alkottob.com

رحلتما أنتما الإثنان عن ماثورا فإن كريشنا سيكون أكثر أمناً مما لو بقيتما ها هنا، وبقاءكما في ماثورا لن يضيف في حمايته شيئاً كما إني سأكون هنا طوال الوقت.

قال فاسوديفا: ولكن يا اكرورا فإن سفرنا عن ماثورا سيحطم قلب ديفاكي حيث لن تسمع شيئاً عن أخبار طفلها الحبيب.

قال جارجارشايا: وهل أخبرك عما سمعته هذا الصباح؟ وتهدج صوته، منذ أربعة أيام قام حطاب باختطاف كريشنا، لقد كان ذلك في اليوم الذي ذهبت فيه العاصفة. وقد مات الحطاب في العاصفة ونجا كريشنا وهو يبتسم أن ديفاكي محقة يا فاسوديفا فإن كريشنا إله قال اكرورا: ذلك يحسم الموقف يا فاسوديفا، إني أعدك حتى ولو كلف ذلك حياة جميع آل فرشني فلن ندع كريشنا يمس بسوء. وربما لو كنت بعيداً عن ماثورا فإني أستطيع رعايته بشكل أفضل إذ أن من الضروري أن تتحول شكوك كامسا من أن كريشنا ابنك.

قال فاسوديفا: لا أجرؤ على أن أقترح على ديفاكي شيئاً من هذا القبيل، فهي تعيسة بما فيه الكفاية ودون أن تعلم بهذه الأخبار ولوعلمت فستموت، إنها الآن نصف ميتة مشتاقة لسماع أخبار عن طفلها الذي لا تستطيع رؤيته للحظة، إنكم لا تعلمون إنها تعيش حياتها وكل لحظة منها تفكر بابنها.

جاءهم صوت ديفاكي متهدجاً، يا إلهي.

استدار الثلاثة ليروا ديفاكي تقف عند مدخل الغرفة متوكئة على درفة الباب شفتاها ترتجفان وعيناها مفتوحتان رعباً.

- يا إلهي، إن أشاريا محق علينا أن نغادر ماثورا وإني مستعدة لأن أموت لو كان في ذلك حياة «إلهي» ثم أغمي عليها.

15 - لهو كريشنا

كان كريشنا يسلي نفسه حينما بزغ الفجر في جوكول حيث كان يقول: الحياة برمتها لهو بالنسبة لي، حتى وأنا في السادسة،عند بزوغ الفجر، ستحلب الأم ياشودا الأبقار، نعم فإني أكاد أسمع صخب العجول وصوت الأم وهي تنادي الأبقار كلاً باسمها، لقد آن الأوان للإستيقاظ، فرك عينيه وابتسم، رغم أن بالارما جاد جداً، ولكن علي أن أمازحه قبل أن يستيقظ وعندها سيفرك عينيه و يشخر مثل الوحوش وعندها كل ما علي فعله هو أن أسحبه من السرير، وبالرغم من خشونته إلا أنه يحبني وأنا أحبه، وهو يفضل أن يبقى معي في جوكول على أن يذهب مع أمه إلى ماثورا. بعد ذلك علينا أن نغتسل ونتهيأ، قبل بقية الرعاة الذين يجتمعون في ساحة القرية لأخذ أبقارهم إلى مرعى مهافانا للرعي، علي أن أكون هناك إنها الطريقة لأكون قائدهم، لو تأخرت عنهم فسيشعرون بالتعاسة وعلينا كلانا أنا وبالارما أن نرتدي الأزار، والعمامة ونأخذ حاجياتنا ونخرج. إن بالارما لايفهم كيف يفعل الأشياء كما يجب، رغم ذلك علي أن آخذ أزاري الصغير وأثبته بإحكام، وأن ألفّ عمامتي بدقة ملفتة للإنتباه وتثبيتها بميل وليس بالطريقة الفوضوية التي يفعلها أخي الأكبر. ومن ثم عليّ أن أجد ريشة الطاووس لأضعها في العمامة، إن بالارما لا يهتم أبداً بالريش.

بعد ذلك نرتدي أنا وأخي ملابس متشابهة، وعلينا أن نذهب إلى حيث تتجمع الأبقار وعلي أن أجعل أصدقائي الصغار يتحركون، وأن

www.alkottob.com

أقود الرعاة، ويجب أن أبتسم لهم حيث أني رئيسهم، وأن أفرح مع الأولاد الذين يقاربوني في العمر حينما يأتون للحديث معي، وأن أرعاهم فهم صحبتي وبدونهم لايوجد مرح في الحياة. ومرة حينما كنت على رأس مسيرة قدتهم خارجاً نحو الغابة، تاركين الأبقار هناك ترعى وتعود للبيوت. وعند عودتنا للبيت عليّ أن أعرج مع أصدقائي إلى النهر، غير أنه يتوجب علي دائماً أن أذكر نفسي أن بالارما هو الأخ الأكبر ويجب أن يكون سباقاً، رغم أنه أخ جيد جداً ولايهتم أن أتركه خلفي، غير أن من الخطأ قيادة أخي الأكبر وعلى المرء أن يكون حذراً من فعل ذلك.

والسباحة في النهر مع أصدقائي متعة كبرى، حيث أقفز في المياه أسبح، وأحياناً أسابق أصدقائي، نرش الماء على بعضنا أو نضع رؤوسنا داخل الماء حتى يشعر أحدنا بالاختناق، وفي الماء نصعد فوق ظهور بعضنا، وبالطبع لايجرؤ أحد علىالصعود فوق ظهري.

ثم أعود إلى القرية، ولكن ليس إلى البيت، إذ عليّ أن أعرف كل شيء عن الراعيات. ففي الصباخ يذهبن جميعهن إلى النهر لجلب المياه، وذلك الوقت الذي لايجب أن أضيعه حيث أستطيع أن أنحدر على أحد البيوت حيث جميع سكانه من الخارج، ومن ثم وعلى رؤوس الأصابع وبهدوء أفتح الباب الخلفي أو أدخل من خلال شباك كانوا قد نسوه مفتوحاً، وإن لم أستطع، أتسلق إلى السطح وأفتح الآجر وأدخل.

ومن السهل علي أن أفعل كل هذا ولايستطيع أحد منافستي فيه فإني رشيق جداً، وبالتأكيد بالارما لايستطيع ذلك، فهو ثقيل وليس حيوياً. وفي بعض الأحيان يساعدني بعض الأصدقاء، وفي عدة مناسبات وخوفاً من عقاب آبائهم يتركني أصدقائي لوحدي وحتى بالارما يفعل ذلك إذ لايشاركني ويذهب بعيداً.

رغم ذلك فليس هذا بالشيء المهم بالنسبة لي. فالدخول إلى البيوت

بهذه الطريقة متعة كبيرة. وبعد أن أعرف ما أريد. قدر خثرة اللبن أو الزبدة، المعلق بحبل متدل من السقف. إن خثرة اللبن والزبدة هما الأشياء التي أحبها.

وعادة ما يكون القدر معلقاً عالياً بالنسبة لي ولا أتمكن من الوصول إليه، غير أن هناك طرقاً أعرفها، حيث استدعي أحد الأصدقاء وأتسلق على ظهره، وإن لم يوجد من يرضى بمساعدتي فليس مهماً فكل ما عليّ فعله هو رمي القدر الفخاري بحصى، عندها تفتح فتحة كبيرة في القدر، وأحياناً يتهشم القدر وتسقط خثرة اللبن أو الزبدة على الأرض، وهنا أبدأ بالأكل بكلتا يدي، غير أني لست أنانياً فذلك خطأ. إذ يتوجب علي دعوة أصدقائي لمشاركتي الوليمة عندها أقوم بجمع الخثرة والزبدة بيدي وأخرجها لأصدقائي من الباب الخلفي أو من الشباك المفتوح. إن هذه الوليمة المكونة من الزبدة المسروقة ممتعة جداً.

وأحياناً لايكون أصدقائي معي لمشاركتي غنيمتي، عندها لايعود هناك معنى في ضياع كل الخثرة أو الزبدة. ويتوجب أن أقف في الشباك عارضاً الخثرة والزبدة على القرود. وتتقافز القردة من على الأشجار فرحة آخذة الزبدة من يدي وتعود للأشجار ثانية لتأكل ما أخذته، إن القرود مخلوقات لطيفة وأنا أحبها كثيراً.

غير أن الوقت يمر بسرعة فالرعاة ذهبوا إلى الغابة أو الحقل، غير أن نساءهم سرعان ما سيأتون لذا علي أن أختفي بنفس الطريقة التي جئت بها، أخرج من الباب الخلفي وأغسل يدي وأنظف فمي حيث أن الأم ذكية جداً، وستكشف فوراً بأني كنت أسرق الزبدة. وهي تشك دائماً بأني آكل الزبدة. إن الأم صعبة في بعض الأحيان، فهي أنيقة وتريدني أن أكون أنيقاً أيضاً وهي ببساطة لا تفهم ما المتعة في أن أكون غير أنيق أحياناً أو حينما ألعب في الشوارع وأهيل التراب أو قرب زريبة البقر أعبث بالروث.

www.alkottob.com

وفي إحدى المرات شكت بأني آكل التراب، لذا جلبت الخيزرانة وأمرتني بفتح فمي، ففتحت فمي وكان فمي جميلاً جداً ونظيفاً وتفحصتهوكأنها ترى جميع نجوم السماء مشعشعة.

غير أنه يصعب في بعض الأحيان أن أهرب بفعلتي، ففي أحد الأيام كنا أنا وبالارما نلعب في باحة الدار لعبة الملوك. وكل منا صنع له حصناً من روث البقر الجاف ورحنا نتقاذفه فيما بيننا فهو سلاح إلهي منحه الإله العظيم شنكر. بعد ذلك قررنا حسم الخلاف بالمصارعة، رغم أنها لم تكن حاسمة. لذا أخذ كل منا جزءاً من الروث غير الجاف والموجود على الأرض محاولاً أن يلطخ الآخر به.

لقد كانت متعة كبيرة أن يلطخ أحدنا الآخر به.

وكنا معتقدين أن الأم لم تعد بعد من الخارج، غير أنها سمعت صيحات النصر التي أطلقناها فجاءت خارجة وهي غضبى، فأمسكتنا من أذنينا وصفعتنا بقوة ونحن نحاول التملص من بين يديها ضاحكين بعد ذلك غسلتنا وهي تدمدم. وكلما ازدادت عصبية كلما كان ذلك مبهجاً لنا. بعد ذلك أخرجت خيزرانتها، فهرب بالاراما واختفى في زاوية غير أني بقيت واقفاً، فهو لايعرف الأم، أما أنا أعرفها جيداً، فركت عيني ورحت أنتحب كما تفعل الذئاب ليلاً في مرعى مهافاتا. فأنا أعلم أن ذلك سوف يجعلها تهدأ أو يبرد غضبها فوراً. رمت العصا جانباً وفتحت ذراعيها لتحتضنني فأسرعت نحوها، وتعلقت برقبتها ورحت أنتحب بقوة. ونسيت غضبها وربتت على ظهري واحتضنتني وقبلتني وجففت دموعي ثم ضمتني إلى صدرها بحنان. وحالما عاد الصفاء ظهر بالارما من ركنه، وفجأة تذكرت الأم أن أمه العمة روهيني كانت قد ذهبت إلى ماثورا وبقي هو لتعلقه بي والأم قد وعدت بأن تكون له أماً أيضاً. حيث أني لا أستطيع البقاء دونه، فأنا أحبه كثيراً لذا احتضنته الأم وقبلته أيضاً،

وكنا الإثنين سعداء والأم تحتضننا بذراعيها الحبيبتين.

إن المشكلة دائماً مع نساء الرعاة وخاصة مع المسنات منهن، إنه حينما تكسر قدورهن الفخارية فإنهن يفكرن فوراً بأني المسؤول عن ذلك دون غيري. وعندها يأتين إلى الأم يشتكين غاضبات. وفي مثل هذه المناسبات أختفي خلف الأم وأتعلق برقبتها من الخلف وأنظر إليهن بحنان. ومعظمهن طيبات وحتى حينما يتشكين يبتسمن بوجهي، بعد ذلك اعترض بقوة، فكيف أستطيع أن أكسر قدورهن؟ بينما كانت في ذلك النهر، ثم يضحكن، يسميننني «لص الزبدة» فأنكر ذلك وأهز رأسي. وتنظر إلي الأم بغضب وهي تقول، كانا إنك ولد شرير! إنك تزعج الرعاة، تقول ذلك وهي عابسة.

وأرتدي وجه البراءة وبصوت متوسل أرد قائلاً، لقد اعتادوا أيتها الأم أن يلقوا باللائمة علي لقد كنت أرعى الأبقار في الغابة. وتجيب إحدى النسوة قائلة، لدي ولد وأخبروني أنك لم تكن في الغابة.

ـ ولدك ماكر بالرغم من أنه صديقي، كيف تجزمين بأنه لم يسرق الزبدة هو نفسه؟ لقد رأيته يأكلها في باحة بيتك الخلفية، أقول ذلك ونظرتي تفيض بالبراءة.

ويضحك الجميع.

ـ حسناً يا هاري شاندرا[1]، ولكن أين كنت حينما شاهدته ياكل الزبدة؟ داخل البيت؟

تتساءل الأم وهي تضحك

ـ لا.. لقد كنت على الشجرة المطلة على الباحة وكان بالارما هناك أيضاً.

---

1 ـ هاري شاندار: ملك لايكذب أبداً.

www.alkottob.com

وتحاول الأم أن تبدو غاضبة فتقول، إنك كاذب.

فانفجر في البكاء وابتعد وأنا أنتحب قائلاً، أيتها الأم إنك لم تعودي تحبينني وتتصرفين معي وكأني لست ولدك.

وتجيب الأم فوراً، لاياكانا، تقولها بحنان وتسحبني نحو صدرها ولكن عليك ألا تسرق الزبدة بعد الآن.

ـ ولكني لم أفعل، وأنكر بإصرار ثم أخفي ابتسامتي باحتضاني إياها وتنسى الأم كل ما فعلت ويهز الرعاة رؤوسهم وهو يقولون، أليس هو جميل؟.

وابتسم لهم، فهم يمتدحونني، إنهم طيبون أناس محبوبون، يحتضونني ويدعونني إلى بيوتهم ويعطونني الزبدة اللذيذة دون أن أطلب.

وهناك عبث آخر فحينما يأتون الأم شاكين وبعد أن يذهبوا نجد أنا وبالارما الوقت المناسب حيث لايكونون موجودين وعندها أتسلق ظهر بالارما وأتشبث بالجدار الطيني ثم أقفز داخل الدار. وأقوم بإطلاق سراح العجول وأفتح باب الباحة وأقودها خارجاً نحو الغابة ومن ثم أعود وأنتظر عودة الناس إلى بيوتهم وأشاهد بمرح صراعهم من أجل العثور على عجولهم الضائعة..

ا.. وه! إن الحياة مجرد مرح.

16 ـ بماذا شعرت النسوة بخصوص ملابسهن

في سن السادسة اعتقد كريشنا أن الحياة ما هي إلا مرح، وكانت الفتيات الصغيرات في جوكول جميلات جداً ولطيفات وشعورهن شقراء وكن يلعبن معه ولكن ليس مع أصدقائه، من ناحية أخرى فإن بالارما كان يخشاهن بالرغم من أنه كان شجاعاً، غير أن كريشنا كان مختلفاً فقد كان يحب صحبة الفتيات وهن يحببنه كثيراً.

وفي جوكول كان الفتيان والفتيات يستحمون في مجموعات منفصلة في النهر في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة. غير أن الفتيات كن يعملن متى كان يذهب كريشنا إلى النهر لذا كن يذهبن بنفس الوقت. وربما يدخلن النهر قرب المكان الذي يستحم فيه مع أصدقائه. ولم تكن أمهاتهن يحببن ذلك كان منظرهن يبعث في نفسه الحبور. وقد يبدأ أصدقاؤه بالضحك والصفير غير أنه كان يوقفهم عن فعل ذلك، فإن تلك المخلوقات اللطيفة لم تكن لتعامل بتلك الطريقة، وكان جارجاشاريا قسيس العائلة قد أخبره بأنه الحارس لذا كان واجبه حماية الضعفاء، ولما كانت الفتيات مخلوقات ضعيفة جداً فلم يكن يستطعن الركض أو تسلق الأشجار وكن يبكين دائماً حينما يحدث أي شيء غير أن ذلك كان يجعل منهن شيئاً محبباً.

حينما يكون في النهر لم تكن الفتيات يتوقفن عن السباحة حتى يخرج، وهو يعلم أنهن يرقبنه بنظرات من طرف عيونهن. وكان يحب أن يبقى خلف أصدقائه ويتبادل معهن النظرات، ويخرجن ليبحثن عن

www.alkottob.com

ملابسهن وهن يتضاحكن. وعندها يأخذ مزماره ومن حزامه ويبدأ بالعزف. وهو عازف ماهر لقد كان أفضل فتى يعزف المزمار في جوكول والجميع يعرف ذلك وعندها يتطلعن إليه بنظرات عبادة، - ويشعر هو بالسعادة.

وفي الأماسي وخاصة حينما يكون القمر بدراً تتجمع الفتيات في ساحات القرية ليلعبن وكن يكرهن اللعب مع الفتيان، غير أن الأمر معه مختلف، فكن يرحبن به بصرخات فرح يحطنه ويطلبن منه أن يعزف لهن على المزمار ويفعل.

ثم يدعنه يلعب معهن، لماذا، أحياناً يوافقن على أن يلعبن الألعاب التي يعلمها لهن. فهناك ألعاب للفتيان لا تستطيع الفتيات ممارستها بشكل جيد. وكانت لاليتا وفيشاخا فتاتان شجاعتان وكانتا تحاولان بجد أن تتعلما. ولكنهما كانتا تسقطان في بعض أجزاء اللعبة حيث أنها كانت صعبة جداً عليهن وتبدأن بالبكاء يذهب إليهما يحملهما من على الأرض ويطيب خاطرهما ببعض كلمات.

وعلى العموم فقد كانت جميع الفتيات يحببنه لأنه كان يتكلم معهن بلطف، وهو يعرف كيف يفعل ذلك جيداً. فيتحولن عندئذ من التعاسة إلى السعادة ويبتسمن ويضحكن ويرحن يتحدثن ثانية. أما بالارما فقد كان صعباً جداً وعنيداً، ولم يكن يرغب في اللعب مع الفتيات أو حتى التحدث إليهن، وكان يضحك من كريشنا وهو يراه يفعل ذلك، غير أن كريشنا لم يكن يستطيع المقاومة ولم يكن على استعداد لأن يفقد كل المرح كما أن بالارما لم يكن يشاركه في تكسير أوعية الماء الفخارية التي تحملها الراعيات على رؤوسهن بحصى فقد كان يعتقد أن تلك وحشية غير أن كريشنا كان يرى في ذلك مرحاً وأن الراعيات يحببنه أيضاً.

لقد دخل في العديد من البيوت من أجل سرقة الزبدة وكانت

الراعيات تشتكينه غالباً للأم، لقد شعر أن في ذلك ظلماً فالحياة ستفقد حيويتها أن هو لم يسرق الزبدة، لذا فيجب عمل شيء لإيقاف شكواهن. لقد كان مشتاقاً لشيء مضحك لتلقين أولئك الراعيات درساً.

وإلا فلن تتوقف شكواهن، ولكن ما هو ذلك الشيء؟ وبينما كان يفكر في فكاهات جديدة وصل إلى حافة النهر. وكانت هناك فتيات راعيات جميلات وبعض المسنات الجميلات أيضاً يستحممن في النهر وهن متمتعات، فقد كان الوقت منتصف النهار ولايوجد أي من الرعاة على الضفة. وقعت عيناه على ملابس النسوة ملقاة قرب الشجرة أية مزحة ستكون! واختفى خلف العشب، وذهب بخفة إلى الشجرة وجمع الملابس بأكملها وربطها في حزمة ثم تسلق الشجرة ليختفي بين أغصانها جالساً هناك بهدوء. بعد ذلك خرجن من المياه وأجسادهن تقطر ماء وشعورهن تتماوج مثل الأفاعي، وجئن إلى الشجرة ولم يجدن ملابس ورحن يتصايحن برعب، لقد كان مرحاً عظيماً بالنسبة له حين يتطلعن بوجوه بعضهن ويفتشن في الجوار، والطريقة التي حاولن تغطية أجسادهن بأيديهن ولم يستطعن بعد ذلك تطلعن للأعلى فلاحظن كريشنا جالساً على الشجرة فصرخن لم ينظر إليهن بل أسمك بمزماره وراح يعزف عليه نغماً شجياً، ورحن ينتحبن، وحاولت إحدى الشابات أن تتسلق الشجرة ولكنها لم تستطع، فقد سقطت المسكينة وكاد أن يدق عنقها ثم رحن يتوسلن به وأيديهن متشابكة، قائلات، كانا كانا نرجو أن تعطينا ملابسنا.

وجواباً عليهن راح يعزف على المزمار، وبقين يتوسلن فقال لهن اطلبوا الإعتذار عن شكواكن ضدي، فرحن يضرعن إليه أن يسامحن بصوت متوسل لم يستطع معه إلا أن يرق لهن. غير أنه راح يرمي لهن الملابس جزءاً بعد جزء، وكان هناك تداخل فيما بينهما للإستدلال على أي لِمَنْ، لذا فقد استمرت البهجة بالنسبة له، وحينما ارتدين ملابسهن، نزل من

www.alkottob.com

على الشجرة وابتعد عنهن وهو يعزف على المزمار. وسمع إحداهن تقول، إن ابن ياشودا مزعج، غير أنه ابتسم وردت الأخرى قائلة، حمداً لله أنه لايتجاوز السابعة.

فأجابتها ثالثة، إنه لايفهم ما الفرق الذي سيكون عليه لو كان في السابعة عشرة وبقيت النسوة والفتيات يتحدثن حتى حينما أصبح الحديث عن هذا الموضوع يعد عاراً. وهو لم يفكر في كيف يمكن للنسوة أن يذهبن إلى بيوتهن دونما ملابس في وضح النهار ولم يتخيل مثل هذا العقوق لذا فقد صعق حينما جئن إلى الأم وأخبرتها بكرمه، ودبلاً من الشكر طلبن من الأم توبيخه، إنه عالم غريب.

رغم ذلك لم يشعر بأي امتعاض إزاء هذا الجحود، فلقد وجدت هؤلاء النسوة المسكينات بعض السعادة في أن يكن جاحدات. رغم ذلك فإن كل ما كان عليه أن يفعله حينما غضبت الأم جداً كان أن يستلقي على الأرض ويبكي، وبالطبع فقد بقي ينظر للأم بهدوء ليرى إن كانت من خلال حركاتها ستسامحه أم لا وسيأتي لتحتضنه ولكن لم يحدث شيء من ذلك!

تركت النسوة الجاحدات بيته وذهب الخدم كذلك، وراحت الأم تستخلص الزبدة من الحليب وفكر أنها قبل أن تباشر عملها يجب أن تأتي إليه وتحتضنه، ولكن لا فإنها لن تفعل، حاول أن ينشج غير أنها لم تلتفت إليه. جعله هذا الإهمال عصبياً ولكن بشكل هادئ. لقد كانت الأم طيبة ولكنها اليوم غاضبة بحق وهو لم يفهم لماذا. حينما سمع والده بما قام به من لهو. بملابس الراعيات ضحك بقهقهات، وقال إنه يظن أن تلك مزحة كبرى، غير أن الأم لم تكن من رأيه، لقد كان وجهها محمراً، ولكن النساء يتقين نساء في كل الأحوال.

أما هو كان غاضباً ولكن ليس كمثل الآخرين، فحينما يكون على

سبيل المثال، بالارما غاضباً فإنه يغضب ويهتاج ويرفس برجليه ويزعق بأعلى صوته ويحرك عينيه بكل اتجاه، وذلك غير مجد تماماً فمن الحمق إزعاج نفسه حينما يكون غاضباً، ولابد للأم من أن تشعر بأنه غاضب وعندها تتغير وتعود حبيبته كما كانت دائماً. وربما تختلف النساء عن الرجال فيما يخص الملابس، لابد أن يعطي للأم فرصة في أن تعود إلى طبيعتها لذا فقد توقف عن البكاء وخطا ببطء نحو الأم وحاول الإمساك بأطراف الساري، لقد كان متأكداً من أنها ستستدير وتراه وهو يبكي وعندها ستنسى غضبها وتأخذه بين ذراعيها.

واستدارت، نظرت إليه وكأنها تريد أكله حياً ثم أبعدته عنها، صرخ بتوسل، أماه، غير أن رائحة الحليب على النار كانت تعبق في الجو، تشممتها ثم ركضت إلى الغرفة لتوقف الغليان شعر بالغضب مرة أخرى، فهو ليس مثل بالارما، ولكنه وبهدوء قرر طريقة ما، فالأم لاتزال غاضبة ولابد من فعل شيء يلفت انتباهها.

وفجأة وقعت عيناه على جرة الزبدة معلقة بحبل، بالطبع فهو يعرف طريقة كسرها لقد فعل ذلك مئات المرات ليس في بيته، والتقط حصاة ورمى الجرة بها متأكدها من هدفه كخبير.

فرت! وكان هناك شرخ كبير في الجرة وبدأت الزبدة بالإنتشار وأكل منها قدر ما يستطيع وجمع الباقي في صحن معدني حمله إلى الباب الخلفي حيث جلس على هاون خشبي كبير ودعا أصدقاءه من القرود لمشاركته الوليمة، واحد اثنان، ثلاثة، أربعة، وصلت وأخذت الزبدة من يديه وجلست أمامه مقعية على خلفياتها واضعة الزبدة على الأرض التي سال قسم كبير منها، ونسي غضبه.

خرجت الأم وشاهدت جرتها المسكورة والزبدة على الأرض، فأدركت فوراً أنه هو من فعل ذلك، ولم يعد لديها الآن شك في كيفية

www.alkottob.com

تحطم جرار الزبدة السابقة. وجاءت إليه غاضبة وأمسكته من أذنه وصفعته قائلة، إنك ولد شرير، متى سيصلح حالك؟

شعر بجرح بليغ، فلو كانت هي طيبة لكان هو أيضاً طيباً، غير أنها لم تمنحه فرصة، كما أن من المبهج أن يراها عصبية جداً، وإزاء حاجبيها المنعقدين وأنفها المنتفخ والغضب الذي يفسد طيبتها لم يكن أمامها سوى أن يضحك.

صرخت قائلة، سألقنك درساً لن تنساه، لقد كان غضبها مثل غضب بالارما فيه الكثير من تبديد الطاقة، وفي فورة غضبها جلبت عصا لتضربه وكل ما كان يفعله في مثل هذه الأحوال هو أن يهرب فلحقت به غير أنه انزلق بالزبدة المراقة على الأرض وسقط، وأمسكت به حيث جلس على الهاون وفرك عينيه بقسوة وراح يبكي بصوت عال.

توقفت الأم للحظة والعصا مرفوعة بيدها، وراح هو يبكي بكل قوته فربما بتلك الطريقة تعود لطبيعتها.

ورغم ذلك فإن جميع ما فعلته الأم كان أن رمت العصا جانباً وأخذت حبلاً معلقاً، وكانت غاضبة جداً فراح هو ينتظر ما الذي ستفعله انحنت الأم وحاولت ربطه بالهاون، حاول أن يتملص منها بسرعة غير أن الأم كانت قوية جداً وكانت قادرة على السيطرة عليه لذا شعر بعدم جدوى المقاومة. واحمر وجهها وتناثر شعرها وتساقطت الزهور التي كانت تزينه على الأرض، واحد اثنان ثلاثة، وقيدته إلى الهاون ومضت غاضبة خارج الغرفة لإكمال عملها المنزلي.

17 ـ معجزة الشجرتين المتماثلتين

إن كانت الأم غاضبة فهو أيضاً غاضب، كان عليه أن يجعلها تشعر بأنها لايمكن أن تستمر في الغضب لذا كان يجب أن يفعل شيئاً الآن، ولكن ماذا يفعل؟ فيداه ورجلاه مقيدتان إلى الهاون. وحينما حاول النهوض سحب معه الهاون الثقيل. حاول شيئاً، انزلق الحبل قليلاً ولكنه لم يستطع تحريك رجليه، عليه أن يفعل شيئاً بغير به مزاج أمه. انحنى وحاول التحرك ولكن، تحرك الهاون معه كان من الصعب عليه أن يتحرك بسرعة، غير أنه بالتأكيد سيسحبه معه.

تحرك باتجاه الباب، ببطء وصمت، لم تشك الأم بأنه كان يعتزم الخروج مع الهاون، كان يعتزم الخروج إلى باحة الدار وخطوة فخطوة وصل إلى الباب الخارجي، فتحه وبمحاولة سحب نفسه والهاون عبر العتبة.

ها هو الآن في الخارج، وأمامه يمتد الطريق الموصل إلى الغابة ستكون فرحة لو سحب الهاون معه إلى الغابة، وعلى الأم أن تسترجعه قبل أن تدق الرز يوم غد.

أخذ الهاون يزداد ثقلاً، دونما شك، وراح هو يعرف كثيراً، ولكن إن كانت الأم بمزاج سيء فليس هناك جدوى من العودة حتى تعود لطبيعتها الحبيبة ومزاجها الرائق ثانية.

راح يسحب الهاون عبر طريق الغابة برغم تعبه. وشعر أن عليه أن

www.alkottob.com

يأخذ قسطاً من الراحة، فجلس على الهاون، وراح ينظر إلى الأغصان تتمايل بفعل الهواء، أويستمع لترنيمة الطيور.

وشعر بالإنتعاش وهو يشاهد الطاووس يتبختر في مشيته أمام أنثاه نافشاً ريشه، وحينما اقترب من المنطقة التي هو فيها طارت الطيور لذا راح يجمع الريش المتساقط على الأرض ووضع ريشه في شعره، حيث كان الجميع يقولون أنه صاحب أجمل شعر معقوص في فراجا، وكان يشعر دوماً بالخجل من شعره ما لم يضع فيه ريشة طاووس.

شعر بالعطش وأراد أن يذهب باتجاه النهر فربما يشاهد أحداً هناك يسقيه ماء، لذا سحب نفسه نحو النهر وجلس على الهاون بانتظار امرأة عائدة من النهر. ومع ذلك شعر بالتعب من الإنتظار ففي فترة الظهر تكون جميع نسوة القرية مشغولات بأعمالهن المنزلية أخذ صبره ينفذ وأراد العودة إلى المنزل. وفجأة وقعت عيناه على شجرتين متماثلتين من الأشجار التي تنمو جنباً إلى جنب على الطريق وكانت إحدى الشجرتين تدعى (يَمل) والأخرى (أرجون) فكر للحظة، نعم فلو قفز إلى أحد الأطراف وحاول سحب الهاون من خلال الفراغ الصغير بين الشجرتين المتماثلتين ولكنه لن يتسع، فربما انقطع الحبل وعندها سيترك الهاون خلفه وسيتحرر من وثاقه.

وبشكل ما كان قادراً على أن يحك الحبل في الشجرتين، والهاون في الطرف الآخر، ثم قرر وحاول أن يشد الهاون بقوة غير أن الحبل كان قوياً. وارتاح قليلاً ليستجمع قواه وصر على أسنانه واستجمع قوته وسحب. وبدلاً من أن ينقطع الحبل سقطت الشجرتان (يَمل) و(ارجوان).

شعر بالسخط والغضب فقد سقطت الشجرتان غير أن الهاون بقي مربوطاً ولم يعد يستطيع التحرك باتجاه الأشجار. استلقى على الأرض متعباً، معروقاً قرفاً، والآن كيف يمكنه أن يسحب ذلك الهاون الثقيل

والأشجار أيضاً؟ عليه أن ينتظر، ولا يستطيع البكاء، ولم يبكي؟ ألم يُسقط الشجرتين؟ بالطبع لقد كان ذلك قاسياً غير أنه غير مهم.

عليه أن يكون يقظاً الآن، سمع أصواتاً تقترب وشاهد بعض النسوة يذهبن إلى النهر يجب أن لايبدو أمامهن باكياً، فقد فعل مالا يقدر عليه أحد، لقد سحب الهاون إلى هذه الأنحاء وأسقط شجرتين.

شاهد امرأتين قادمتين، لا إنهن مجرد فتيات، إحداهما كانت أصغر منه والأخرى أكبر وأقوى، وكانتا تحملان قدوراً نحاسية فوق رأسيهما وكانتا تضحكان. وكانت الكبيرة ذات شعر جميل مزدان بالزهور وعيناها جميلتين حيث كانتا كبيرتين ولامعتين ولعوبتين، أطرافها لدنة، تتثنى في مشيها وكأنها ترقص وخلاخلها تصلصل بايقاع رتيب.

ـ انظري هناك شخص جالس على الأرض هناك.

ـ يبدو وكأنه صبي، أجابت الصغيرة.

ـ دعينا نرى، قالت الكبيرة ذلك بصوت عذب وكأنه تغريد الطيور.

ـ قالت الصغيرة واسمها لاليتا، انظري يارادا إنه ابن ياشودا، وهو بالطبع يعرف لاليتا التي كان معتاداً على اللعب معها.

ـ ردت الكبيرة قائلة، تقصدين كانا ابن الزعيم ناندا؟ ما أغرب ذلك كان اسم الكبيرة رادا، ما أعزبه من اسم خاصة حينما يلفظ بحنان، إنه يشيع أمواجاً من الفرح في قلبك!

ركضت الفتاتان نحوه وأنفاسهما تتقطع واضعات القدور جانباً.

ـ سألته لاليتا، ما الذي تفعله هنا يا كانا؟

ـ أجابها ضاحكاً قدر ما يستطيع، ألا ترين؟ أني أقتطع الأشجار

ـ سألته رادا، غير أنك مربوط إلى الهاون، فمن الذي ربطك؟

www.alkottob.com

ـ أجابها، أوه أمي فعلت ذلك، قالها وكأن ذلك أمر اعتيادي، فهو لم يستطيع أن يخبر مثل هذه الفتاة الرقيقة بأنه معاقب.

ـ استغربت رادا وقالت بانفعال، ما أقساها!

وبالطبع نظر إليها بامعان وشاهد يديها الصغيرتين وأطرافها الرشيقة، فهو لم يسبق له أن شاهد فتاة جميلة مثلها، صغيرة متناسقة، تشع حيوية بالرغم من أنها تبدو أكبر سناً من عمرها، والأغرب من ذلك بدأ يشعر أنه يعرفها طوال حياتها.

أجابها في محاولة منه للمزاح معها، أوه لا إن الأم طيبة جداً وهي تحبني جداً غير أنها غاضبة بعض الشيء الآن،وجميع النسوة يغضبن أحيانا.

إزاء ذلك راحت رادا تضحك، وحينما بدأت بالضحك لم يستطع إلا أن يبقى يتأمل الغمازتين في خديها وأحبها جداً، سألته وماذا تعرف عن النساء.

ـ أنا ؟ أوه ! أعتقد أن الأم امرأة، وابتسم بطريقته التي لاتضاهى أعرف لاليتا أيضاً وغيرها كثيرات.

ـ بالطبع تعرفني يا كانا فقد أسقطتني أرضاً قبل أيام وحينما رحت أبكي جعلتني أبتسم، قالت لاليتا ذلك وقد بدا عليها القلق من رؤيته مقيداً إلى الهاون والأشجار ساقطة بقربه.

ـ دعينا نحل الحبل يا لاليتا ونحرر كان، قالت رادا ذلك وهي تحاول الوصول إلى الحبل ولم تقل كانا كما اعتادت النسوة في جوكول أن يسمينه فقد اختصرت الاسم إلى كان والطريقة التي لفظت بها الاسم كانت رقيقة وعذبة.

ـ لا لا تفعلن رجاءً لقد قيدتني الأم إلى الهاون وأنا بانتظار قدومها

لتحل العقدة، قال ذلك، ولم يكن يريد أن يحل وثاقه فقد كان يريد إحراز انتصار على الأم.

ـ أجابته رادا بتشكك، ولكنها يمكن ألا تأتي.

ـ أوه، ستأتي حتماً، وما لم تحل وثاقي بنفسها فإن غضبها لن يهدأ.

ـ سألته لاليتا، ولكن ما الذي علينا أن نفعله لك؟

ـ اذهبن واجلبن لي بعض الماء إن أمكن، إنك لطيفة جداً يالاليتا، قال ذلك ووجهه يشع بابتسامه يعلم أنها قادرة على استعطاف جميع القلوب والإستئثار بها.

ركضت لاليتا نحو النهر حاملة إحدى القدور الصغيرة وجلست رادا بجواره شعر أن عطراً ذكياً يفوح منها، وشاهد حلاوتها، فقد كان وجهها الوردي الصغير يبدو هادئاً ولطيفاً ومجرد رؤ يته جعله يشعر بالدفء والسعادة كما لم يشعر بها من قبل.

ـ هل أنت ابن ناندا الذي يتحدث عنه الجميع؟

ـ نعم أنا ابن ناندا، وهم يتحدثون عني لأن ليس لديهم شيء آخر ليفعلوه، و أنت أيضاً ستبدأين بالحديث عني، قال ذلك بمشاكسة.

ـ وكيف تعلم؟ سألته رادا بعبث وعيناها تتراقصان بمرح وهي تحاول أن تمزح معه.

قال لها، إنك تبدين لطيفة جداً وحبيبة، ورقيقة وهادئة، تلك الكلمات التي كان يعرفها والتي كان يعلم ألا يجب أن يقولها تدفقت بسهولة من فمه ولم يستطع أن يمنع نفسه عن قولها بعد أن شاهد هذه الفتاة التي لم ير مثلها من قبل. من أين جئت يا ترى؟ فلم أشاهدك قبلاً في جوكول، أتمنى أن تتوفر فرصة أخرى لألقاك، قال ذلك ولم يستطع أن يمنع نفسه، كان يتكلم كما لم يتكلم من قبل، كانت ابتسامة رادا مثل الزهرة المتفتحة

www.alkottob.com

وكان يستطيع أن يرى أسنانها أيضاً، كانت أسنانها مثل حبات الرمان، محمرة ومنسقة وصغيرة.

آه.. إني من برسانا ونحن في طريقنا إلى فرندافان حيث يوجد أبي حالياً، وقد جلبني أخي إلى هنا لنوفي بنذر في أن يتعبد في معبد جوباناث مهاديفا، آه ولكن خدوشك كثيرة فدعني أنظفها من التراب، قالت ذلك وضحكت بعذوبة.

وبالطبع فهو لم يكن مهتماً بالخدوش خاصة وهو يحادث فتاة لطيفة غير أنه لم يكن ليضيع متعة أن تنظف خدوشه من التراب.

وراحت تزيح الحبل وتنظف جسمه من التراب فشعر ببعض الوخز. لقد كان شعوراً غريباً لم يشعر به من قبل.

ـ ولماذا ربطتك الأم إلى الهاون ياكان؟ سألته رادا بينما كانت تزيل التراب عن عقصات شعره.

ـ آه.. بسبب الجرة التي كسرتها ولأنني أعطيت الزبدة للقرود.

ـ إذن لهذا السبب يدعونك بلص الزبدة، أليس كذلك؟ وقد سمعت أنك أزعجت جميع نساء جوكول.

ـ لو قدمت للإقامة في جوكول فلن أزعجك، أعدك بذلك، لم يكن يريد إزعاج مثل هذه الراعية الرائعة والتي كانت لمساتها تشيع في كل عضلة من جسمه الفرح.

ـ آوه، لو كنت هنا فسأرى إن كنت ستتصرف بانتظام.

ـ لقد تغيرت حتماً، وإن جئت للإقامة في جوكول فلن أهشم أية جرة، عدا جرتك، لقد كان صعباً عليه أن يحادث هذه الفتاة كما يحادث الأخريات، لقد شعر وكأنه مسحوب ليقول لها بعض الأشياء العابثة وكان يود لو يستطيع اختطافها.

ـ لو هشمت جرتي فسوف أربطك كما أنت الآن مربوط، أجابته رادا وهي تداعبه ولم يتمالك أن يمس شعرها ويعبث به قليلاً.

نظرت إليه وزمت شفتيها الحمراوين وقالت، تأدب وإلا... ثم رفعت يدها لتصفعه.

ـ قال لها ورفع وجهه لتلقي الصفعة، افعلي ما شئت.

ورغم أنها جميلة كانت تبدو فتاة غريبة، فإنها راحت تحدق في عينيه بعمق وشعر هو وكأنه يعب من روحها وجمالها، ثم وضعت يدها برقة على خديه وضغطت عليهما وراح هو يعبث بشعرها. و يضحكان سوية وفجأة سمعت أصوات بعض النسوة القادمات وتحركت رادا بعيداً عنه وكان راغباً ألا تغادر تلكم النسوة بيوتهن، وحينما قدمن ذهبت رادا نحوهن وأخبرتهن عنه وكيف كانت الأم قاسية في ربطها إياه إلى الهاون وكيف جاء إلى الغابة مع الهاون وأسقط الشجرتين بقوته، وركضت الراعيات نحوه وهن يرددن كلمات رقيقة، ورحن يثنين عليه بجلبة وأرسلن رجلاً تصادف أن كان ماراً في الجوار ليخبر الأم بما فعله ولدها ويطلبن منها الحضور.

وقد أخبرن القروي بما قاله كانا، أن أمي هي التي قيدتني إلى الهاون ولن يحل وثاقي غيرها وأضفن قائلات، نرجوك أن تتضرع إليها لتأتي على الفور فإن الحبيب المسكين تعب.

ذهب القروي راكضاً برسالته وجلست الراعيات يصغين لما تخبرهم به رادا عن بطولته، ينظرن إليه طوال الوقت وكأنه معجزة.

بعد ذلك عادت لاليتا من النهر وسقته ماء، وقد أجمعن جميعهن على عدم الموافقة على ما فعلته الأم وعبرن له عن حبهن له، وأخبرتهم رادا عن نبله حينما شاهدته وكانت تتحدث عنه وكأنه يخصها هي.

www.alkottob.com

في هذه الأثناء تقاطر القرويون وراحوا يتجمعون حوله، وجاءت الأم راكضة متقطعة الأنفاس يلحق بها الأب وارتمت الأم عليه، حلّت وثاقه ثم حملته بين ذارعيها واحتضنته وراحت تسمعه كلمات لطيفة واحتضنها كما لم يفعل من قبل. فهو يحب الأم فوق كل شيء وهو يعلم جيداً أنه حبيبها ولن يكون هناك شيء يحبه أكثر منها.

وتمشى الأب حول الأشجار الساقطة واستغرب أن تسقطا بقوة ولد صغير ثم نظر إلى السماء متسائلاً إن كان الولد هو الإله. أما رادا فقد استمرت تتحدث عنه بطريقتها الرائعة.

وفي تلك الليلة لم يستطع النوم بالرغم من أنه كان مجهداً، فقد علم أن رادا ستترك القرية في الصباح وهو لايستطيع التوقف عن التفكير بها، نهض في الصباح ولم يوقظ بالارما كما يفعل ذلك يومياً وحينما تجهز تسلل خارج البيت. وكان يعرف بيت الرعاة الذي توجد فيه رادا وأخوها وصل إلى هناك حينما كانا يخرجان من البيت لركوب العربة التي تجرها الثيران.

ركضت رادا نحوه وحملته فقد كانت قوية جداً بالرغم من أنها تبدو صغيرة ورقيقة وأخذته إلى أخيها.

ـ أخي، ها هو ابن ناندا، كان، الذي كان مربوطاً إلى الهاون، والذي أسقط شجرتين كبيرتين، قالت ذلك وهي تضحك.

حمله أخوها الذي كان ضخم الجثة وربت على مؤخرته، لم تعجب كريشنا تلك الربتة غير أنه تحملها فهذا الشخص أخيراً أخ رادا.

وحينما ركبا العربة ركب معهما قائلاً سأذهب إلى ضواحي كوجول معكما فقد كانت راردا لطيفة جداً معي بالأمس، وجلس بقربها. وحينما راحت العربة تمضي مسرعة وهي تهتز كان يرتمي بقرب رادا أو ربما ترك

نفسه ليلتصق بها، لقد كانت تلك متعة كبرى وشعر بالراحة وحينما تعرضت العربة لهزة عنيفة والتصق بها بشدة وأمسكت بيده وظلت تضغط عليها.

ووصلوا إلى ضواحي جوكول واستأذن من رادا وأخيها وقفز من العربة سألته رادا وصوتها متهدج أشاع في نفسه شعوراً غريباً.

ـ كم عمرك؟

ـ سبعة، وأنت؟ ولم يستطع منع نفسه عن السؤال.

ـ اثنتا عشرة، قالت ذلك وهي تضحك.

ـ تعال إلى مزندا فان.

ـ بلا شك سآتي، أجابها.

ودعها، وتحركت العربة وبقي واقفاً حتى خمد التراب الذي أثارته العربة ثم ذهب إلى البيت يفكر في رفيقة اللعب التي كسبها وأضاعها.

www.alkottob.com

18 ـ فاسوديفا وديفاكي يعودان إلى ماثورا

مرت خمس سنوات منذ أن غادر فاسوديفا وديفاكي ماثورا وخلال هذه الفترة ترحلا بعيداً وفي أماكن متعددة، من برابهاس على بحر سوراشترا حيث يقيم إله الشمس إلى فاراناني المكرس لعبادة الآلهة على ضفاف الكنج المقدس حيث مقر شنكر، إله الآلهة وفي طريقهما زارا المعابد واستحما في الأنهار المقدسة وفي رحلتهما إلى بادري كاشرم المكان الأكثر قداسة من بين جميع الأماكن عبرا جبل الجواهر المتلامعة، وعلى ضفاف نهر الأكناندا قاما بزيارة الملك باندو وزوجته الملكة كونتي، وهي أخت فاسوديفا، ومادري أميرة ماردا.

وفي الطريق تسلقا قمة جنظا مادان حيث تنمو أجمل الأزهار، والتي لايوجد لها مثيل في أي أرض أخرى، أو في أي قصيدة. وأخيراً وصلا إلى بادري كاشرم حيث ذهبا لتقديم الولاء إلى الكهنة الذين يعيشون في كهوف الجبال والساعين إلى المعرفة وقوانين الحكمة المنهمكين بالموضوعات السامية. ثم زارا كذلك الكاهن فيدا فياسا غير أنه لم يكن هناك فقد كان في ذلك الوقت في كوروك شيترا.

وبقلوب عامرة امتدحا جمال القمم الثلجية واستحما في دوامات مياه الأكناندا ثم زارا معبد بادري كاشرم حيث تجلى فيه الإله فشنو بهيئة نارايانا ليعلم الإنسان كيف يدمج نفسه في عبادة الأسمى دون تردد وحينما كانا في بادري كاشرم سمعا بخبر موت الملك باندو والحث على حرمان كونتي. لقد كانت أخباراً محزنة أن تسمع. كان الوقت ربيعاً

والأزهار متفتحة. الطيور بألوان براقة تزقزق مرحى بقدوم الربيع وبالرغم من أن الملك باندو كان يعيش في ظل لعنة فقد كان واقعاً تحت إغراء الطبيعة، لقد انفجر الكبت الطويل وساقه إلى أن يتمتع بالكثير من المتع التي نسيها منذ زمن بعيد، في أحضان ملكته الشابة ماردي غير أن اللعنة كانت قوية فقد مات وهو في أحضان ملكته.

في البداية أرادت كل من كونتي ومادري أن تكونا كلتاهما مع جنازة زوجهما على المحرقة حيث أن ذلك هو المصير السامي للزوجة المخلصة غير أن مادري لم تكن تسمح أن تشاركها كونتي. كونتي لها ثلاثة أبناء اثنان منهم صغار، وواحدة من الإثنين لابد أن تبقى لتكون مسؤولة عن الأولاد، وأخيراً ذهبت مادري لتشارك الملك متع الحياة الآتية تاركة للكبيرة كونتي العناية بالأبناء الخمسة، لذا فإن كونتي الأم لثلاثة أبناء أصبحت أماً لخمسة.

حينما وصل فاسوديفا وديفاكي إلى باندوكيشوار حيث تعيش كونتي وجدوا أن الحكماء قد أعدوا الترتيبات ليذهبوا معها ومع أولادها إلى هاستينابورا عاصمة كوروس الأقوياء وأرسلوا كذلك رسالة إلى بشما يخبروه فيها بإرسال كونتي وأولادها.

وقد أعد فاسوديفا الترتيبات للعودة إلى السهول وقبل أن يعود قرر أن يزور الحكيم فيدافياسا في كوروكشيترا وأن يقدم له الإحترامات وقررت كونتي أن تصحبهما أولاً إلى كوروكشيترا لتحصل على بركات الحكيم قبل أن تذهب إلى هاستينا بورا، وحينما شاهدت ديفاكي كونتي خفق قلبها باتجاه أخت زوجها. وراحتا تبكيان وهما متعانقتان نادبتان سوء الحظ الذي فرق بينهما.

وكانت كونتي تحسد مادري حيث قالت لديفاكي، إني غير محظوظة فالآلهة لم تمنحني حتى امتياز الذهاب إلى العالم الآخر مع سيدي، قالت ذلك وهي تبكي.

www.alkottob.com

أجابتها ديفاكي، ولكن مادري كانت محقة فأنت الكبيرة وبإمكانك رعاية الأولاد بشكل أفضل.

هزت كونتي رأسها وهي تقول، إنك محقة ولذلك قبلت. لقد كانت شابة وعليّ أن أنجز واجباتي من خلال رعاية الأولاد، غير أني لا أفهم الحيلة التي يمكن لملكة جنداري إعدادها فقد كان بإمكانها لو استطاعت أن تنكر وراثة أولادي لأبيهم.

كانت ديفاكي متعاطفة مع كونتي، وقد حسدتها حينما كانت تراها تشعر بالسعادة حينما تضع أحد أولادها في حضنها أو حينما يحيط بها الأولاد الخمسة مطالبين بصخب بحنانها.

وديفاكي غير محظوظة، فلها ثمانية أولاد ستة منهم تم قتلتهم وإثنان كانا بعيدين عنا في بيوت غريبة يعيشان ابنين لأمين ليستا بأمهما ولم يردها أي خبر عنهما.

وأبناء كونتي جميلو الطلعة فهل يا ترى ابناها مثل هؤلاء؟

وابن كونتي الكبير يوظيسذر يبلغ من العمر ثمانية ييدو جاداً برغم عمره، وعليه مسحة من الأمانة تشع من عينيه، والثاني جيم يصغر الأكبر بسنة واحدة، وكان طويلاً مليحاً ذا ابتسامة واسعة طيب القلب ربما يكون ابنها بالارما مثله. أما الولد الثالث ارجون الذي يصغر كريشنا بسنة واحدة، فقد كان حيوياً سريع الحركة أشقر ذا مزاج محبب ربما يكون كريشنا مثله، أيمكن ذلك؟ سألت نفسها، أما الولدان الآخران ابني مادري فقد كانا صغيرين لكنهما جميلان ذكيان أكثر من عمريهما، وكان الخمسة يشكلون مجموعة كبيرة متكاملة، فهم لم يكونوا يتعاركون ولا يسببون أي إزعاج لكونتي.

وارتحلوا على أرجلهم بطيئاً ووصلوا إلى السهول قرب ريشيكيش

المقدسة، ومن هناك عبروا السهول، حيث شاهدوا النساء والأطفال في عربات تجرها الثيران والرجال يمشون على الأقدام أو يمتطون الخيل وكان الجميع بانتظار عودة فاسوديفا. وطوال الوقت كانت كونتي مشغولة بطبيعة الإستقبال الذي ستحظى به هي وأولادها في هاسيتنابورا.

بقي يوم واحد على السفر حينما قضى الطرفان الليل تحت شجرة تين البنجاب الضخمة وخيمت بالقرب منهم مجموعة من خمسة فرسان وقد ازداد تطفل فاسوديفا، وعند السؤال وجد أن المجموعة هي بقيادة الأمير شاكوني ابن ملك مملكة جانظارا واخ جانظاري ملكة الملك الأعمى ظرتياراشترا.

سأل فاسوديفا كونتي قائلاً: لماذا يأتي هذا الشاب إلى كوروكشيترا في هذا الوقت يا أختي؟

إني أتوقع بعض الأخطار.

- وكيف لي أن أعرف يا أخي؟ أن باندو الأفضل من بين الكارافاس كان يقول دائماً بأنه شاب شرير سألها فاسوديفا، هل يزمع شاكوني أن يثير لك المتاعب في هاستينابورا؟

أجابت كونتي، يجب ألا أستغرب من ذلك، فجنظاري تغير مني ولا أدري لماذا فلديها مئة ولد يا أخي، وقد أمرت أولادي بالعناية بمهاديفا رب الأرباب، والأفضل من بين الحكماء.

عند الصباح الباكر ارتحل الفرسان إلى كوروكشيترا وراحت المجموعات الأخرى تتحرك ببطء في العربات ومشياً على الأقدام، وعند حوالي منتصف النهار بدأت كوروكشيترا تتبدى لهم، مجموعة من الأكواخ على ضفاف البحيرات الخمس وحبست ديفاكي أنفاسها حينما شاهدت الدخان المقدس منبعثاً من مئات النيران المشتعلة للقرابين، وعند

www.alkottob.com

بعض البحيرات كان الكهنة يصلون إلى شمس منتصف النهار ومن بين الآخرين نساء ارتدين ملابس داخلية حيث كن يحممن أطفالهن أو يملأن جرارهن بالماء، وعلى جميع الجوانب أصوات إنشاد الفيديا حيث الحكيم فيدا فياسا يعلم الناس أن ينشدوا.

وقادهم ناسك شاب، حيث تبعه فاسوديفا وديفاكي والحكماء وكونتي وأولادها، وذهبوا إلى حيث كان فيدافياسا جالساً مع الحكماء يناقش قضايا الوجود، وحالما شاهد الحكيم كونتي وفاسوديفا وديفاكي توقف عن الحديث وارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيه، وبترحيب طلب من مستمعيه أن يفسحوا مكاناً للقادمين وحالما وصلوا ارتموا على قدميه لتحيته.

وباركهم الحكيم وعيناه تشعان بفرحة لقائهم خاصة وهو يرى أولاد باندو الخمسة، حيث باركهم وأخذ الصغير سهاديف في حضنه ووضع يده على كتف بيما الذي كان طويلاً بالنسبة لعمره.

وجلست السيدتان وفاسوديفا على يمينه جلس الحكماء في المقدمة. بعد ذلك تحدث الحكيم مع تلامذته قائلاً، والآن يا أولادي سنلتقي في الغد، وعليكم أن تذهبوا وتعدوا الترتيبات المناسبة لضيوفنا وعند انصراف التلاميذ قال الحكيم لكونتي بصوت رقيق، وبريثا يا طفلتي لقد أخبرني مراسلك كل شيء عن سوء حظك، إن مادري كانت محسودة بين النساء وأنا على ثقة من أنك لن تفرقي بين أولادك وأولاد مادري.

ـ أنت تعلم يا سيدي كيف كانت مادري، لقد بقيت طفلة في تفكيرها وسلوكها حتى النهاية وحتى حينما كانت على قيد الحياة فقد أخذت أنا ناكول وسهاديف لتربيتهما.

ـ أجابها الحكيم وهو يبتسم ابتسامة إعجاب، إن طبيعتك بلا شك مباركة، فأنت تحبين الأطفال منذ أن كنت فتاة كما أنك تعرفين كيف تحوزين حبهم، وأن هناك أماً واحدة من بين ألف أم مثلك.

لم يتمالك الولد الثاني، بيما الطويل، وانفجر قائلاً بصوت عال، إنها تحب ناكول وسهاديف أكثر منها، إني أعرف ذلك، وضحك الجميع حتى بيما شاركهم الضحك.

واستدار الحكيم نحوه بحنان قائلاً، وأنت ألا تحبهما؟ إنهما أخواك الصغيران، وأنت قوي جداً واجبك أن ترعاهما.

ـ أجابه بيما بفخر، أوه، إني أرعاهما بشكل جيد، بعد ذلك انضم إلى الضاحكين بصخب، غير أني حينما ألعب معهما فإني أسقطهما أرضاً.

وقاطعه بوظشير بجدية قائلاً، إن ما يقوله بيما هراء، نحن يحب كل من الآخر.

وبرقت عينا أرجون وهز رأسه بالموافقة، وخفق قلب كونتي بالشكر للآلهة التي منحتها مثل هؤلاء الأولاد الرائعين.

أجاب الحكيم فياسا، ذلك جيداً جداً، ثم التفت نحو فاسوديفا وديفاكي قائلاً، حينما سنخلو إلى أنفسنا سأخبركما بشيء يخصكما وحدكما، وبالمناسبة يا فاسوديفا هل تعرف ما الذي جرى مؤخراً في هاستينابورا؟

أجاب فاسوديفا، لا أيها الحكيم.

ـ لقد جاءني صباح اليوم شاكوني أمير جنظارا، وغادر قبل وصولكم بقليل.

ـ نعم: فقد كان بالأمس يخيم في نفس المكان الذي قضينا فيه الليل.

ـ لقد جلب لي رسالة من الملكة جنظاري، وتابع الحكيم وهو يبتسم ربما تكون رسالة من عند ياته وتنص الرسالة على أن يبقى أولاد كونتي معي هنا وألا يذهبوا للعيش في هاستينابورا. إن جنظاري غير سعيدة جداً بترك أولاد باندو يعيشون كأمراء في العاصمة بنفس درجة أولادها. وقال

www.alkottob.com

شاكوني أيضاً أن كونتي لو ذهبت للعيش مع أولادها في هاستينابورا فربما يسبب ذلك صراعاً بين الأخوة في المستقبل.

وتحققت مخاوف كونتي وترقرقت عيناها بالدموع وقالت للحكيم: ما الذي سيحدث لأولادي أيها الحكيم؟.

أجابها الحكيم: لن يصيبهم مكروه، فقد أرسلت رسالة للأم وإلى بشما الموقر بأني سأجلب أبناء باندو وبنفسي ويجب استقبالهم حسب المراسم الأصولية.

سأله فاسوديفا: وما الذي سيفعله شاكوني ياسيدي؟

ابتسم الحكيم وقال: سيبقى في هاستينابورا ليرعى أبناء أخته غير أن بشما الموقر هو القانون بنفسه وسيرعاهم بمساواة. وهم أولادي مثل أولاد باندو ومحبتهم متساوية كمثلهم، يا فاسوديفا عليك أن تأتي معنا إلى هاسيتنابورا.

حينما بقي فاسوديفا وديفاكي وحدهما مع الحكيم، أخبرهما أن اكرورا قد جاء لزيارته وهو بانتظارهما، وأرسل من يستدعي اكرورا وحينما جاء انحنى أمام الحكيم ومس الأرض بين رجليه ثم عانق فاسوديفا.

بعد ذلك أخبرهم اكرورا عن أفعال كامسا الشرير وكيف نجا كريشنا من جميع الأخطار وكيف أنه يكبر وعن ألاعيبه وكيف يحبه الجميع شيباً وشباناً.

ثم أضاف اكرورا قائلاً، ولكني وقبل أن آتي حدث شيء رهيب يا سيدي.

ـ وما هو ذلك؟

ـ لقد هوجمت جوكول من قبل الذئاب. ليلة بعد ليلة اعتادت مئات الذئاب أن تهاجم القرية قادمة من المرعى ثم تروح تختطف الأطفال

الصغار لقد كانت مأساة رهيبة، وقد قرر ناندا وياشودا وجميع الرعاة في جوكول أن يهاجروا إلى فرندافان.

تساءلت ديفاكي بصوت مرتجف: وهل كريشنا بخير؟

استدار الحكيم نحوها وهو يبتسم قائلاً: لا تزعجي نفسك يا ديفاكي إنك أم لذا فإن مشاعر الأمومة لا تسمح لك بأن تنظري إلى الحقيقة إنك تعتقدين أن كريشنا، ابنك، بحاجة للحماية، إن الأمر معكوس تماماً فالعالم برمته بحاجة لحمايته.

قاطعه فاسوديفا قائلاً: ومن الذي سيشرف على تعليمه؟ فهو سيشب كراعي.

أجابه الحكيم قائلاً: لقد تحدثت مع ساندييا الشاب، فهو يعلم فن الحرب بالإضافة إلى حكمة القدماء، وقد اتفقت مع اكرورا أن يأخذه إلى فراندا فان وإن ينشئ معبداً.

والآن يا اكرورا فإن ديفاكي متشوقة لتسمع أخبار كريشنا وكل شيء عنه وسأذهب الآن لأداء صلوات منتصف النهار وهذا هو أنسب وقت لتتناولوا طعامكم، قال الحكيم ذلك ثم نهض عن مقعده، ونهض الجميع وانحنوا أمامه.

وحالما ذهب الحكيم بقوا ينظرون إلى جسمه المحدودب والمزروع بقوة ولم يمثل أحد أمامه إلا وشعر بأن للحكيم رسالة محددة لنفسه وأن ليس هناك من هدف في الحياة أسمى من الإستماع لنصائحه.

التفتت ديفاكي نحو اكرورا بنفاد صبر وقالت: أخبرني الآن أيها الكبير كل شيء عن حبيبي، وجلست أمامه وجلس فاسوديفا بجانبه. أجابها، إن كريشنا ياديفاكي قد حقق جميع آمالنا، إنه يتمتع بصحة جيدة، نشيط، ذكي وهو معجب بالألاعيب والتي أصبحت جزءاً من حياة جميع سكان

www.alkottob.com

جوكول والتي يحب أن يمارسها معهم، بعد ذلك أخبر أكرورا ديفاكي بكل شيء عن كريشنا وأضاف، منذ شهر فقد حدث ما أخبركم عنه، ولعدة أسباب فإن ذئاب المرعى قامت بغزو جوكول وقد اختطفت الأطفال، العجول، الكلاب ورجلاً أو اثنين.

صرخت ديفاكي، أوه يا أمي!

تكرر ذلك يوماً بعد يوم وكان آل يادافا في رعب، وليلة بعد ليلة راقبوا غزو الوحوش، لم يكن أحد يستطيع النوم بسبب عواء الذئاب الذي يمزق جميع القلوب.

تساءل فاسوديفا، وما الذي حدث بعد ذلك؟

أرسل ناندا إلى رسالة وقررنا إخلاء جوكول وأن على جميع آل يادافا أن يهاجروا إلى فرندافان.

ـ وهل فعلوا؟ وماذا عن كريشنا؟

قال اكرورا:

ـ إنه ولد رائع، لقد قاد المهاجرين على رأس مجموعة من الأولاد، وعصاه في يده وبجانبه بالارما، تساءل فاسوديفا، وهل كانت رحلتهم سعيدة؟ قال اكرورا: أوه نعم، لقد عرجوا على ماثورا بطريقهم، وقد ذهبت إلى الضواحي لاستقبالهم وحينما شاهدت كريشنا كانت عيناي مغرورقتين بدموع الفرح.

ـ وكيف وجدت كريشنا؟

ـ لقد كان هو القائد بالرغم من أنه وضع بالارما دائماً أمامه، لقد قاد جميع الأطفال، لم يركب في عربة، وقد شاهدته يمشي راجلاً ولم يكن هناك طفل في عمره أو أكبر منه من جلس في عربة.

ـ وكيف كان يبدو؟

ـ لقد كان رائعاً بعصاه الصغيرة، وعمامته من قماش ذهبي مع ريشة طاووس مثبتة بها، وأنفه شامخاً بشجاعة. لقد كان ناندا فخوراً به وسعيداً جداً.

تساءل فاسوديفا: وكيف هو بالارما؟

ـ إنه طويل القامة، جميل الطلعة، قوي، والولدان يحب إحداهما الآخر، غير أن كريشنا أكثر ذكاء وقد ورث عنك جميع السلوكيات المهيبة وهو لايدع بالارما أو غيره يافاسوديفا يشعر بأنه حبيب الجميع، وبرغم ذلك فإن الجميع يعلم أن كريشنا لا يستأثر لنفسه بالحب الذي يمنحه إياه الجميع يشارك الآخرين به بالتساوي.

ـ تساءلت ديفاكي: آه يا رب الأرباب متى أستطيع أن أرى حبيبي ثانية وما الذي حدث بعد ذلك لآل يادافا؟.

ـ لقد استقروا في فرانداڤان بسعادة فقد اقتطعوا وبنوا بيوتاً جديدة وقد ساعدهم آل فرشني.

وتساءل فاسوديفا، متى عاد كامسا من الحروب؟

ـ إن والد زوجته جراساندا قد ارتبط للوفاء بنذر لذا فإن كامسا الآن يقود الحصان المقدس إلى كالنجا.

أجاب فاسوديفا، إن رب الأرباب رحيم جداً، فالآن نستطيع العودة إلى ماثورا. وقد تم استقبال أولاد باندو الخمسة حسب مراسم الأمراء في هاستينابورا، وقد باركهم بشما الموقر الوصي على امبراطورية كوروس وعانقهم ظريتارا شترا الملك بحنان ودمعت عيناه الضريرتان حيث أنه يحب أخاه باندو حباً جماً. وعانقتهم جدتهم ساتيافاتي تتشمم رؤوسهم، لقد كانت سعيدة إن الآلهة قد شاءت ألا ينقطع نسل سيدها الملك العظيم سانتانو.

www.alkottob.com

19 ـ رادا

(إن رادا مشكلة طفولة خيالنا الوطني حيث أن أصلها محاط بالغموض فهي لم تذكر في المها بهاراتا، الهاريفا سما أو الباجافاتا الذي كتب على ما أعتقد في القرن الثامن. م من ناحية أخرى فقد ورد ذكرها في الـ «سيلا بادي كارام»، كتاب قديم بلغة التأميل، باسم ناييناي، باعتبارها زوجة كريشنا، وفي جاثاسابتا ساتي لهالا (حوالي القرن الثاني ب.م).

ورغم ذلك ومنذ القرن الثاني فإن اسم رادا أصبح مألوفاً بالنسبة للكتاب البراقريطيون ومن القرن الثامن وما تلاه ذكرت من قبل عدد من الشعراء البراقريطيون في أغلب الأشعار الجنسية، وفي تلك الأيام كان الرعاة يعبدون سري كريشنا دون رادا حيث لم تكن معروفة.

وفي الأدب السنسكريتي فإن أشكال رادا ولأول مرة عرفت في شعر العزوبية حيث وجدت في ثلاث كتابات لامبراطوريات باراما فاكباتي مونجا (973 ـ 994 ب.م)، وقد أصبحت شهيرة في جميع أنحاء الهند باعتبارها منبعاً لجميع الأغاني،وقد جعلها جاياديفا شاعر بلاط الملك لاكشبانا سنيا (1179 ـ 1203ب.م) بطلة الـ «جيتا جوفندا »،إن الطبيعة المرحة لهذا العمل الجنسي سيطرت على الخيال في الهند خلال قرن أو قرنين من الزمان.ولم يقدر لأي شاعر أن يصبح مشهوراً وشائعاً من خلال عمل واحد كما أصبح جاياديفا. بعد ذلك أصبحت الـ «جيتا جوفندا » عملاً مقدساً وقد قبلها البوذيون باعتبارها عملاً مقدساً، وفيما بعد حذا

حذوهم الشانديداسا في البنغال والـ فيدياباتي في مثيلا، حيث أصبحت رادا شائعة جداً بين الجمهور.

وقد وجدنا فيما بعد أن هناك علاقة بينها وبين كريشنا. والقصص متعددة ومختلفة غير أن التركيز واضح، وكصديقة محببة لصبا سري كريشنا أعطيت مكاناً في هيكل الآلهة.

وقد اعتبرها الـ «شيتانيا» كآلهة وكذلك الـ «رادابانثيس»، «قشنوسوامين» و«نمباركاس». واستناداً إلى التقاليد في الهند فقد تم قبولها من قبل «نمباركا» باعتبارها الزوجة المقدسة لسري كريشنا. وفي التقاليد الدينية الشرقية التي تؤكد على «التقاليد» فقد تم قبولها باعتبارها حبيبة سري كريشنا ولكن زوجة شخص آخر وأحياناً تعرف باسم آخر هو «أيان» وعلى كل حال لا يمكن التفكير بكريشنا بدون رادا، وإني أعتبر الرأي المقبول من عند العموم مناسباً.

راحت رادا تحدث نفسها وهي جالسة في العربة التي تجرها الثيران وهي تصلصل بأجراسها مبتعدة عن جوكول، إن من السعادة أن يكون المرء في الثانية عشرة، خاصة إذا تصادف وأن التقيت بشخص مثل كان. إن كان لطيف جداً دون شك، تذكرت عيناه التي يطوف بهما مغطسان من فرح، صوته كان مثيراً وطريقته (الجريئة أو المربكة لها) في النظر إليها لا تنسى. لقد كانت رادا ذاهبة إلى فرندا فان لأول مرة للإلتحاق بوالدها فرشبانو، وقد كان هو وأخوته كما يقول أخاها دامودار، من أوائل من استقر (كما وصفها أخاها) في الجنة.

وفي سن السادسة فقدت أمها، بعد ذلك غادر أبوها، مع زوجاته، برسانا تاركا إياها مسؤولة عن جدتها أم أمها وقد كبرت، مرحة، لعوب، ترقص وتمزح مع الفتيان والفتيات الذين يقاربونها في العمر، ولم يكن أحبابها أقرباءها من أمها فقط ولكن جميع سكان القرية. وقد قام والدها

www.alkottob.com

فرشبانو بترتيب خطبتها من أيان ابن صديق له مقيم في فرندافان، وكان الشاب يكبرها بعدة سنوات، غير أن أيان في صباه كره الحقل والأبقار والغابة وانتقل إلى ماثورا ليعمل لدى كامسا. وشاء أن توفيت جدتها لذا أرسل فرشبانو في طلب رادا وكانت تعلم إنها مخطوبة لأيان، ولكن بالنسبة لها فقد كان ذلك الشخص غير معقول، مجرد اسم فالحديث عن الزوج والذي يحرك قلب أي عذراء في عمرها لم يترك أثره عليها. فالحديث عن الأزهار والفواكه وأغاني الطيور وخوار البقر واختيال الطاووس في مشيه كل ذلك ملأ قلبها وجعلها دائماً مرحة، تغني وتحاول أن تكون حبيبة الجميع. وكانت رادا تلعب مع الأولاد والفتيات في برسانا وتسيطر عليهم بحيوية قوية، وحينما تركت القرية شعرت للحظة بغصة لمفارقتها إياهم، غير أنها نسيتهم جميعاً حينما التقت بأناس جدد وقرى جديدة ومناظر جديدة. ورغم ذلك فإن جوكول كانت مختلفة فحينما ولدت تصادف إن كانت أمها في جوكول، وقد نذرت نذراً في أن تقيم طقوساً احتفالية في معبد جوباناث، الإله الحامي لجوكول والآن وبعد إثني عشر عاماً فقد وفت بالنذر.

وقد بقيت مع أخيها بضعة أيام مع أ حد أبناء عم أبيها وقد أعجبت بالناس الفرحين الذين إلتقت بهم حيث راحت تزين الأبقار وتروض الطواويس غير أنها كانت تحب (كان) أكثر من كل شيء، فلم تستطع أن تنسى ابتسامته حتى حينما كان مربوطاً إلى الهاون، وكيف مسّ شعرها وعيناه اللتان تتحركان بمرح في كل إتجاه، كل ذلك كان حاضراً في ذهنها وحينما تقلب عينيها تستطيع أن تشعر بلمسة يده. وعند عودته من الغابة كان يعزف على المزمار، وهناك الكثير من العازفين على المزمار في القرى شيباً وشباباً وحتى الأطفال، غير أن طريقة عزفه والألحان الرقيقة التي قدمها كانت شيئاً لاتزال ترن في أذنيها.

وبعد بضعة أيام وصلت رادا إلى فرندافان وحالما شاهدت تلك الغابة العذراء أمسكت بأنفاسها، فقد كان هناك حوالي خمسين رجلاً ومعهم فرشبانو قد قطعوا جزءاً من الغابة وأقاموا مساكن لهم.

فالغابة بأشجارها الظليلة وحيواناتها وزهورها كانت في عتبة كل دار، وكان نهر يامونا يتدفق منساباً منها في كل إتجاه وكانت الأبقار والثيران ترعى هنا وهناك والأرض والسماء كانتا مشعتين بالجمال ومع كل شروق كان فرح جديد يطل عليه.

عند عودتها سمعت من إحدى زوجات أبيها إن أيان قد ذهب المحروب مع جيش كامسا لذا فإن زواجها منه قد تأجل. ومع ذلك فلم تشعر بالإهتمام، فليس لأيان مكان في عالمها.

ففي الليل والنهار تسمع صوتاً هامساً محبباً يقول لها، سآتي إلى فرندافان، وكانت تعتبر ذلك بمثابة الوعد، وهي تشعر دائماً أنها بانتظار أن يتحقق ذلك الوعد وكانت مؤمنة إن ذلك سيحدث.

ومرت سنة، جاء الربيع، وازدانت فرندافان بالأزهار وأوراق الشجر وكانت الطيور تغرد في كل مكان، وبرغم روحها الوثابة فلم تكن رادا تشعر بالسعادة حيث أن الوعد لم يتحقق بعد. بعد ذلك جاء المراسلون من ناندا زعيم آل يادافا في جوكول حيث قالوا إن الذئاب منتشرة في كل مكان في جوكول، حيث يخطف الأطفال، والكلاب في كل ليلة، لذا قرروا الهجرة إلى فرندافان مع جميع المقيمين في جوكول وسيبدأون بذلك على الفور. خفق قلب رادا فرحاً فها هو الوعد قد تحقق! فسيأتي ذلك الصبي المبتسم ومزماره في يده وعيناه تتراقصان فرحاً، انشغل المقيمون بتهيئة مكان للقادمين الجدد وانشغلت النسوة للإعداد لترتيبات الترحيب، وذهب رادا بين الفتيات والفتيان الذي يقاربونها بالعمر تتحدث عن جوكول وعن كان الذي قتل الشياطين، وبوتانا وترينافريت وأسقط الأشجار بسحر قوته. وجاء اليوم

www.alkottob.com

حينما خرج فرشبانو مع جميع السكان وعائلاتهم للترحيب بناندا وآل يادافا وكانت رادا معهم أيضاً فرحة كالأطفال.

وجاء المهاجرون وكان في مقدمتهم الأطفال يضحكون ويمرحون يقودهم كان وعصاه الصغيرة في يده ومزماره في حزامه وريش الطاووس في عمامته الذهبية الأنيقة، والأطفال جميعاً يأتمرون بأمره. وتتابع خلفه موكب طويل، أبقار، ثيران حيث كانت جوكول تشتهر بها، نساء حاملات قدوراً نحاسية على رؤوسهن يغنين بفرح. شيوخ ونساء وأطفال رضع بالمئات جالسين في العربات، شباب يحملون القسي والسهام والسيوف والمحاريث ومعهم قطعان الخراف، والزعيم العجوز ناندا في مقدمة الجموع يسير وعصا وطويلة في يده. أما رادا فإن عينيها كانتا في شخص واحد. الصبي الأسمر المزرق الذي يتحرك أمام الجميع حاملاً عصاه ونسيت نفسها فتقدمت راكضة وهي تصيح كان، كان، وبرغم صغر حجمها عانقته وحملته عالياً، كان هو أيضاً فرحاً وظل يربت على ظهرها حتى إحمر وجهها وتحلق الأطفال حولها بفرح وهم متشابكي الأيادي. وتعانق الكبار وشاركت النسوة من المقيمين مع القادمين وراحوا يتحدثون ويضحكون، وسرعان ما تمّ وضع العربات على شكل هلال لإقامة حصن مؤقت. وثم أخذ الخراف إلى النهر لغسلها. وتم إشعال آلاف المواقد وانشغلت النسوة في طبخ العشاء.

حينما حل المساء أوقدت النيران في الهواء الطلق لغرض إبعاد وحوش الغابة، وتم تعيين حراس في الأنحاء وجلبت الخراف لتوضع ضمن الهلال حيث ربطت كل عائلة خرافها إلى عربتها. في تلك الليلة وفي بيت فرشبانو نامت ياشودا وروهيني مع كريشنا وبالارما جنباً إلى جنب. وفي الغرفة الأخرى كانت رادا تنام مع زوجتي أبيها محاولة عبثاً أن تغفو. فقد كان قلبها يخفق بفرح وهي تفكر بشيء واحد لقد جاء كان وبذلك وفى بوعده.

في صباح اليوم التالي دخلت رادا بهدوء إلى الغرفة حيث كان كريشنا نائماً، وكانت ياشودا وروهيني قد غادرتا البيت وكانتا مشغولتين بحلب الأبقار.

ولبرهة نظرت رادا إلى كريشنا الصغير وهو نائم واضع يده مطوية تحت رأسه، وابتسامة عذبة على شفتيه، وكأنه ينتقل سعيداً في أرض الأحلام، وفجأة انتبه من نومه وحالما أحس بقربها منه فتح عينيه ونظر إليها، فغمرت نفحة من السعادة رادا.

ـ كان.. تهدج صوتها.

ـ رادا... وكان صوته مليئاً بالحنان، اسحبيني من الفراش، ثم مد يده نحوها. أمسكت رادا بيديه وسحبته من الفراش، وتضاحكا وأمال نفسه وكاد أن يقع في أحضانها.

سألها، أين ذهب بالارما؟

ـ أوه لقد ذهب مع الأم، وأصبحت تسمي ياشودا بلقب الأم، لقد أخبرته ألاّ يوقظك، فقد كنت تعباً بالأمس ويجب عدم إيقاظك في الصباح وطلبت مني أن أعتني بك حينما تستيقظ.

ـ هراء، أين ذهب بالارما وشرى وأما واوظافا، كان عليهم أن ينتظروني لأذهب معهم إلى النهر للإستحمام.

إمتعضت رادا، وشعر كريشنا بالأسف فقد آلم هذه الفتاة التي كانت لطيفة معه قال لها، لا أدري أين أستحم.

ـ هل أريك مكاناً رائعاً حيث يمكننا الإستحمام.

لم يشأ كريشنا أن يؤلم الفتاة ثانية فقال، بالطبع أنت تعرفين ويمكنك أن تدليني ولكن كيف يمكننا أن نستحم سوية؟ فأنت فتاة؟

ـ إني أكبر منك بكثير، وأنت تستحم مع النساء الكبيرات أليس

www.alkottob.com

كذلك؟ وسنعود قبل وصول الآخرين.

ضحك كريشنا. سيكون ممتعاً أن أذهب مع رادا ونستحم سوية.

لذا تشابكت أيديهما وركضا إلى مكان منعزل في الغابة على ضفة النهر وهناك تحت شجرة كبيرة حيث النهر ضحلاً ركضا ضاحكين وغطسا في الماء، ولم تكن رادا فتاة خجولة مثل لاليتا وشاندرا فالي كما كان كريشنا يظن لقد كانت أقرب إلى الصبية في تصرفاتها، تسبح، تتسابق، وتطرطش الماء.

جففا نفسيهما سريعاً وعادا راكضين إلى بيتها. ولم يكن أحد من الكبار قد عاد بعد. فقد كان الجميع مشغولين برعاية القادمين الجدد كان كريشنا في مزاج مرح فتسلق أرجوحة خشبية عالية وطلب من رادا أن تؤرجحه وفعلت، ولكنه لم يجلس هادئاً، فقد نهض واقفاً ممسكاً بالحبال وقال لها.

ـ أرجحيني بقوة.

أجابته، نعم، ثم ركضت حوله وراحت تؤرجحه.

أخرج كريشنا المزمار وراح يعزف. ثم قال لها، والآن جاء دوري كي أؤرجحك، ثم قفز من الأرجوحه. تسلقت اللوح الخشبي الثقيل وأمسكت بالحبال وراح كريشنا يؤرجحها جيئة وذهاباً. وكانت رادا تضحك ووجهها يشع فرحاً ثم راحت تغني.

يا كان، ياكان.

لقد جئت إليك في الغابة حيث كنت نائماً.

مقيداً إلى الهاون، والأشجار التي أسقطتها حولك.

وقد ابتسمت لي وجئت لتستقر في عيوني.

وأصبحت أنا عبدة لك طول حياتي.

ياكان، يا كان

أزحت الغبار عن وجهك.

فلمست شعري.

سقيتك الماء فأمسكت بيدي.

فشعرت بفرح لم أشعر به من قبل.

حينما ابتسمت وجئت لتستقر في عيوني.

وأصبحت أنا عبدة لك طول حياتي.

ياكان، ياكان.

توقف كريشنا عن دفع الأرجوحة وأخرج مزماره واضعاً إياه على شفتيه فقد أراد مرافقة رادا في غنائها بالعزف على المزمار، وهدأت الأرجوحة فقفزت رادا عنها وراحت تصفق وترقص حول كريشنا وتغني.

وقد ابتسمت لي وجئت لتستقر في عيوني

وأصبحت أنا عبدة لك طول حياتي

يا كان، ياكان

وقف كريشنا ورجلاه متصالبان وراح يعزف بعذوبة وحنين ورادا ترقص حوله وفجأة تجمعت الفتيات اللواتي سحرن بصوت المزمار، لاليتا فيشاخا، شاندرافالي وغيرهن من الفتيات جميعهن جئن. وبقيت رادا ترقص وهي تؤدي حركات برجليها ويديها.

لقد التقيتني في جوكول

حيث الأبقار لها بيوت

حيث الطاووس يرقص بخيلاء

على أنغام المزمار

www.alkottob.com

وشاركتها الفتيات الأخريات في ترديد مقاطع الأغنية وشكلن حلقة ورحن جميعهن يرقصن بفرح ويصفقن على إيقاع خطواتهن.

وكانت رادا تغني والمجموعة تردد

وقد ابتسمت لي وجئت لتستقر في عيوني

وأصبت أنا عبدة لك طول حياتي

ياكان، ياكان

وكانت رادا تغني بطرب

فرندافان أرض الزهور

حيث ينساب يامونا برقة

هناك انتظرتك وعيناي يقظتان

حتى وفيت بوعدك وجئت لي

وبقوا يغنون ويرقصون حول كريشنا وكأنهن آلهات الغابة وأصواتهن تعلو بإنسجام والمزمار يعزف أغانيهن بعذوبة.

وحالما رحن يرقصن بسرعة وضع كريشنا المزمار في حزامه وشاركهن الرقص والتصفيق منتقلاً من فتاة لأخرى. وفجأة كانت هناك ضحكة مجلجلة وتوقف الجميع.

فقد كانت هناك الأم ياشودا وروهيني ونساء بيت فرشبانو وخلف الجميع كان يقف نانداً العجوز يضحك بصوت عال.

20 ـ حيث تمر السنون

الوفرة والجمال جعل من فرندافان جنة حقيقة لآل يادافا فجوها الصحي جعل الخراف تسمن ويستطيل صوفها وتتكاثر، وقد أصبح النهار مجالاً للعمل الجاد والليل للسلام والوئام، وانتهى الربيع، وكان المستوطنون الجدد في فرندافان مشغولين في بناء البيوت والعربات الجديدة. بعد ذلك جاء العيد فاستراحوا بضعة أيام حيث رقصوا وغنوا بصخب. وخلال هذه الاحتفالات راح الأولاد والفتيات يلعبون على سجيتهم، يتأرجحون، يلعبون، يتصارخون، ومجموعة الأولاد يقودها كريشنا وبالارما، في مواجهة الفتيات التي تقودها رادا ولاليتا، وكان هناك هجوم معاكس بالطين والزهور، والمياه الملونة بالبودرة. وكان نصيب الفتيات الكثير من هذا الهجوم إذ كان يحظر عليهم استعمال الأيدي، ورغم ذلك وبانتصار أو بدونه فقد كان كريشنا الصغير في النهاية هو الفائز حيث تتجمع الفتيات حوله ويحملنه على الأعناق بينما هو يعزف على المزمار منسجماً مع ذاته، وتنتهي المسيرة عند بيت تاندا حيث تكون ياشودا وروهيني بانتظارهم مع الحلوى وبعد كل ذلك تخلو رادا إلى نفسها حيث تبدأ بالغناء وتصب في أغانيها عشقها لكريشنا الصغير ويشاركها الكبار والصغار ذلك لأنهم جميعاً يحبون كريشنا. وقد جلبت رادا معها عادات حرية التصرف من برسانا إلى فرندافارن، ففي تلك القرية حيث ترعرعت، كانت بمثابة آلهة القرية وقد منحت الحرية لأن تفعل ما تشاء من دون فتيات القرية الأخريات لذا أوجدت مثل هذا النمط من الحرية في فرندافان.

وحتى بعد إنتهاء العيد فقد استمرت رادا متزعمة الحلابات في جعل

www.alkottob.com

حياة فتيان القرية صعبة، فكن يقفن في الطريق متشابكات الأيدي يمنعن الفتيان من المرور والعودة إلى منازلهم.

وجلبت احتفالات الليالي المقمرة بهجة وسعادة لاتوصف، فالفتيات بقيادة راداكن يجتمعن على ضفاف نهر يامونا الرملي وهن يرقصن ويغنين، ويبقين يرقصن ويدرن وهن يصفقن ويغنين، بعد ذلك ينقسمن إلى اثنتين وكل اثنتين يكن متشابكات الأيادي وهن يدرن حتى يسقطن أعياء وهن يضحكن.

أما الفتيان بقيادة كريشنا فيكونون هناك أيضاً في البداية يتفرجون ومن ثم يصبحون مشاركين أيضاً، غير أن ذروة المتعة تكون حينما يبدأ كريشنا بالعزف في وسطهم وهم حوله يرقصون ومن ثم يرفعونه على الأعناق كتمثال حي.

ولم يكن كريشنا وبالارما ليفترقا، لقد أصبحا الآن يرتديان نفس الملابس بالرغم من أن أحدهما طويل قوي ومهيب والآخر عملاق. وكانت أمهاتهما تعاملانهما بنفس الطريقة، يستيقظان سوية في الصباح ثم يقودان الرعاة إلى الغابة حيث ترعى الأغنام وغالباً ما يتركان أبائهما هناك ويذهبان للبحث عن متع، وتحت قيادتهما تمتع فتيان فرندافان فحينما كانوا يذهبون إلى الغابة كانوا يلتقطون الزهور لعمل أطواق وأساور منها. وكانوا يسابقون بعضهم البعض الآخر.

ويلعبون جميع الألعاب ويقصون القصص المضحكة ويبقون يضحكون حتى يبدأوا يركبون على ظهور بعضهم أو يتصارعون.

وحينما يخرج الرعاة الصغار لرعي الأغنام ما يأخذ كل منهم معه مقلاعاً، ويروحون يتبارون في رمي الحصى لمسافات أبعد، وكان كريشنا أكثرهم قدرة على ذلك وكان لا يخطئ هدفه أبداً. فقد كان يستطيع المصارعة حتى مع الأكبر منه ويستطيع أن يرمي الحصى أبعد من أي منهم وكان يستطيع الضحك والغناء والرقص، لقد كان أكثرهم ذكاء في أي

من ألعاب المهارة، وكانت أنغام مزماره لها فعل السحر تتردد بين الأشجار والطرقات التي لم تطرقها رجل إنسان أو أي من القطيع.

وقد أحب الفتيان كريشنا أكثر من أي شيء آخر حيث أن كلاً منهم كان يشعر أن كريشنا يحبه لذاته. وتلك كانت حقيقة ليست بالنسبة للفتيان والفتيات ولكن بالنسبة للجميع في فرندافان. فلم يعد كريشنا يسرق الزبدة، ولكنه لم يتوقف عن تذكير جيرانه بذلك، وحينما يزورهم لايترددون عن تقديم الزبدة إليه مذكرين إياه ببعض ألاعيبه القديمة، أو يرددن على مسمعيه آخر الأغاني التي يرددها الناس حوله. وكانت جميع النسوة في فرندافان يحببنه وإذا صادق وأن أهمل واحدة فإنها تنتهز فرصة مبكرة لتوبخه وعندها يعتذر بطريقة محببة لاتسامحه فقط ولكن تجعل المقابل يبحث عن مناسبة أخرى لجعله يعتذر.

إن المجتمع الذي يحيط ببيته كان غريباً في مستوى معاشه، فبينما كان الناس مشغولين في الإستقرار فإن القيود قد زالت والفتيات الصغيرات يذهبن ها هنا وهناك بين الساكنين الجدد، وكن يتصارعن مع الفتيان يتحدين جميع الأعراف ويذهبن للنهر للإستحمام مع الفتيان. ويبقين مع الفتيان يطرطشن الماء حتى ينسحب أحد الفريقين.

لم يكن حب ياشودا لابنها يعرف حداً ذلك لأنه كان محبوباً من قبل الجميع، ولم يكن كريشنا يدعها تنسى للحظة بأنه حبيبها وأنها في المقام الأول في تفكيره. وعلى العموم فإن الحب والتفاني الذي أحيط بكريشنا كان بلا حدود. فقد كان صديقاً لجميع الأبقار والعجول والتي كان يقودها إلى المرعى كل صباح. وهو يعرف معظمها بأسمائها وحينما يظهر تهرع إليه وتروح تأكل الزبدة التي يحملها إليها وحينما يركب على ظهر بقرة ترفع البقرة رأسها بفخر، وحتى الطاووس ينسى خيلاءه حين يناديه. وحينما يعزف على المزمار تبقى الأبقار ثابتة في مكانها تصغي بانتباه ويتراقص

www.alkottob.com

الطاووس في نشوة. لقد كان حبيبهم جميعاً، بشراً وحيوانات، وأي عمل يعمله كريشنا يكون تاماً ومتكاملاً بالرغم من أنه كان من أكثر المغامرين في القرية ولم يكن يخشى من أنه كان يفعل أي شيء خارج عن المألوف.

وكبر كريشنا وبالارما سوية في العمر والقوة ونمت كذلك روح المغامرة عندها وفي إحدى المرات تلبست روح شيطانية أحد العجول السمينة فجن وراح يركض في كل مكان، وأوقع العديد من الجرحى من بين الخراف وهاجم بعض الفتيات، وحار الجميع في أمر العجل، وحاول الرعاة المتخصصون أن يربطوه دون جدوى.

وفي مرة وبينما الفتيان يلعبون جاءهم العجل المجنون ونطح بقرة حتى ماتت. وإزاء حالة الرعب التي سيطرت على الجميع ترك كريشنا اللعب ووقف بمواجهة العجل حاملاً عصاه. ونخر العجل بغضب واندفع نحوه ورأسه منخفض، فتنحى كريشنا جانباً، وخاف الصبية وطلبوا من كريشنا أن يبتعد، غير أنه رفض. وراح يثير العجل بالوقوف أمامه. وتوقف العجل ليلتقط أنفاسه ويتهيأ لجولة جديدة، وبخفة انسل كريشنا من ورائه وربط ذيله إلى شجرة. وقبل أن ينتبه العجل إلى ما يجري سارع كريشنا وربط رجلي العجل ببقية الحبل. وكيفما تحرك العجل قصرت مسافة الحبل وازدادت أزمته، وبرغم اعتراض أصدقائه قفز كريشنا ووقف أمام العجل وراح يصرخ به وبرغم أن رجليه مقيدتان فقد حاول مهاجمة كريشنا وفي فورة غضب اختفى كريشنا خلف الشجرة وتقدم العجل بقوة لينطح الشجرة وتتهشم جمجمته.

وتناقل الصبية الخبر الذي ألهب خيال الناس في فرندافان حيث أضفوا عليه صفة القوة المقدسة، وبقي كريشنا غير معني بذلك. وكان طبيعياً جداً يبتسم دوماً واثقاً من نفسه لا يخاف.

21 ـ المغامرة المجنونة

مرت السنين، وكبر كريشنا وأصبح طويلاً وجميلاً. ونمت عضلاته أما بالارما فقد كان ثقيلاً بقوته العملاقة. واستمرت فرندافان في النمو والإزدهار، تضاعفت الأغنام وكان الجميع مشغولين بشؤونهم والرعاة الشباب والشابات يجدون وقتاً لتسلية أنفسهم وفي أحد الأيام وعلى ضفة نهر يامونا كان الأ صدقاء الأربعة كريشنا، بالارما، شري داما واودافا يتحدثون بعيداً عن الزحام وراحوا يتهامسون فقال بلارما لأخيه، غداً هو يومك الأخير فإذا لم تذهب غداً صباحاً لتمتطي هاستن فسوف تخسر رهانك يا كريشنا.

ـ ومن قال بأني سأخسر رهاني؟ غداً صباحاً وقبل شروق الشمس سأذهب لأمتطي هاستن وأفوز بالرهان.

قال أوادافا: لاتخاطر يا كريشنا، وأنت يا بالارما لاتطلب منه أن يذهب ليمتطي هاستن لقد كنت أمزح فقط دعونا ننسى ذلك.

عقب شري داما قائلاً: نعم، نعم لن ندعك تذهب لتمتطي هاستن لقد منعنا أبانا ناندا من أن نلعب مع الثيران الكبيرة.

غير أن كريشنا قال وبتعميم: ولكني أريد الذهاب لأمتطي هاستن لقد وعدتكم بذلك وسأفي بوعدي وسأذهب غداً صباحاً.

توسل أودافا قائلاً: أرجوك يا بالارما ألا تجعلوا المزاح جداً، إن هاستن خطر جداً وربما يصاب كريشنا بمكروه.

www.alkottob.com

قال كريشنا: غداً صباحاً سأمتطي هاستن، سواء كان مزاحاً أو لا وحتى لوكنتم هناك لتروني أم لا. ثم ذهب لينضم إلى حشد من الأولاد والفتيات العائدين إلى القرية.

تساءل شري داما بقلق: بالارما الذي ستفعله؟ ما الذي سيحدث؟

ـ لاتخشى شيئاً يا شري داما فإني أريد تلقين كريشنا درساً وبعد ذلك لن يعود ليقدم وعوداً لايستطيع إنجازها.

ـ قال أودافا: ولكن لنفترض أنه أقدم على المخاطرة.

ـ قال بالارما: إن امتطاء هاستن ليس مزحة. إنه في ذلك كمن يمتطي فيلاً مجنوناً، وأعتقد بأنه لن يقدم عليه.

عقب اودافا بتوسل، أوه أيها الأخ الأكبر، لاشك أنه سيفعل ذلك إذ قرر. أجابهم بالارما: إن أقدم على ذلك فإن هاستن سيلقيه أرضاً ولن تضيره بضعة خدوش، ثم تركهم ومضى.

وتباحث شري داما واودافا بسرعة، تساءل شري داما.

ـ ما هو المخرج؟

أجاب اودافا: لم لانطلب من راد أن تقنعه بالعدول عن الفكرة ؟ لقد كنت أفكر في مفاتحتها بالأمر.

وهاستن ملك ثيران الإستيلاد في فرندافان. وهو ثور ملكي قوي وثقيل وقوائمه متعرجه، قرونه حادة وقوية ورقبته بارزة العضلات وسنامه غامق ومهيب مرتفع كهضبة مهاديفا. وجلده ناعم وأملس، وأعضاؤه التناسلية منحت فرندافان جيلاً من ثيران الإستيلاد وأبقار منقطعة النظير.

وحينما تراه مربوطاً إلى شجرة ضخمة تتعبد لكل صور القوة. ويبقى طوال اليوم يخدش الأرض بحافره. وهو ينظر لكل من يقترب منه بتجهم وضراوة ويخور بغضب طوال الوقت.

وإذا ما ظهرت بقرة في الجوار، وسواء كان ما يربطه حبل أو غيره فإنه يبقى يخور بقوة ووحشية رغبة منه في زيادة عدد الثيران التي من نسله. ومرة ذهب إليه الأولاد لرؤية هاستن، وعبّر بالارما عن رغبته بأنه يوماً ما سيكبر ويصبح قوياً وسيستطيع أن يقتل هاستن بضربة واحدة.

وعقب كريشنا على حديثه قائلاً: لا أدري إن كنت تستطيع أن تقتله بضربة أم لا، غير أني أعتقد أنك لا تستطيع إمتطائه، قال ذلك من أجل أن يغيظ أخاه.

فأجابه بالارما بقوله: ولا أنت تستطيع امتطاءه.

وأجابه كريشنا: سأريك بأني أستطيع.

وعقب أودافا قائلاً: ولكن الأب ناندا منعنا من امتطاء ثيران الإستيلاد وأياً كان يحاول أن يمتطي هاستن سيلقي حتفه.

قال كريشنا: أنا سأمتطيه.

وسأله بالارما: وهل تراهن على ذلك؟

أجابه كريشنا: إذا فشلت في امتطائه أعد بأن أحملك على ظهري في وضح النهار عبر أزقة القرية. أتوافق على ذلك؟

ـ نعم أوافق.

أجاب كريشنا: حسناً إذن بعد شهر من الآن سأمتطي الثور.

وفي اليوم التالي تسلل كريشنا إلى الزريبة حيث يوجد هاستن بعيداً عن بقية الثيران. واستطاع أن يغري الحرّاس بأن يأخذوه إلى الثور الكبير، وكان الحراس الثلاثة يرتجفون خوفاً، فما الذي سيقوله الزعيم لو سمحوا لولده الوحيد الحبيب بالإقتراب من هذا الوحش القاتل؟ وحمل أحد الحراس سلة تحوي على بذور القطن، وجبة للثور بينما وقف الآخرون في الجوار على أهبة الاستعداد للتدخل إذا ما حاول الثور شيئاً.

www.alkottob.com

وتقدم كريشنا وهو يبتسم مصطحباً الحارس لمسافة بضع ياردات من الثور. وأحسن هاستن بأن شخصاً جديداً قد جاء لذا أدار وجهه الضخم نحوه وراح يخور بوحشية وقفز الحارس وهو يحمل السلة أمام كريشنا وبقي هاستن يخور بوحشية وراح يسحب الحبل الذي يربطه بشجرة تين البنغال القديمة، وأصبحت عيناه حمراوان وبقي يخدش الأرض بحافره ثم استدار ليواجه القادم الجديد ورأسه منخفض.

أمسك كريشنا بمزماره وراح يعزف عليه، في البداية راح هاستن يخور فقد كان غاضباً من هذا الصوت غير المألوف، بعد ذلك رقت نظراته ونظر إلى كريشنا بفضول، واقترب الحارس ووضع السلة قرب الثور، ولم ينتبه هاستن إليها فقد كان مشدوداً إلى الموسيقى التي يعزفها ذلك الغريب فقد وجدها لطيفة، وحينما اقترب كريشنا خطوة منه نظر الثور إليه بطريقة ودية. وخلال لحظات توقف كريشنا عن العزف واقترب من الثور ليقرب السلّة من فمه.

ويوماً بعد يوم اعتاد كريشنا أن يأتي ويعزف على المزمار للثور المهيب الذي ينظر إليه وكأنه يستمتع بما يجري حوله. وفي كل يوم يأتي كريشنا بحزمة من الحشائش الطازجة وحلوى منقوعة بالدهن ويقدمها إلى هاستن حيث يأكلها. وبعد بضعة أيام وبينما كان كريشنا يعزف على المزمار اقترب جداً من الثور وراح يوقع بأقدامه وقد أعجب ذلك هاستن وسمح لكريشنا أن يربت عليه. وقد سر الحراس بذلك جداً فقد أصبح الثور المتوحش صديقاً لكريشنا.

في صباح اليوم المحدد وحينما جاء كريشنا وبالارما إلى السقيفة حيث هاستن مربوط فيها، كان الثور جالساً على الأرض، نظر إليهما ثم راح يخور بوحشية.

سأله بالارما، هل ستمتطي هاستن؟

أجاب كريشنا: بالطبع.

قال بالارما: لاتكن أحمق، لقد كنت أمزح معك ثم أضاف بصوت مندهش حينما شاهد بعض القادمين الآخرين موجهاً كلامه إلى شري داما وادوافا، جلبتم مَنْ معكم؟.

قال شري داما: لقد جاءت رادا معنا.

قالت رادا: ماهذا يا كان؟ لماذا قبلت مثل هذا الرهان. ولِمَ لَمْ تخبرني عنه؟ ووقفت أمام كريشنا ويداها متشابكتان متضرعة له وقالت موجهة كلامها إلى بالارما: وأنت أيها الأخ الأكبر، لم تريد كريشنا أن يمتطي هاستن؟ هل جننت؟.

أجابها: لا لم أجن بعد، لقد كنت أمزح معه فقط، لا أريده أن يمتطيه وأني أعفيه من رهانه، لم أفكر أبداً بأنه سيحمل الموضوع محمل الجد.

ثم قالت موجهة كلامها إلى كريشنا: كما ترى يا كان ليس عليك أن ترتكب مثل هذه الحماقة ابتسم كريشنا وقال موجهاً كلامه إلى رادا: إنك تبدين رائعة يارادا حينما تغضبين، كما إن عينيك جميلتان.

قالت رادا: لاتحاول أن تسخر مني، فلن تمتطي هاستن.

تساءل كريشنا وهو يبتسم: من قال بأني لن أمتطيه؟

أصبح هاستن متوتراً، لذا نهض على قوائمه ونظر إلى المجموع ثم انزوى غاضباً. في هذه الأثناء بزغ الفجر وارتعبت رادا حينما رأت الثور وهو متوتر.

- كان، لن أدعك تمتطيه ودع عنك الحماقة؟ قالت رادا ذلك بهلع.

- إني لست أحمق وسوف أمتطيه..

قال بالارما. لا... يا أخي، ثم وضع بحنان على كتف كريشنا.

www.alkottob.com

ـ لا تخش شيئاً يا بالارما، سوف أمتطي هاستن ليس من أجل الرهان ولكني سأمتطيه لأني أريد ذلك، ولن أغير رأيي، إنك بهذا تجعل مهمتي صعبة بالوقوف هاهنا، اذهب خلف ذلك الجدار ودعني أتعامل مع هاستن، قال كريشنا كلماته بهدوء وثبات.

قال اودافا: أوه ما الذي سيحدث؟

ـ لاشيء فسأمتطيه، والآن اذهبوا ولا تغضبي يا رادا، اذهبي معهم وانظري إليّ بهدوء.

كانت رادا لاتزال غاضبة، فقالت: لا لن أبتعد لو امتطيت الثور فسوف أمتطيه معك فإذا كنت قد قررت أن تقتل نفسك فسأموت معك وضربت رجلها بالأرض غضباً. ولكن لايمكن أن تشاركيني في إمتطاء الثور.

ـ إذن تستطيع أن تمتطيه بعد أن أموت.

وقفت أمامه ويداها ترتشعان وعيناها تشعان اصراراً، بقي كريشنا صامتاً لبرهة يحدق في عينيها بحنان وشوق، إنه الآن في الرابعة عشرة وهي في التاسعة عشرة غير أنها تبدو صغيرة ورائعة بالإضافة إلى أنها تبدو غير مسؤولة.

ـ حسناً، سأدعك تمتطينه معي، ولكن يا أخي لاتتحدث بشيء واذهب وانتظر هناك، قال ذلك بينما أخذ بالارما وشري داما واودافا قد بدأوا بالتحرك بعيداً بسرعة، ثم استدار نحو رادا وقال لها انتظري هنا لبرهة وسوف آخذك معي حينما أكون جاهزا.

ترك كريشنا رادا ثم ذهب إلى زاوية حيث توجد بذور القطن وقطع من جوز الأرض، جمع كل ذلك في سلة وتقدم نحو هاستن، وكان الثور قد فقد صبره وراح ينظر بغضب نحو رادا المنتظره ما الذي سيحدث، وضع كريشنا السلة على الأرض وراح يعزف على المزمار.

وللحظات استمر غضب هاستن إلا أنه بعد ذلك سحر بصوت المزمار وأصبح هادئاً وأخذ كريشنا السلة وقربها إليه فخار الثور بسعادة. اقترب كريشنا منه وربت على عنقه وداعب لغده، وراح الثور يأكل بينما انحنى كريشنا عليه بود وهو يعزف على المزمار طول الوقت. وبينما كان الثور مشغولاً بتناول طعامه ذهب كريشنا نحو رادا وقال لها سوف آخذ هاستن إلى الحوض، وحينما يكون مشغولاً بشرب الماء سأعزف على المزمار عندها تأتين وتتعلقين بي، وإذا ابتعدت عني فسوف تسحقين حتى الموت، هل لديك الشجاعة لذلك؟

سأبقى شجاعة مادمت معي، قالت ذلك وعيناها تشعان.

ظهر أحد الحراس عند الباب فقال له كريشنا: ياجوبال لقد أطلقت هاستن وسأخذه لأسقيه فعليك ألا تذهب إلى هناك وإذا ذهبت أو حدث شيء لي فستكون مسؤولاً عن ذلك، عاد كريشنا ورجع يعزف على المزمار حتى انتهى هاستن من غذائه، بعد ذلك حل وثاقه وأخذه إلى الحوض القريب. وبينما كان الثور يشرب راح كريشنا يعزف ثنية وجاءت رادا زاحفة ووقفت خلفه. وحينما ارتوى الثور تماماً ربت كريشنا على رقبته ووقف أمامه كي لايرى رادا وهي تتسلق الجدار جاهزة للقفز على ظهره، واستمر كريشنا يتحدث إلى هاستن بحنان وحالما أكمل شرب الماء قفز كريشنا على ظهره وهو ممسك بالحبل الملتف حول أنف الثور وساعد رادا على التسلق خلفه. نظر هاستن إلى الأعلى وخار ونظر إلى كريشنا ووضع فمه ثانية في الحوض ليأخذ شربة أخيرة، لقد كان الآن في مزاج سعيد.

ـ هاستن يا ولدي، ستذهب الآن إلى الغابة لتركض قليلاً، قالها كريشنا بصوت لطيف ونظر الثور وكأنه يفهم ما يقال له: رفع رأسه وتشمم نسيم الصباح ثم راح يخبّ باتجاه طريق الغابة.

www.alkottob.com

ـ هيا يا ولد، أركض بسرعة، قالها كريشنا للثور.

وكانت الطيور قد بدأت تزقزق في أعالي الأشجار وقرص الشمس بدأ يظهر في نهاية الطريق وحالما قاد كريشنا هاستن للسير للأمام طوقت رادا كريشنا بيديها وضغط هو بمرفقيه على جنبيه فثبتا ذراعيها بقوة، وراح الثور يجري بسرعة بينما هما ملتصقان كل بالآخر. وهمز كريشنا الثور متحدثاً معه بتحبب، بينما كان الثور يعدو بسرعة في الغابة، وتمسكت رادا بقوة بكريشنا، وها هم الآن يعدون في طريق مستو وسرعان ما راحوا ينزلون في منخفض. وكانت رادا مستثارة وكريشنا يهمزه بقوة والثور يعدو بسرعة، وبعد برهة توقف الثور فقد استمتع بالعدو غير أنه الآن أصبح متقطع الأنفاس، وانسلّت رادا عن ظهره وكذلك كريشنا حيث وقف بجانبها، ونظر هاستن إليها كان مستمتعاً بذلك واستدار ليرعى الحشائش على جانب الطريق.

جلست رادا أرضاً قرب كريشنا وراح هو يمسح حبّات العرق عن وجهها بعد ذلك راح كريشنا يعزف على المزمار، وحينما توسطت الشمس كبد السماء وصل بالارما وشري داما واودافا يصحبهم الحراس الذين تبعوا الجمع. وانضم كريشنا ورادا إليهم، وقاد كريشنا الثور بود وكان الأولاد والحراس يشعرون بالفخر بالرغم من أنهم جميعاً شعروا أن الأب لن يسامحهم أبداً لأنهم تركوا كريشنا يمتطي هاستن إذا ما عرف بهذه المغامرة المجنونة.

22 ـ كاليا حيّة المستنقع المسمم

في بحثهما عن أماكن جديدة للرعي، أخذ كريشنا وبالارما القطيع ليرعى في مكان قريب من جبل جوفارظان حيث العشب غزير وناضج وظلال الأشجار تنتشر على مساحة واسعة وقد انتشرت أخبار في الغابة أن كريشنا قد طور قوى جديدة ذاتية.

ومنذ البداية كان قد أحب نباتات الزعتر والتي تنمو هناك بمعزل والتي سميت القرية على أسمها. والرائحة العطرة لأوراق النبات المستدقة تمنحه حيوية متجددة والآن أصبح يجلس مرتاحاً تحت الأشجار ويبقى محدقاً بالأزهار الجميلة وكأنها نجوم منشورة وهو معجب بالأزهار عموماً، فأشكالها وألوانها وروائحها تشبع عشقه للجمال. وهو يحب أن يثبتها في عمامته أو فوق أذنه أو يستعملها كإكليل. وهو يحب الأشجار وكأنها أصدقاؤه الأعزاء، وأحياناً يبتعد عن الرعاة ويخلو إلى نفسه في ظل شجرة عتيقة، ويسيطر على نفسه السلام والصمت، وأحياناً يبقى يحدّث الأشجار دون انتهاء. وأحياناً يعزف على المزمار فتختلط الأنغام بغرابة مع النسائم عبر أوراق الأشجار. وفوق كل ذلك فإنه يحب جبل جوفارظان الذي كان تحفة جميلة، فجوانبه مغطاة بالأشجار والزهور، وتسرح أسراب الطواويس على ربوعه وحينما يتسلق الجبل تحلق الطيور فوق رأسه، وتطل الأرانب من جحورها الصغيرة بانتظار أن يعزف لها على مزماره.

وكثيراً ما يذهب كريشنا إلى التل مع أصدقائه، ويذهب أحياناً لوحده

www.alkottob.com

حيث يتسلق إلى القمة ويبقى ينظر إلى المنظر المهيب في الأسفل أو على مدى الأفق. ويشعر عندها بالإرتباط الغريب مع الإنسان والحيوان، الوحوش والطيور والأشجار والأزهار والجداول المتدفقة وفوق الجميع مع الجبل. شعور بالوحدة حيث يتسع أدراكه ليشمل كل ذلك.

لقد كان من المستحيل زرع الخوف في نفس كريشنا الصغير، فهو قادر دائماً على رؤية الخطر والمضي قدما لملاقاته.

وفي إحدى المرات شاهد الخراف في مكان منعزل من الغابة لم يكن قد زاره من قبل، واقترب من مالك الحزين وهو يحرس بيضة، وراحت الأنثى، تصيح فزعة، وحينما راح الأولاد يضحكون ويصفقون بسبب الضجة الساخرة التي افتعلتها هاجمتهم ومنقارها مفتوح وهاجمت شري داما بقسوة. وهرب الأولاد وهم فزعون وبقي كريشنا لوحده، وبيرود وثقة أمسك طرفي المنقار ومزقهما حيث راح الطائر ينزف، وحاول أن يطير غير أنه سقط بعد ياردا.

وفي مناسبة أخرى حينما قابل أفعى كبيرة جداً من النوع العاصر والتي كانت قد ابتلعت بقرة وكانت تنتظر ضحايا جديدة وفكاها مفتوحين وهربت الأبقار والعجول بعيداً وهي خائفة غير أنه بقي واقفاً وبرغم اعتراضات أصدقائه اقترب من الأفعى غير هياب من فكيها المفتوحين وعينيها اللتين تومضان بالشر، اقترب منها ورمى حجراً في فمها وقطعة من الخشب، وحينما أغلقت فمها أنسلّت مع بعض الصعوبة وفي اليوم التالي وجدت الأفعى ميتة في الغابة..

وبالارما أقل مغامرة رغم أنه عملاق في مظهره، كما أنه بطيء في اتخاذ القرارات، وحينما يغضب يسقط خصمة بضربة واحدة. ومرة وبينما كان يقود قطيعاً من الأغنام في طريق الغابة توقف برهة تحت شجرة وعندها هاجمه حمار متوحش برفسة قوية كانت يمكن أن تسقط أي

إنسان أرضاً غير أن بالارما تماسك وواجه الحمار وضربه ضربة واحدة أسقطته أرضاً.

وقبضه بالارما شبيهة بالمطرقة حيث يمكنه أن يكسر بها أي شيء، ففي أحد الأيام كانوا يلعبون لعبة توجب على الفريق الخاسر أن يحمل الفريق الفائز على الأكتاف، وجاء دور بالارما إذ حملة برالامبا على كتفه، وبرالامبا شاب أسود اللون عملاق يبدو من ملامحه أنه شرير وبدلاً من أن يمضي برالامبا إلى المكان المحدد راح يركض نحو مكان كثيف في الغابة.

وقد وجد بالارما أن من المستحيل عليه أن ينزل عن ظهر برالامبا الذي كان ممسكاً بقوة بساقيه وفي سورة غضب ضربه ضربة شجت جمجمته.

وكانت هذه الأخبار تنتشر بين الناس في فرندافان، ولم يكن لدى الناس شك في أن هؤلاء الأولاد آلهة وإن من يهاجمهم إنما هم الشياطين، غير أنهم ومع محبتهم للأولاد وإعجابهم بمغامراتهم فقد كانوا يخافون عليهم دائماً فربما يقعون ضحايا لتهورهم. وقد بلغت هذه الخشية حدها الأعلى حينما جاء شري داما راكضاً إلى فرندافان بأخبار تقول أن كريشنا قد قفز إلى المستنقع المسمم من أجل أن يقتل كاليا الحية السامة التي تعيش هناك. والمستنقع المسموم يبعد قليلاً عن فرندفان في مكان غير مألوف في الغابة. وفي موسم الأمطار فقط يمتلئ بالمياه أما في بقية أيام السنة فهو مياه آسنة كريهة الرائحة تتصاعد منها الأبخرة. وتعيش في ذلك المستنقع الحية كاليا مع صغارها لذا كان الإنسان والحيوان يتجنب ذلك المستنقع، والذي كانت مياهه الخضراء مسمّمة لا أحد يشرب منها. وقد تصادف إن شربت منه العجول وماتت على الفور، فارتعب الأولاد هربوا عدا كريشنا الذي بقي واقفاً مركزاً نظره على الحيّة وهي تتلوى في داخل وخارج الماء في منتصف المستنقع وقبل أن يدرك الأولاد ما الذي قرره كان قد رفع أزاره ممسكاً بحبل في يده ثم تسلق غصن شجرة وقفز إلى الماء.

www.alkottob.com

وصرخ الجميع بهلع، والبعض منهم سقط مغشياً عليه، وركض شري داما واودافا، وهما من أقرب أصدقائه، إلى القرية ليخبرا ناندا وياشودا بأن كريشنا قد قفز في المستنقع المسمم ليقتل كاليا وكانت مياه المستنقع مليئة بالأعشاب المتشابكة ووجد كريشنا صعوبة في الساحة ليصل إلى كاليا التي كان يشاهدها تتحرك بين الأعشاب غير أنه كان هادئاً جداً، واثقاً من قوته ومهارته.

أفاقت الحية على الصخب والضجة التي أثارها هذا المقتحم لمملكتها، رفعت رأسها وراحت تقترب من كريشنا وقف كريشنا منتصباً وصنع انشوطة من الحبل الذي معه ورماها على رأس الحية، أخذت الحية بالمفاجأة التي أحدثها الحبل الطائر، وقبل أن تدرك معنى ذلك كانت الأنشوطة في رقبتها وحاولت جاهدة أن تتخلص منها دون جدوى. وظل جسمها في حركته العنيفة يصطدم بالماء، وبقي الجمع الخائف خارج المستنقع يراقب هذا الصراع وأنفاسهم متقطعة. وحاولت الحية القوية أن تتخلص من الحبل دون جدوى، وراحت الأنشوطة تضيق أكثر وأكثر على رقبة الحية مع كل حركة من حركاتها، وراح كريشنا يسبح بهدوء على مبعدة ونهاية الحبل مربوطة في وسطه.

وظلت الحية تشد الحبل وكريشنا يسحبه بكل قوته والحية تحاول أن تقطع الحبل بذيلها دون جدوى. واستمر الصراع فترة طويلة، وفي النهاية خارت قوى الحية، وسبح كريشنا عائداً إلى الضفة ساحباً الحية المرعوبة وراءه، وكان غريباً جداً أن تستسلم الحية له وتتبعه. وكانت رادا على رأس الجمع الذي هرع بعد أن سمعت أن كريشنا قفز إلى المستنقع، فحالما سمعت الخبر خفق قلبها وهرعت راكضة مثل غزالة مرعوبة، وشاهدت الحية وهي تتلوى وكان كريشنا يغطس ويظهر في مياه المستنقع فصرخت رعباً. وجاءت لاليتا وفيشاخا وبقية الفتيات حولها بينما كان كريشنا

يخرج من الماء. وبعيون خائفة هلعة شاهدت كريشنا والمياه تقطر منه وركضت نحوه، وشعرها المنثور يتطاير في الهواء. وركعت عنده واضعة رأسها على رجليه وهي تنتحب قائلة: كان لماذا فعلت ذلك؟

وبقيت تبكي بمرارة ثم أغمي عليها ثانية.

وقد شعر الرعاة الذين حضروا مع ناندا وياشودا إنه لم يكن على رادا أن تتصرف بتلك الطريقة. فقد سببت لهم تلك الفتاة ذات العشرين عاماً والتي لم تتزوج لحد الآن أكثر من فضيحة، وهي نموذج سيء لبقية الفتيات من بناتهم في سلوكها وهي الآن قد تجاوزت جميع الحدود. وقد كانت زوجة أبيها الكبرى كابيلا أكثر الجميع اندهاشاً لتصرفات رادا أمام أهل القرية، فقد كانت دائمة الإعتراض على فرشبانو وتدليله لرادا، وقد أرادت منذ سنوات تزويج رادا حيث كانت تعتقد ألا جدوى من بقاء الفتاة تكبر متوحشة بانتظار العريس الذي ذهب إلى الحروب. لقد كانت ترفض تصرفات رادا الصبيانية ورقصها وغناؤها ومطاردتها لابن ناندا. والآن أصبح الموقف معقداً، فقد عاد كامسا إلى ماثورا وأصبح من المتوقع أن يعود أيان قريباً إلى بيته حينما عادت رادا إلى البيت نصف مغشياً عليها يحملها أخوتها لم تستطع كابيلا أن تسيطر على جماح غضبها، فتوجهت نحو رادا وصفعتها ونظرت رادا إليها بعينين دامعتين ثم سقطت فاقدة الوعي. جاء بعد ذلك فرشبانو وانفجر هو الآخر غاضباً قائلاً: إن رادا قد أساءت التصرف ويتوجب الآن حبسها في البيت تحت رقابة مشددة فخلال بضعة أسابيع سيعود أيان وسيتم الزواج خلال أشهر بعد انتهاء ليلة التعبد للآلهة وليس لها أن تذهب مع الفتيات الصغيرات وترقص مع الفتيان وليس عليها أن تلتقي ثانية بكريشنا فهو الآن في الخامسة عشرة، وهو ابن ناندا الزعيم لن يسمح بأن يعاشر ابنه فتاة فقيرة مثلها، ولذا يجب أن تبقى في البيت.

www.alkottob.com

وبقيت رادا تبكي وعيناها مليئتان بالدموع، وحينما انتهى فرشبانو وكابيلا من تقريعها جلست أرضاً ورأسها بين رجليها تنتحب وتصرخ لا... لا... لا...

وصرخ فرشبانو بغضب قائلاً، ما الذي تعنيه بـ لا... لا... لا...؟ يجب حبسك في البيت وعدم تقديم أي شيء لك فلن تجلب العار لعائلتي قال ذلك ثم خرج غاضباً.

وبعد أن حبسوا رادا في الغرفة بقيت تبكي وتنتحب، وحينما استعادت وعيها قفز ذهنها إلى كان وتدافعت الصور إلى مخيلتها، كيف وجدته مقيداً إلى الهاون في الغابة والأشجار ساقطة من حوله، وكيف وفى بوعده وجاء إلى فرندافان وكيف كانا يقضيان أوقاتهما في الرقص والغناء وأيديهما متشابكة وكيف كان يبتسم - وكأنه يبتسم لها لوحدها - وحينما تتذكر ينبض قلبها فرحاً ومن ثم تتذكر عزفه على المزمار وكأنه يعزف لها لوحدها.

والآن سيأتي أيان، والذي كان غريباً عنها تماماً، فهي لم تشاهده من قبل، يأتي ويطلب أن تصبح زوجته، لا... لا... لا، أبداً، أبداً، صرخت بقوة.

غير أن كان هو ابن الزعيم، وخلال فترة سيصبح زعيماً للشورا، وهي متأكدة من أنها لن تتمكن من الزواج منه، فأبوها مجرد راع وهي أكبر من كريشنا سناً، ورغم أن الأم ياشودا معجبة بها من كونها رفيقة ابنها ولكنها لن تسمح أبداً في أن تصبح زوجته، وعليه فستفقد كريشنا، وستصبح الحياة لا تستحق أن تحيا... لا...لا... لا... صرخت بمرارة.

لم تنم في تلك الليلة، وفي اليوم التالي بقيت في الغرفة، ولم يجلبوا لها سوى كمية قليلة من الطعام وبقيت طوال اليوم تفكر في كان. وفي أن لاشيء سيفرق بينهما.

وبقيت فكرة واحدة مسيطرة عليها تلك هي أن الليلة منتصف الشهر حيث القمر بدر، وعند المساء سيذهب كان مع أصدقائه إلى ضفاف النهر الرملية، وستصحبهم بقية الفتيات وسيرقصون ويغنون، وهي اختياره الأفضل - لن تكون هناك! ستبقى محجوزة في هذه الغرفة ونظرت رادا عبر الشقوق الخشبية حيث ضوء القمر ينهمر على الأرض، القرية والغابات المجاورة كلها تسبح في الضوء الفضي ولكن جميع ذلك الجمال ليس لها، فلن تستطيع لقاء كان هذه الليلة، أوه ما أسوأ ذلك.

ونامت القرية في هدوء، حيث كان بإمكانها أن تسمع صوت المياه المتدفقة في نهر يامونا غير أن صوت المياه لم يجلب لها سوى التعاسة. وفجأة انشقّ الصمت عن أنغام مزمار، مزماره! وراحت الدماء تتدفق سريعاً في شرايينها لقد أصبح بإمكانها أن تسمع نبض قلبها، إنه نداؤه أنه هناك على الرمال، كما هو في مكانه كل ليلة قمراء، ومعه جميع أصدقائه عداها، هي تعلم أنها فرحة وأنه حياتها وسيدها وإلهها ولكنهما اليوم مفترقان. وجاءت الأنغام العذبة للمزمار بكل الشوق والحب أرادت أن تطير وتشاركهم، وفكرت للحظة بإمكانية أن تتسلق من خلال النافذة غير أنها خشيت أن يراها أبوها وأن زوجات أبيها ينمن في الغرفة الأخرى وأخوتها في الشرفة الملحقة. وشعرت رادا برغبة في أن تضرب رأسها بالجدار، أوه كان! كيف لي أن ألقاك؟ كيف لي أن أحيا ولن أكون بقربك؟ همست بذلك وراحت تبكي حت سقطت مغشياً عليها.

بعد ذلك صمت المزمار، تساءلت، لماذا؟ هل هو بانتظاري؟ هل انتهى الرقص؟ كان دائماً يقول لها بأنها روح الرقص، هل شارك كان في الرقص بدونها؟

كانت متعبة، متعبة جداً، لم تكن قادرة على أن تبقي عينيها مفتوحتين كيف نامت وكم نامت، لم تكن تعرف ذلك، وفجأة وكأن شيئاً ما

www.alkottob.com

أيقظها نهضت، كان هناك شخص ما في الغرفة، رادا إبقي هادئة، استعدي كان صوته الحبيب، فركت عينيها، هل هي في حلم أم في يقظة؟ نعم إنه هو! نظرت إلى السقف وجدت شخصاً متدل منه، انهضي، ارتدي ملابسك، فنحن جيمعاً بانتظارك، ذلك هو كان يحدثها. تردد صوته في أذنها، ارتدت ثوب الرقص على عجل.

والآن سأساعدك لتصعدي على كتفي وسيسحبك شري داما ونظرت وكان شري داما في منتصف المسافة وبالارما على السقف، لم تفه بكلمة وتهيأت للصعود على كتفيه سألها كريشنا هامساً، ولن تخافي يارادا وتسقطي. أجابته هامسة أيضاً، لم أخف مطلقاً ما دمت معي، ثم سمحت لشري داما أن يسحبها وحالما تم سحب رادا إلى السقف أمسك كريشنا بساقي شري داما حيث سحبهم بالارما.

وخلال لحظات أصبح الأربعة على السطح وراحوا يخطون بتلسلل عبر الجدار ثم قفز بالارما إلى الأرض وشري داما على كتفيه، ثم رفعها كريشنا على كتفي شري داما وهمهمت، ما أقواه!، بعد ذلك قفز الجميع إلى الأرض ثم ذهبوا إلى ضفة النهر واستقبلهم الأولاد والبنات على ضفة النهر بفرح. وراح كريشنا يعزف على المزمار ورادا بجانبه وظلوا يرقصون ويصفقون.

في الصباح حينما فتحت كاييلا باب الغرفة لترى رادا وجدتها نائمة بهدوء وابتسامة على شفتيها.

23 ـ خطبة رادا

تساءل بالارما قائلاً، كريشنا ما الذي ستفعله الآن؟ يجب حماية رادا من أبويها، إن والدها رجل شرير، فهل أذهب إليه وأضربه لما فعله؟

أجابه كريشنا، لا يا أخي، أرجوك دعي لي هذا الموضوع، فإن الأمور قد وصلت إلى نقطة يجب ألا تستمر بعدها كما هي عليه.

ذهب كريشنا إلى ياشودا، أماه أريدك أن ترسلي خبراً إلى والدة رادا، قال ذلك وهو يبتسم.

تساءلت ياشودا بدهشة، أي خبر؟

ـ أريد أن تخطبي رادا.

ـ أخطبها! ولكنها مرتبطة بأيان، وها قد عاد الآن من الحروب.

ـ لاأريدها أن تتزوج من أيان.

اعتقدت، ياشودا أن كريشنا يمارس إحدى ألاعيبه لذا ضحكت قائلة ومن هوالعريس الذي انتقيته لها؟

ـ أنا

ـ ماذا؟ صرخت ياشودا للحظة بقيت ذاهلة عاجزة عن أن تقول أي شيء، هل جننت، كيف يمكنك أن تتزوج رادا؟

ـ لأني أريد ذلك، قال ذلك وهو يبتسم مبدياً ثقة عالية.

ـ ولدي يتزوج ابنة فرشبانو! مستحيل، مستحيل ! ولكنها أكبر منك

www.alkottob.com

سناً، لم تكن ياشودا مصدقة ما تسمعه أذناها من أن ابنها جاد فيما يقول.

ـ وماذا يهم في الأمر؟ هناك الكثير من الرجال متزوجون من نساء أكبر منهم سناً.

ـ لا ليس ولدي من يفعل ذلك،لن أرضى أن تكون كنتي أكبر من ولدي بسنين.

ـ لكن رادا تنظر إليك نظرتها إلى أمها.

ـ هراء،لقد كنت دائماً ولداً عنيداً وكنت دائماً أذعن لرغباتك ولكن ليس هذه المرة إن عائلة رادا ليست مستوانا، فإنك زعيم وعلينا أن نجد ابنة زعيم لتكون زوجة لك لايمكنك أن تتزوج من رادا قالت ياشودا ذلك بغضب وحنق.

ـ أماه، إنك بهذا تفقدين كنة رائعة،قال ذلك محاولاً إثارة حنقها.

ـ لن تكون رائعة أبداً !إنها وقحة، جريئة وجميع من في القرية يتحدث عن وقاحتها ومثل هذه الكنة تستحق الخسارة.

ـ ولكن لنفترض أنك ستخسرين ابنك أيضاً؟ فماذا تفعلين؟ صاغ كريشنا سؤاله بطريقة محرجة يشوبها التشكك.

كانت ياشودا غاضبة وبقيت تنظر إلى ولدها وهي غير متأكدة وقالت.

ـ كريشنا لِمَ تتصرف بهذه الطريقة ـ واذهب واسأل والدك فقد أتعبتني.

ـ أوه يا أمي لا تقولي ذلك، إنك لن تتعبي مني كما أنك لن تتعبي من زوجتي حينما ستأتي، إني متأكد من أن ابنة فرشبانو ستنحني على قدميك طلباً لبركاتك ليلاً ونهاراً.

قالت ياشودا وهي تضحك، لا تخرج عن الموضوع، لقد كان صعباً

عليها أن تبقى غاضبة من كريشنا لفترة طويلة، ثم أضافت، اذهب إلى أبيك.

ذهب كريشنا إلى والده وأخبره عما جرى مع والدته، ضحك ناندا بصوت عال فقد اعتقد أن الأمر برمته لا يزيد عن كونه مزاحاً ثم قال له ـ لقد كنت تسعى خلف الفتيات منذ فترة طويلة لذا فإني غير مندهش في أنك تريد واحدة منهن لنفسك،

ـ إذن فأنت موافق وستطلب من الأم أن تذهب لخطبتها؟

ـ لا يا ولدي، لا يمكنك أن تتزوج من هذه الفتاة الوضيعة، يجب أن تتزوج من أميرة، قال ناندا ذلك وهو يضحك.

ـ وهل يمكن لإي أميرة أ تكون أفضل من ابنة فرشبانو؟

ـ كم أميرة التقيت؟

ـ جميع الراعيات الصغيرات هن أميرات، وربما أفضل.

ـ إذن فأنت لا تعلم.

ـ نحن جميعاً رعاة، فلم لا تكون ابنة راع مناسبة لي؟

ـ وماذاعن ايان؟ ومن سيتزوج؟ وحاول ناندا أن يغير الموضوع.

ـ إني أترك له جميع الفتيات الأخريات في القرية وتينك اللواتي في ماثورا إذا رغب أرجوك أن تصغي لي والدي، أرجوك أن تطلب من الأم أن تذهب لتخطبها لي.

راح ناندا يردد و بجدية، لا أستطيع، لا أستطيع، لا أستطيع

ـ ولم لا ياوالدي؟

ـ إنك ولد ذكي ولا أستطيع أن أقارن ذكائي بك، وأنت تعلم أني لا أستطيع أن أرفض لك طلباً، غير أني لا أستطيع الموافقة على زواجك من

www.alkottob.com

رادا أو من أية راعية، واسأل جارجاشاريا حينما يأتي.

ـ وإذا وافق على زواجنا؟

ـ أجابه ناندا بحزم: لن يوافق.

ـ وافترض أنه وافق.

ـ عندما سأسحب اعتراضي، ولكني أعلم أنه لن يوافق.

ـ سأتحدث إليه حينما يأتي إلى فرانداڤان غداً.

في اليوم المحدد وكما هو متوقع حضر جارجاشاريا طقوس احتفالات الأجداد وكان معه ثلاثة من طلابه، و ضيف شرف تم تقديمه باسم اشاريا ساندي باني سوية مع اثنان من أولاده و طالبان. وكان ساندي باني رجلاً في أوساط العمر، طويلاً، عضلاً بعينين براقتين ولحية طويلة سوداء.

وبعدأن استقبلهم ناندا وعائلته حسب الطقوس المرعية ذهب اشاريا والطلاب إلى النهر ليستحموا، وعندما عادو قاموا بإجراء الطقوس بعد ذلك وضع الطعام واستمروا حتى الليل.

في اليوم التالي حينما كان ناندا مع جارجا وساندي باني استدعى كريشنا، وجاء كريشنا وانحنى أمامهم ومس التراب تحت اقدامهم بجبهته دليلاً على التبجيل.

ـ كريشنا، إن اشاريا ساندي باني سوف يقيم معنا وسيعلمك القراءة والكتابة.

أجاب كريشنا ويداه متشابكتان، كما يشاء الأب الموقر.

ـ إن أشاريا ملم بالأسلحة أيضاً فهل تريد أن تتعلم فنون الحرب؟

ـ وَلِمَ أتعلمها؟ فلن أذهب للحروب.

ـ تساءل ناندا، من يعلم؟ بصوت مهموس لجارجاشاريا فربما يوماً ما تصبح ملكاً.

ـ أفضل أن أبقى معك يا أبي ومع أمي ومع أبقارنا، ولا أود أن أفارق جمال وسلام فرندافان.

قال جارجاشاريا، يا ابن ناندا إن أفضل الحكماء يريدك أن تجلب السلام والجمال أينما حللت.

ـ تساءل كريشنا، ومن هو أفضل الحكماء؟

ـ ألم تسمع به، إنه فيدافياسا.

ـ لقد سمعت بعض الأشياء عنه من جارجاشاريا الموقر وفي أحد الأيام سأذهب إلى كوروكشيترا وأقدم احتراماتي له.

قال ناندا وكان يحب كريشنا كثيراً ولا يرفض له طلباً، و الآن تعود إلى طلبك. ها هو جارجاشاريا وها أنت أيضاً، فحلا الموضوع فيما بينكما فلا أريد أن تزعجني بعد بطلبك.

ـ سأل جارجاشاريا، ما هو طلب كريشنا؟

ـ إنه يريد أن يتزوج رادا ابنة فرشبانو الذي تعرفه جيداً فهو من عائلة وضيعة، كما أن الفتاة أكبر من كريشنا بخمس سنوات كما أنها مخطوبة لأيان الذي في جيش كامسا وكما تعلم ياأشاريا فلا يمكنه أن يتزوجها.

ـ لم لا أستطيع أيها الحكيم الموقر؟

ـ أجاب جارجا، لأن ذلك مستحيل.

ـ ذلك ما يقوله أبي ولكن إن سمحتم لي أقول شيئاً، فإنها تريد الزواج مني وأنا كذلك.

ـ قال جارجاشاريا: الزواج يا ولدي إن كان مجرد رغبة فذلك شرير

www.alkottob.com

والناس الذين لا يعرفون قوانين ظارما يتبعون ذلك الطريق، غير أن الشكل والمزاج والعمر والعائلة والتربية جميع تلك الأمور يجب أخذها بنظر الإعتبار، إن الزواج تصرف مقدس حيث يتوحد الرجل والمرأة ويرتبطان بظارما.

ـ سأله كريشنا، ولكن هناك الكثير من الناس يتزوجون دون أن يأخذوا في الإعتبار قوانين ظارما، وما دخل ظارما بزواجي من ابنة فرشبانو؟ فنحن الرعاة نحيا هكذا.

نظر جارجاشاريا إلى ناندا نظرة ذات معنى ثم قال بهدوء وبتأكيد، لاشيء أفضل إليك من قوانين ظارما.

نظر كريشنا باستغراب نحو شاريا العجوز.

قال جارجا شاريا: يا ولدي لقد راقتبك باهتمام من لحظة ولادتك، لقد ولدت لتكون الحامي لظارما كما قال أفضل الحكماء، ثم نظر نحو ساندي بأني للحصول على موافقته، وتلك هي مشيئة الآلهة.

أضاف ساندي باني قائلاً: ولهذا السبب فأنا هنا.

ركز كريشنا بصره على ساندي باني وقال: وما الذي تريدني أن أفعله؟ إذ لم تكن لديه فكرة من أن مصيره مهم لهؤلاء الموقرين.

قال جارجا شاريا: نريدك أن تكون جاهزاً لمصيرك الأعلى.

نظر كريشنا إلى والده ووجده ثانية يغمز بطرفه لأشاريا.

قال جارجا شاريا: اصغ إلي ياولدي، لقد عاد كامسا من الحروب، وهو الآن أكثر شراً مما كان عليه سابقاً، وإن إنجازاتك ومعجزاتك لن تخفي عليه طويلاً ونحن نتطلع إليك لتكون منقذنا، ثم بهدوء وبصوت مهموس قال: اصغ يا كريشنا إنك لست ابن ناندا، إنك ابن الأمير فاسوديفا وديفاكي ابنة الأمير ديفاكا وكذلك بالارما، وقد أخفيتا كما هنا

تحت سقف ناندا لنراك تكبر قوياً وحكيماً حتى يأتي اليوم الموعود، فقد تنبأ الحكيم نارادا بموت كامسا على يدك وكذلك الحكيم فيدافياسا ونحن نعيش على ذلك الأمل فقط. والآن سيهيئك أشاريا باني للحياة التي ستبدأها.

وللحظات بقي كريشنا يتطلع بشعاع الشمس المتسلل من الباب محاولاً أن يستوعب ما قاله جارجاشاريا ثم قال بصراحة.

لو أذنت يا سيدي الموقر فدعني أعيش فإني فتى راع وأحب أبي وأمي وأحب أبقاري والغابات والأرض والفضاء حيث أتنزه وأتعبد في جبل جوفارظان. وسأبقى كما أنا مالم أستدع لأكون المنقذ.

ـ وهل ستبقى تحبني يا ولدي حتى حينما تذهب؟

ـ دائماً يا أبي مهما حدث لي، فليس لأحد أب أحسن منك وسأبقى دائماً عند قدميك، ولدك.

قال جارجاشاريا: ربما يستدعونك إلى ماثورا قريباً، إذ عليك أن تنقذنا جميعاً من قيد كامسا فإن آل يادافا ينتظرون المنقذ منذ عشرين عاماً. وأخبر جارجاشاريا كريشنا كل شيء عما حدث خلال الخمس والعشرين سنة الماضية، وأصغى كريشنا بانتباه شديد ونور جديد يتألق في عينيه.

قال كريشنا، أخبر والدي الموقر فاسوديفا وأمي ديفاكي بأني لن أخذلهما ولن أخذل الموقر أشاريا ثم استدار نحو ساندي باني قائلاً، سأبحث دائماً عن بركاتك ولكن مادمت ها هنا أرجو ألا تخبر أحداً من فرندافان بأني لست منهم فسيكون ذلك مؤلماً لهم من أننا لا ننتمي لبعض ابتسم ساندي باني موافقاً.

قال ناندا: ها أنت تعلم الآن ياولدي لماذا لا تستطيع الزواج من ابنة فرشبانو.

www.alkottob.com

كان كريشنا ضائعاً في أفكاره، ثم فجأة صفا ذهنه ونظر في وجه جارجاشاريا قال: سيدي الموقر أنتم تريدونني أن أنقذ آل يادافا من الظلم؟

ـ نعم يا ولدي.

ـ إذن فمن المناسب أن أبدأ بتطبيق العدالة الآن؟

ـ نحن لن نطلب منك ذلك.

قال كريشنا وهو يبتسم: لقد فعلتم، فمنذ ثماني سنوات حينما التقيت بابنة فرشبانو كنت في الغابة مقيداً إلى الهاون، ومنذ ذلك الوقت لم يمر يوم لم تنتظرني فيه ولم تمر لحظة لم أكن في تفكيرها وخلال الثماني سنوات هذه لم تتنفس ولم تعش إلا بسببي إنها تبتسم لي فقط وتغني لي وحدي إنها تكون سعيدة فقط حينما تتحدي إلي وتشعر أنها تطير حينما تسمع ألحان مزماري.

سأله جارجا: ألا تبالغ؟

أجاب كريشنا: لا، فحينما كنت أصارع كاليا صرخ البعض هلعاً، وهي تقريباً سقطت ميتة، ولو كنت قدمت لانكسرت قلوب البعض غير أنها بالتأكيد كانت ستموت في نفس اللحظة.

صمت كريشنا وبقي أشاريا مذهولاً من صدقه وحرارة كلماته، ثم تابع قائلاً: وأنت تريدني أن أكون حامياً لظارما مبتدئاً بالقتل والهجر، إني متأكد من أنها ستموت لو رفضتها. ابنة فرشبانو أعطتني كل شيء؟

فتح جارجاشاريا عينيه واسعتين وترقرقت دموع التأثر في عيني ناندا قال ساندي باني: اصغ يا ابن فاسوديفا، لو ذهبت من هنا إلى حيث القوة والسلطة والجاه فهل ستبقى تلك الفتاة القروية تعني إليك كما تعني الآن؟ راجع نفسك وقل الحقيقة.

أجاب كريشنا دونما تردد، سيدي الموقر ليس علي أن أبحث عن أي

جواب فإني أعيش من أجل أولئك الذين يحبونني، أبي، أمي، الرعاة، أبقاري وثيراني وكذلك ابنة فرشبانو فهي تعيش في أعماقي وسأطفل أفعل ذلك أينما أكون، وبدونها فإن مزماري سيصمت إنها بالنسبة لي دائماً روح الفرح السماوية والملهمة.

بقي جارجاشاريا يحدق إزاء هذا التدفق البليغ، وقد بدا من المؤسف التخطيط لتعليم هذا الفتى لجعله مناسباً ليلعب دور المنقذ، وراح يتذكر كلمات نبوءة الحكيم.

ـ يا ابن فاسوديفا دعنا نتجاوز هذا الموضوع الآن ودعني استشير فاسوديفا الموقر وديفاكي اللذين يعيشان من أجلك منذ خمسة عشر عاماً.

قال كريشنا: سيدي الموقر أرجوك ألا تفعل ذلك، وشبك ذراعيه، ها هنا أبي وأمي يخضان الحليب في الغرفة الأخرى، وإني أريد مباركتك أيها الكاهن ومباركتهما، فإني لست سوى راع.

ـ ولكن ما الذي سيقولانه؟

ـ أخبرهما، إن أردتما من ابنكما أن يقيم العدل في العالم. فعليه أولاً أن يقيم العدل في الأقرب إليه في مساعدة الراعية التي أعطته كل شيء.

بقي الآخرون صامتين، ومن قم وقف كريشنا أمام ناندا قائلاً له: أبي أبي امنحني بركتك دعني أتزوج ابنة فرشبانو، قالها بتوسل.

ونسي ناندا سنه وكبرياءه، واحتضن والده وهو ينتحب مثل طفل صغير.

www.alkottob.com

24 ـ عودة أيان من الحروب

أخذت فرندافان تستعد لإحتفالات اندرا، إله المطر وقام جارجاشاريا يعاونه ثلاثون من طلابه وبعض الكهنة لإعداد 108مذابح للقرابين حيث يتم تقديم الزبدة، الدهن والحبوب وهذا الاحتفال قديم يحرص الشورا على إقامته سنوياً قبل بدء موسم الأمطار. واندرا هو إله المطر ومانح البركات وملك الآلهة. وكما يقول آل يادافا فإن بإمكانه أن يحجب المطر ويجوع الإنسان. ويستطيع أن يجعل الأنهار تفيض وتغرق القرى، لذا لايجب تحديه.

ومنذ اليوم الذي ملك كريشنا فيه قلوب جارجاشاريا وساندي باني تملكه ثقة جديدة بنفسه، حيث راح يتمشى بين الرعاة برغبة في مساعدتهم. وهويرعي الغنم كما في السابق غير أن علاقته بهم الآن أصبحت كاملة وغالباً ما يذهب وحده لعمق الغابة حيث يشعر بالإرتباط والحميمية مع كل شجرة وكائن محاولاً أن يوسع مداركه وتدارس الكهنة فيمن سيكون المضحي؟. وأي سيتم اختياره يجب عليه أن يلتزم بصوم التطهر لمدة ثلاثة أيام وبعد ذلك ينجز الطقوس الأساسية لسبعة أيام. وفي العام الماضي تم اختيار بالارما. والآن لم يعد كريشنا طفلاً وقد وقع الإختيار عليه حيث يجب أن يكن المضحي في هذه السنة، ذلك ما قرره جارجاشايا وبموافقة جميع الكبار في القرية.

غير أن كريشنا لم يبد اهتماماً في أي وقت باحتفالات اندرا رغم أنه قلب وروح جميع الاحتفالات. وحينما كانت القرية لاهية بفرح

احتفالات التضحية كان يأخذ مزماره ويخرج مع بعض البقرات المفضلات لديه ليجلس في ظلال جبل جوفارظان غير أنه كان يحترم جداً طقوس الاحتفال حيث كان يصعب لومه على عدم المشاركة انتهت المشاورات وأعلن جارجاشاريا القرار. وحينما جاء دور كريشنا لتقديم فروض الولاء والطاعة بعد عودة القطيع من الرعي قال له جارجاشاريا:

ـ ياولدي لقد قررنا أن تكون المضحي هذه السنة في الاحتفالات التي ستقام حال كل الترتيبات وعليك الإلتزام بصوم التطهر. أجابه كريشنا ويداه متشابكتان: عليك أن تطلب من بالارما أن يقوم بالتضحية وبشرف على الاحتفال.

ـ ولكنه كان المضحي في السنة الماضية وها قد حان دورك.

ـ إذن فمن الأفضل اختيار شري داما ليكون المضحي.

ـ ولكن لم لاتكون أنت؟

ـ إني كمثل الآخرين أتشرف بذلك.

ابتسم جارجاشاريا وقال: كريشنا ماالذي يدور في ذهنك ؟ إن الجميع من في فرندا فان يريدونك أن تكون المضحي هذه السنة فلماذا ترفض مثل هذا الشرف؟

أجابه كريشنا بصراحة: ولكني غير مناسب لذلك.

ـ أنت ! أنت غير مناسب ! إن كان هناك من هو مناسب فهو أنت لابد أن يكون هناك سبب قوي خلف ما تقول، فما هوالسبب ؟ أخبرني به بوضوح. قال جارجاشاريا ذلك موقناً أن هناك موقفاً وسبباً قوياً لدى كريشنا.

ـ وهل ستسامحني لو أخبرتك الحقيقة ولن تغضب مني ؟

ـ لن أغضب منك أبداً، فأنت تعلم كم أقدّر آراءك

www.alkottob.com

ـ أنا لاأحب احتفالات أندرا...

سأله جارجاشاريا: لماذا ؟ لماذا وما الخطأ فيها؟ إنها جزء من التقاليد القديمة.

ـ لماذا يتوجب علينا أن نسرف في تقديم الحليب والعسل والزبدة والحبوب والوقود ؟ السبب أننا نخاف أندرا ونخشى غضبه من أن يدمرنا لذا نقيم الاحتفالات له.

ـ نعم إنه يفعل ذلك: وحتى الكهنة الكبار يقدمون الأضاحي له.

ـ ولكن الكاهن الأكبر شيافان لا يقدم له، ومع ذلك فهو منتصر، أنا لا أحب الاحتفالات التي تقام على أساس الخوف إذ لاأجد فيها أني أستمتع بالاحتفالات التي أحبها.

ـ ذلك تجديف يا ولدي.

ـ لا ليس كذلك، إني أرغب في المشاركة في احتفالات الالهة التي تحبنا وتباركنا. وسأكون سعيداً لو أقيم احتفال على شرف الرعاة والأبقار التي تمنحنا الحليب، الزبدة والدهن والروث أيضاً والذي نستعمله كوقود و سماد لحقولنا، للأشجار التي تمنحنا الظلال والفواكه والوقود والتي منها نبني بيوتنا.

ابتسم جارجاشاريا بطريقة من فهم القصد.

استطرد كريشنا قائلاً: وأود أن أعبد جوفارظان مرتع الحشائش الرائعة والأشجار الظليلة حيث الطيور المغردة والجداول الرقراقة.

سأله ساندي باني: وما الذي ستفعله لآلهتك الجديدة ياولدي؟

ـ سأقيم على شرفهم احتفالاً سنوياً، يومياً لو أستطيع، إننا لا نملكهم ولكنهم يملكوننا، فمعهم نحن نشابه الآلهة غير هيّابين وبدونهم لاحياة لنا.

ـ ذلك صحيح، ولكن بالنسبة لهم فنحن لاشيء

قال جارجاشاريا: البقر ثروتنا.

قال كريشنا: سيدي الموقر إن الأبقار أمهات مقدسة. ولكن بالنسبة لهم لن نفهم أبداً ما الذي يجب أن يكون رقيقاً، نبيلاً وكريماً.

قال الكبير: غير أن أندرا سيغضب، إنه إله غاضب.

أجاب كريشنا: أوليس في شريعتنا مقاومة الغضب ؟ ثم أضاف، وإذا ما توقفوا عن إشاعة الخوف فهل نسامحهم؟

كان ناندا العجوز في نشوة غامرة فقد سلم بجميع آراء وأحكام ولده حيث قال له، يا ولدي إنك محق تماماً فإن الأبقار والأشجار وجوفارظان يعطوننا كل شيء وتدخل ساندي باني مضيفاً، ونحن لا نعطيهم حتى حبنا أليس ما يقوله كريشنا فإذا وافقتم فسنقيم وليمة لجميع الرعاة ونتعبد لجوفارظان وستكون احتفالات التضحية مجرد جزء فيها وستكون التقدمات رمزية.

عندها قال كريشنا: وسأقبل أن أكون حينها المضحي و بدلاً من التضحية بالزبدة والخثرة التي نقدمها إلى اندرا على النار المقدسة فإنها ستكون من نصيبنا وستوفر فرحاً لأيام وأيام، فرح لم نعرفه سابقاً.

قال الحكيم: نعم إن الخثرة قوة والدهن حياة وكان لخبر اقتراح إقامة احتفالات الرعاة دهشة في فرندافان فالبعض ذهب حيث أن في ذلك ابتعاداً عن التقاليد القديمة والبعض الآخر رحب به بدلاً عن احتفالات التضحية لسبعة أيام فسيكون في الاحتفالات الجديدة ثلاثة أيام للغناء والرقص ولبس الملابس الجديدة ولقاء الآخرين ولما كان معظمهم يحبون كريشنا وإذا أصبح راعياً للحفل فجميعهم يوافقون على ذلك. وقد نقل الفتيان الصغار والفتيات الأخبار بفرحة غامرة.

www.alkottob.com

في اليوم التالي عاد أيان إلى أهله بعد غيبة عشر سنوات، لقد كان شاباً شجاعاً يبلغ العشرين من عمره، وقد عاد تواً من احتفالات تضحية الخيول حيث ذهب باعتباره واحداً من محاربي كامسا المختارين. واحتفالات تضحية الخيول تمت من قبل الأمبراطور جاراساندا والد زوجتي كامسا باعتبارها طقوس على مستوى عال تتم فيها إعلانه امبراطوراً على العالم وأثناء وجودهم في راجاجريها أعطى جاراساندا نسيبة كامسا صلاحيات متميزة في قيادة جيوشه لفتح العالم على ظهر الحصان المضحى وكانت مهمته الدخول في حروب مع أي حاكم يرفض الإعتراف بجراساندا كامبراطور. وأثناء غيابه كانت ماثورا تحكم من قبل الوزير العجوز برالامبا وبراد يوتا زوج بوتانا قائد الحرس في القصر.

ويصادف أن يكون كامسا وهو يتجول على ظهر الحصان المضحى به أن يكون قريباً من ماثورا وعندها يأتي لزيارة عاصمته لبضعة أيام.

والآن عاد الحصان المضحى به إلى البيت في راجاجريها بعد أن تم إجراء جميع الطقوس القديمة وعاد كامسا إلى عاصمته بعد أن توسعت مملكته وعاد معه رجاله ممن كانوا سعداء الحظ في البقاء على قيد الحياة وتوّجت جميع المعارك بالنصر وكان أيان من بين الرجال العائدين.

غير أن الأخبار التي كانت بانتظاره أثارته. فعروسه قد تم أخذها منه وخطبت لابن الزعيم ناندا الذي جاء قبل سنوات مهاجراً إلى فرندافان وقد شعر أيان في ذلك إهانة لعائلته وانتقاصاً لشجاعته. وحقيقي أنه قادر بسبب وضعه الإجتماعي أن يجد زوجة أفضل منها في أي وقت غير أن هذه الإهانة الشخصية يجب الإنتقام لها.

وعاد أيان إلى قريته وهو غاضب إذ عليه أن يتعامل جيداً مع كريشنا المغرور - ربما ابن الزعيم - وإن ابنه فرشبانو يجب أن تعود إليه فهو بعد كل ذلك ضابط في جيش كامسا ورجل أثبت شجاعته في معارك عديدة.

بالإضافة لذلك وعند وصوله إلى فرندافان سمع مصادفة أن كريشنا هذا ومعظم القرويين يريدون إلغاء احتفال أندرا، أندرا إله المطر والعواصف والحرب والذي كان يتعبد له كل يوم حينما كان في الجيش. وقرر أيان أن احتفالات أندرا يجب أن تقام سواء بكريشنا أوبدونه.

www.alkottob.com

25 ـ رفع جوفارظان

انقسمت فرندافان إلى مجموعتين، مجموعة تعد لاحتفالات جوفارظان وأخرى مستمرة في إعداد ترتيبات إحتفالات أندرا. وكان جارجاشاريا وساندي باني مع كريشنا ومعهم ناندا وعدد كبير من الرعاة، والمجموعة الأخرى يقودها والد أيان واسمه ستوكاكريشنا وهو رجل قصير القامة سيء الطباع عدواني. ورغبة منهم في إكساب مجموعتهم صفة رسمية فقد استدعوا كاهناً من ماثورا ليكون معهم. وقد أهمل الرعاة الذين اتبعوا ناندا الفئة الأخرى المعادية لهم.

وحل يوم الاحتفال وتجمع عدد كبير من الناس في ضواحي القرية للسير نحو جبل جوفاظاران، وتم غسل وتنظيف جميع الخراف وإطعامها جيداً ومعظم الخراف وضعت في أعناقها أجراس ووضعت الحجول في أرجل البعض منها، وتم تنظيف الأبقار وتلوينها.أما ثيران الاستيلاد فقد تم تنظيف قرونها وزينت بالأوراق الفضية، ولبست النساء أثواباً زاهية وحلياً وركبن العربات وهن يغنين أغاني العيد وراحت الثيران تجر العربات التي غطيت بالأوراق الملونة.

وراح بعض الأولاد يسابقون الثيران وارتدى الرجال أغطية رأس ولفاعات ملونة، وكان معظم الأولاد والفتيات يمشون راجلين يتسابقون ويقفزون وكانت رادا بين الفتيات مرتديه فستاناً جميلاً ومرتدية حلياً كانت الأم ياشودا قد أهدتها إياها في يوم الخطبة.

ومشى كريشنا وبالارما على رأس الجمع، وكان بالارما أطول الجميع يحمل محراثاً صغيراً على كتفيه، وكريشنا يمشي بجانبه مرتدياً لباساً حريرياً أصفر، متزيناً بالزهور واضعاً ريش الطاووس في عمامته والمزمار في حزامه يتحدث مع أصدقائه ويمازح الفتيات مبتسماً للجميع مربتاً على كل بقرة تأتي بجواره لقد كان روح الاحتفال.

وبعينين حكيمتين راحا جارجاشاريا وساندي باني ينظران كيف أضاف كريشنا روحاً جديدة للاحتفال وقلوبهما تخفق بتوقع أشياء كبيرة ستحدث.

عند الظهر وصلت المسيرة إلى جبل جوفارظان وتحت ظلال الأشجار العتيقة جلست كل عائلة في الظلال لتتناول الطعام.

وفي المساء بدأ الرقص والغناء وراح المقلدون يحاكون صهيل الجياد وزئير النمور وخوار الثيران ونباح الكلاب. وجاء الصباح وغردت الطيور وتم حلب الأبقار وعلف الخراف وإرواؤها، وتجمع الكبار والصغار حول الأبقار لتناول الحليب الطازج.

وبعد تزين الجميع بالزهور والبودرة الحمراء راحوا يتسلقون قمة جوفارظان، وشعر الجميع بمتعه جديدة بدأ جارجاشاريا وساندي باني بالإعداد لعبادة الجبل ومن هنا لم يعد جوفارظان سيد التلال ولكن إله.

وكان مشعل النيران على وشك إيقاد النار المقدسة حينما شاهد كريشنا أيان مع اثنين من أصدقائه الذين جلبهما من ماثورا يتسلقون التل عن طريق خلفي. ولاحظ بنظره الثاقب وأدرك من طريقة تسللهم، نحو جمع الفتيات أنهم كانوا يقصدون رادا التي كانت مع الفتيات.

وارتسمت ابتسامة على شفتيه الجميلتين.

وتجمع الحشد من النساء والرجال شاهدوا أيان وصديقيه وكانوا

www.alkottob.com

غاضبين، وصاح كريشنا بصوت عال، ياشري داما ان ايان وصديقيه قد جاءوا لينضموا للإحتفال فادعهم إلينا وكان يقصد من صوته العالي إسماع أيان، ثم أضاف، أيان تعال وانضم إلينا في طقوس التعبد.

وانطلق شري داما إلىحيث كانوا يقفون غير أن أيان وصديقيه عادوا من نفس الطريق الذي جاءوا منه.

لم يتعبد جارجاشاريا إلى جوفارظان والبقر والأشجار ولكنه انتهى إلى أن يتعبد إلى كريشنا نفسه، وراحت الحناجر تهتف النصر، النصر. وكان ذلك آخر يوم في الاحتفال وبقى الرعاة يحتفلون وأولموا الولائم وغنوا وراح البعض يتذكر كريشنا حينما كان طفلاً.

ومع حلول الظلام كانت النجوم مشعشعة بهدوء والنسيم يهب منعشاً وراحت كل عائلة تنام قرب عرباتها حيث الأبقار والثيران. وكل شيء هادئاً، وبعد منتصف الليل بدأت الغيوم السوداء تتجمع في السماء وبدأت الريح تبرد، وفجأة لمع البرق وأخذت الحيوانات تخور واستيقظ الرعاة وكانت السماء متجهمة. ودخل الرعب القلوب فقد غضب الإله أندرا إله المطر والعواصف وسيعاقبهم، فقد تركوا إلههم وأصغوا إلى ولد سخيف لعبادة الأبقار والأشجار وجبل جوفارظان.

لقد كان إله المطر غاضباً بلا شك، حيث أن السماء أصبحت معتمة بالرغم من اقتراب بزوغ الفجر، وراح كل راع ودون أن يقول شيئاً يربط الثيران إلى عربته، فمن الأفضل العودة إلى فرانداڤان قبل أن يفاجئهم المطر.

والتمعت السماء بالبرق وصفق الرعد، ورغم بزوغ الشمس إلا أن الغيوم السوداء كانت ثقيلة، وهطل المطر مدراراً.

وراحت الأرض تفيض به حيث تحولت إلى مستنقعات، وكان على

الرجال والنساء أن يزحفوا بحثاً عن ملجأ لهم في العربات. لقد كان الإله أندرا غاضباً. وحوصر الجميع وكان من المستحيل العودة إلى فرندافان عن طريق الغابة حيث غرقت بالأمطار. والسماء تصب المياه مدراراً. وراح الرجال والنساء يصلون إلى الإله أندرا ليسامحهم ويعفو عن أخطائهم وينذرون بأن يقيموا احتفالات أندرا دون تأخير إذا ما أنقذهم الإله من العاصفة.

وحالما ظهرت الغيمة الأولى في الأفق وبدأت الريح تهب باردة وقف كريشنا على قدميه وقاس مسافة السماء بعيني صقر ودعا أصدقاءه قائلاً، علينا أن نقاتل الإله أندرا.

ومع أول وميض ضوء قاد كريشنا أصدقائه نحو بعض الحفر التي كان المطر والريح قد صنعها في جبل جوفارظان، وكان قد تعرف عليها خلال زياراته السابقة للجبل حيث كان يسمع فيها صدى الأصوات.

قال كريشنا: يابالارما إن أندرا مصمم على حربنا وعلينا أن نحاربه قال ذلك وهو يحاول زحزحة صخرة كبيرة ليفتح باب الكهف. ودخلوا جميعاً ونجح بالارما بمساعدة الاخرين في زحزحة صخورأخرى. وترددت أصوات الإنتصار من الأولاد، وسمعتها الفتيات ونسين جميع الصعوبات وركضن نحو المكان الذي تأتي منه الأصوات، لقد كانوا يثقون بكريشنا وإن كانت هناك أصوات انتصارات فمعنى ذلك أن كريشنا قد أتى بمعجزة لقد كانوا الآن جميعاً ضالعين في المعركة الكبرى، إنهم يصارعون الإله أندرا من أجل حبيبهم كريشنا، وتمت إزاحة الجلاميد، الصخور، الكونكريت، الرمال بسرعة من تلك الحفر.

قال كريشنا بلهجة آمرة، اجلبوا الأطفال هنا، وركضت الفتيات الكبيرات إلى عائلاتهم لجلب الأطفال إلى المأوى.

وبقى ناندا وعدد من الرعاة قلقين لما يجري فجاءوا إلى الموقع وتبعهم آخرون. وبذل كريشنا محاولات ضخمة لزحزحة صخرة تفصلهم عن

www.alkottob.com

كهف كبير في جوف التل، وتعاون الجميع لمساعدته. وفجأة وحيث العاصفة تشتد ضرب الرعد التل ورجعت الكهوف صداه بعنف والتمع البرق، وانفجر الرعد فوق رؤوسهم واهتزت الأرض بقوة وشعروا أن التل ذاته يميد تحت أقدامهم وبدأت الصخرة التي حاول كريشنا تحريكها تنحدر من التل نحوهم لولا أن تعاون كريشنا معهم على تثبيتها.

ومرة أخرى انفجر الرعد واهتزت الأرض بقوة وسقط الجميع وفقدوا توازنهم وفجأة حدثت المعجزة فقد ارتفع جبل جوفارظان الإله فوق التلال بذراعين وتساقطت الصخور وانكشف مدخل كهف كبير بسبب ارتفاع التل.

كهف يسمح للإنسان أن يقف فيه منتصباً. وانطلقت صيحات الفرح من مئات الحناجر، جميع الرعاة وأبنائهم والخراف، جميعهم ركضو ليحتموا بالملاذ الذي أوجده كريشنا برفعه جوفارظان.

وراح الرعاة يحتفلون مرة أخرة ويسخرون من أندرا، فلا يستطيع الأن أن يفعل شيئاً لهم ما دام كريشنا حبيبهم وإلههم معهم.

ووقف كريشنا في وسطهم، وهو يرى الإخلاص في عيونهم ويبتسم لهم بحب، لقد شعروا جميعاً أنه منهم وأنهم منه وأنهم جميعاً جزء منه وبقي الرعاة يتحدون غضب أندرا حتى تعب. وأخيراً توقف المطر وأشرقت الشمس بقوة. الرعاة الذين شعروا بالفخر لمساعدتهم كريشنا في رفع جوفارظان جاءوا إليه يودعونه قائلين جوفند (وكان ذلك اسمه الجديد الذي منحوه إياه في ذلك اليوم) إنك آلهنا الآن ولن ندعك ترقص معنا، ولما لا؟ ألست منكم؟ سيكون الشهر القادم خريفاً وموعدنا للرقص في الشهر القادم أعدكم بذلك، ثم أضاف بهدوء والآن فنحن لم نعد نخاف من أندرا بعد اليوم لذا علينا أن نحتفل به.

26 ـ موت الوزير

عاد كامسا إلى ماثورا مزهواً بانتصاره وبما حققه.

وكان حينما بدأ والد زوجته جراساندا طقوس الحصان المضحي به من أجل إعلان إمبراطوريته قد اختار كامسا ليقود الجيوش وإتباع الحصان المضحى به. واستناداً إلى التقاليد الموضحة في شاستراس فإن الحصان المعبود يجب إتباعه أينما ذهب وعلى ملك كل دولة يمر بها الحصان إما أن يدفع الجزية أو يدخل في حرب من الجيش الزاحف.

وقد استطاع كامسا أن يحقق انتصارات في حروبه، فبعد تجوال إثنتي عشرة سنة عاد الحصان إلى راجاجريها، حيث كانت مثقلة بالشرف الإمبراطوري مع وجود مجموعة من الكهنة الذين تمت دعوتهم من الدول المجاورة المفتوحة وعليه تمّ استقبال كامسا استقبال الأمير القوي الفاتح الذي استطاع أن يضيف أراضي جديدة لملكه.

وخلال الإثنتي عشرة سنة لم يتمكن كامسا إلا من زيارة ماثورا لأيام معدودات في فترات متباعدة حينما يصادف أن يمر الحصان في أقاليم قريبة من ماثورا، لذا فقد ترك شؤون المملكة برعاية وزيره الأول برالامبا وقائد حرسه. وحينما عاد إلى ماثورا كان غير راضٍ أن يجد أن عشائر آل يادافا الإحدى والثلاثين بالإضافة إلى آل شورا، أنظاكا، فرشني وحتى قبيلته بوجا أصبحوا عملياً مستقلين وأن جميع المحاولات السابقة لإضعاف ال شورا قد باءت بالفشل.

www.alkottob.com

ولم تثر عودته لحماس فيهم، بل على العكس فقد كانوا غير واثقين وغير سعداء.

وبعد عودته شعر بعدم السعادة لبضعة أيام، فقد سحر المعارك ولم يجد ما يرضيه من ترحيب عند عودته. حتى والده العجوز أو جراسينا بالرغم من أنه كان لايزال في القصر، فلم يجده ذلك الرجل المتشائم الذي تركه، وشعر كامسا بأن قبضته التي كان قد أحكمها على آل يادافا قبل سفره قد تراخت بعض الشيء. كل تلك الأشياء ثلمت كبرياء كامسا غير أنه كان لايزال طموحاً ولم يشأ أن يأخذ خطوة مستعجلة لإعادة أحكام قبضته.

وكان برالامبا الوزير قد أصابه الشلل وكان على وشك الوفاة، رغم ذلك فإن الأمير استطاع أن يحصل من براديوتا، ضابطه المفضل على جميع المعلومات التي يحتاج إليها عما حدث في غيابه في كيف أختار الوزير طريق عدم المقاومة حيث أن القوات التي أوجدها كامسا كان قد أخذها معه وكيف أن زعماء آل يادفا قد استعادوا أمجادهم الغابرة ورجعوا أقوياء ومستقلين، وبالرغم من الطريقة التي عامل بها كامسا والده فقد بقوا يحترمون أوجراسينا باعتباره الملك المحبوب، وإن الرجل العجوز لم يتدخل بشؤون الإدارة، وأصبح بذلك محبوباً في نظر الناس وعادت له نفس الهيبة التي كانت قبل إقدام كامسا على سجنه وأصبح شغل كامسا الشاغل هو إعداد خطة لعودة الأمور لما كانت عليه لذا وضع المحاربين الذين عادوا معه في مختلف الأماكن في ماثورا وأعلن أن عودته المنتصرة يجب الاحتفال بها في احتفالات «القوس» ليظهر فيها قوته وأن يفرض الجزية على القبائل ويعيدهم إلى الخضوع والولاء.

وفي أحد الأيام جاء براديوتا إلى الملك ليلاً بأخبار غريبة سمعها من أحد رجاله أيان، الذي كان كما يعلم الأمير قد شارك بجهد كبير في الحروب، وحينما سمع كامسا الأخبار شحب لونه وراح يقضم شنبه،

ارتعشت يداه، وحينما أنهى ايان حديثه نهض الامير ساخطا وامره بسرعه أن يخرج مع براديوتا من الغرفة. وتمشى حتى شرفة قصره وبقي هناك فترة طويلة مطبقاً قبضته وعيناه تشعان غضباً.

طوال تلك السنوات انصب اهتمامه على الأمجاد العسكرية ونسي نبوءة الحكيم نارادا، أو تجاهلها من منطلق أنها لن تتحقق حيث أن الطفل الثامن لإبنة عمه ديفاكي لم يكن صبياً ولكن فتاة. ولكن ما هو الصبي، عمره نفس عمر الطفل الثامن لديفاكي، وها هو يبدي الكثير من القوة والمعجزات.

ورغم أن كامسا الآن قد تجاوز الخمسين فإنه كان يخشى الموت أكثر من أي شيء آخر، إن التهديد القديم من أن الإبن الثامن لديفاكي سيقتله عاد يرن في أذنيه بقوة أكبر من ذي قبل مما جعله في مزاج سيء، لم يكن خائفاً من الموت في المعركة. ولكن توقع الموت على يدي شاب من آل يادافا، من أقربائه أقلقه، فهو لايزال لديه طموح كبير في أن يسحق زعماء آل يادافا ويحوز أراضي جديدة، نعم عليه أن يوجد حلاً لهذا الغموض، مهما يكن الثمن، فإن كان هذا الصبي ابن ديفاكي عليه أن يدمره. في الصباح وبعد ليلة من السهاد ذهب مع براديوتا إلى بيت الوزير حيث يرقد على شفا الموت. لقد كان العجوز ضئيلاً ومشلولاً شللاً نصفياً فاقداً للوعي بشكل جزئي، وطلب الأمير من رجاله أن يغادروا الغرفة ووقف براديوتا حارساً على الباب.

كان الأمير غاضباً جداً وراح يهز الرجل الفاقد الوعي في فراشه لإيقاظه، فتح برالامبا عينيه ورفع يده غير المشلولة في محاولة لتحية الأمير.

برالامبا هل تسمعني؟ هل تفهم ما أقول؟ أشار برالامبا إليه بالإيجاب بجفنيه وبصوت منخفض.

ـ هل سمعت بكريشنا، ابن الراعي ناندا من فرندافان؟ وابن روهيني بالاراما؟

www.alkottob.com

أجاب الوزير بنفس الطريقة: نعم

أتعلم أن كريشنا هو من قتل بوتانا وترينا فربت اللذين أرسلتهما لقتله.

نعم

أتعلم أنه قد شب قوياً وجميلاً؟

نعم

أسمعت أنه حينما كان صغيراً قيل بأنه قتل الشياطين في العجل ومالك الحزين؟

نعم

وأن جميع الرعاة في فرندافان يحبونه؟

نعم

وأنه انتصر على الكوبرا كاليا التي تعيش في المستنقع المسموم وربط حبلاً حول عنقها؟

نعم

وأنت أيها العجوز الأحمق سمحت له في أن ينمو قوياً، لماذا؟ تساءل كامسا بغضب نافذ، لقد كان يريد قتل الوزير وتقطيعه إرباً، رغم إنه ينام عاجزاً في فراشه.

رفع الوزير يده اليسرى بتساؤل ثم قال: ما الذي كنت سأفعله؟ ثم أغمض عينيه تعباً. هز كامسا برالامبا بقوة ثانية، فتح الوزير عينيه، وركز بصره على سيده الغاضب وحاول بضعف شديد أن يشبك يديه في محاولة لطلب الصفح.

أخبرني هل استلمت تقارير على هذا الولد خلال فترة مرضك؟ حاول برالامبا من خلال رفع يده أن يقول نعم.

إن هذا الولد قد جعل فرندافان تترك عبادة الإله أندرا، ونصب نفسه إلهاً، هل ذلك صحيح؟

لا، أجاب الوزير بالإيماء

على كل حال، هل فرض عبادة الأبقار والأشجار وعبادة جبل جوفارظان وأقام احتفالاً بذلك؟

هل ذلك صحيح؟ صرخ كامسا

نعم

لماذا لم تقل لي؟

أشار العجوز إلى الباب نحو براديوتا

براديوتا يعلم: هل ذلك ما تريد قوله؟

نعم: أشار العجوز بذلك.

وفي تلك المناسبة تمت عبادة كريشنا؟

بقي العجوز صامتاً

وهل تعلم أنه قتل الثور المجنون أريشتا والحصان المتوحش كيشي اللذين تركهما براديوتا سائبين في فراندافان؟

أشار العجوز إلى أنه لايعلم شيئاً عن تلك الوقائع.

والآن اصغ يا برالامياء فلو لم تكن قد خدمتني جيداً خلال الخمس وثلاثين سنة الماضية لكنت قتلتك الآن حالاً وبيدي هاتين، لقد تركتك مسؤولاً عن مملكتي ولم تفعل شيئاً غير أن تدمرني. لقد كنت ضعيفاً جداً في أن جعلت أعدائي يصبحون أقوياء وزعماء، أولئك الذين سحقتهم، وسمحت لهذا الكريشنا في أن يكبر قوياً وهناك بعض الناس حتى في ماثورا ينظرون إليه باعتباره المنقذ القادم.

www.alkottob.com

حاول العجوز آن يشبك يديه ولكنه لم يستطع.

لاتشبك يديك أيها المنافق العجوز، ولكن إن كانت لديك بقية ولاء أخبرني شيئاً واحداً شيئاً واحداً أريد سماعه منك.

تساءل العجوز بيديه عما هو ذلك الشيء.

قطب كامسا حاجبيه وبتهديد مهموس سأله، هل ذلك الولد هو الإبن الثامن لديفاكي؟

لم يحر العجوز جواباً.

هيا تكلم، وإلا فإني لن أتمالك نفسي عن قتل كاهن، أتسمع؟ هل هو ابن ديفاكي؟

حاول العجوز أن يتحدث وكان يريد التأكيد.

أيها الخائن! لماذا تخفي هذه الحقيقة عني؟ هز كامسا العجوز هزاً قوياً من كتفيه الضعيفتين.

لماذا لاتخبرني أيها الخسيس؟

حاول العجوز جاهداً، انفتحت عيناه واسعتين وشحب لونه.

أخبرني: لماذا لم تخبرني سابقاً؟

وبقوة مفاجئة رفع برالاميا رأسه وارتعشت شفتاه وقال: لأن الحكيم الموقر فياسا قال الحقيقة: فهو الإله نفسه.

وسقط رأسه، لقد كانت المحاولة قاسية جداً على رجل شبه ميت انفتحت عيناه، واسعتين وبقيتا جامدتين، وحشرجة الموت في حنجرته وفزع كامسا وخرج من الغرفة.

27 ـ استدعاءات كامسا

أرسل كامسا يستدعي جميع الزعماء آل يادافا إلى اجتماع سري يعقد في قصره، ولمدة ثلاثة أيام وليال.

وبعد وفاة برالامبا، بقي كامسا جالساً وحده حزيناً، وذهنه مشغول بالمشكلة. يجب تدمير ابن فاسوديفا سوية مع جميع زعماء آل يادافا إن اقتضى الحال.

لذا توجهت الرسل في اليوم الرابع لتعلن أن كامسا يزمع إقامة احتفالات القوس، وإنها ستستمر لمدة أسبوع وستولم الولائم، وسيتم إعداد صراع للفيلة وعروض للمصارعة. وكان أسبوع براديوتا قائد كامسا الموثوق به شاعراً بالعار لذا ذهب سريعاً حاملاً أوامر مولاه، وقد تم تكريمه بجعله أميناً لاحتفالات القوس، وفي الحقيقة فقد حل محله فريتريغنا، ابن عم زوجة كامسا المفضلة أميرة ما جاظان وانبة الإمبراطور جراساندا، والذي أصبح سيد القصر، وهذا الضابط الجديد حل محل رجال براديوتا الذين من ماجاظان. وكان براديوتا يعلم معنى ذلك، فلم يعد كامسا يشعر بالأمان في أن يضع أمنه بيدي ضابطه، ولم يعد براديوتا مرتاحاً لثقة سيده التامة. لقد كان براديوتا يشعر بالمرارة فقد أفنى عمره في خدمة سيده، حيث ضحى بحياة زوجته وأبنائه ولم يتنصل من أية مهمة رغم ذلك فهو مخطئ في نظر سيده، والآن يركنه سيده جانباً ويستعيض عنه بمرتزق أجنبي.

www.alkottob.com

لم يستطع أبداً أن يهز القناعات التي خلقتها لحظات موت الوزير برالامبا منه. لقد كان واقفاً عند الباب حارساً له. غير أن أذنيه سمعتا ما حدث بين كامسا والوزير.

وقد تفجرت كلمات الوزير الأخيرة فيه. فطوال تلك السنين لم يتخذ برالامبا أي إجراء للتخلص من إبن ناندا ولم يسمح له بإتخاذ أي إجراء والآن يعلم هو لماذا، لقد عرف العجوز أن ابن ناندا هو في الحقيقة ابن فاسوديفا وأنه الطفل الثامن لديفاكي، المنقذ.

ظل براديوتا يفكر بزوجته، فلو كان كريشنا حقيقة ابن فاسوديفا فلماذا أقسمت بوتانا بأنها شاهدت ديفاكي وهي تضع بنتاً؟ ولماذا انزلقت الفتاة من يد سيده مصحوبة بصرخة وتهديد لسيده؟ ولماذا ارتضت بوتانا مهمة تسميم كريشنا؟ ربما كانت تعلم أن كريشنا إله. وقررت إنقاذه، وربما لإنقاذ زوجها وأبنائها، لقد ضحّت بنفسها بدلاً من محاولة قتل المنقذ، إن جميع الأشياء غامضة.

ويبدو أن برالامبا كان مقتنعاً أن كريشنا إله وذلك من خلال إعترافاته قبل موته، وإن بوتانا عرفت هي الأخرى، وإن كامسا الآن عاكف على إعداد خطة ما، يستطيع من خلالها التخلص من كريشنا وسحق جميع زعماء آل يادافا فماذا يفعل هو؟ هل يكون أداة لتدمير أقربائه من زعماء آل يادافا؟ وإذا ما تم سحقهم فما الذي سيحصل له؟

وهو أيضاً من زعماء آل يادافا، وإن قيمته بالنسبة لكامسا، بعيداً عن الولاء، هي في موقفه فما دام بجانب الأمير يستطيع دائماً المطالبة بدعم القبائل وانقطعت سلسلة أفكاره حينما جاءه من يستدعيه للمثول أمام سيده. شعر بعظيم الإهانة فهو مجرد مخلب قط. وجد براديوتا أن الأمير قد استطاع أن يتحكم بغضبه الذي سيطر عليه خلال الأسابيع الماضية. ووجده أنيساً إلى جد ما وتلك إشارة أنه قد إعتزم شيئاً يبغي تنفيذه.

ـ يا صديقي أريدك أن تذهب إلى اكرورا زعيم فرشني وتخبره برغبتي في دعوة جميع زعماء آل يادافا غداً بعد الظهر.

ـ جميع الزعماء؟.

ـ نعم: أريد أن أحدثهم وأعقد سلاماً معهم وأخبره أن على الجميع أن يحضروا، جميعهم أسمعت؟ كما أني سأدعو والدي الموقر للحضور أيضاً.

ـ أجاب براديوتا: نعم ياسيدي، وهل تريدني أنا أيضاً؟

ـ بالطبع، بالطبع، فكيف لي أن ألتقيهم بدونك؟

كره براديوتا سيده للنفاق المغلف برقة حديثه وهو يقول ذلك.

ـ أجاب براديوتا: كما تشاء يا سيدي، وهل تريدني أن أعد ترتيبات حماية القصر في حينها؟

ـ سأله كامسا: ولمَ تزعج نفسك بذلك؟ إن الأمير فريتريغنا هو المسؤول عن ذلك.

ـ كما تشاء يا سيدي.

ـ ولكن دعني أعرف ما الذي سيقوله اكرورا.

حاول براديوتا أن يعرف السر وراء إقتراح الأمير المفاجئ والذي يكره زعماء آل يادافا، فهو يعرفه حادقاً لذا جلب جواسيسه وطلب منهم جمع أكبر قدر من المعلومات عن القصر، وأرسل ساعياً لإعلام اكرورا بأنه في طريقه إليه.

وكان اكرورا زعيم فرشني قد أصبح الآن مسناً وجلل الشيب شعر رأسه الطويل وضعف بصره، وكان اكرورا مستغرباً من زيارة براديوتا غير أنه استقبله بترحاب وسلمه الجنرال رسالة الأمير.

www.alkottob.com

سأله اكرورا: أخبرني يا براديوتا ما سبب هذه الدعوة؟ فهي غير متوقعة.

أجابه برايوتا: لقد استغربت لها أيضاً، فقد علمت بقرار الأمير منذ فترة قصيرة جداً.

سأله اكرورا: هل صحيح أنك أصبحت أميناً لاحتفالات القوس وإن فريتريغنا أصبح مسؤولاً عن حراسة القصر؟

هز براديوتا رأسه بالإيجاب: لقد كان تعيساً من فكرة أن يصبح هذا الرجل النبيل الكريم ضحية سيده المتوحش دون أن تكون لديه الشجاعة لإنقاذه.

سأله اكرورا: إنه غاضب منا نحن زعماء آل يادافا منذ عودته أليس كذلك؟

أجابه براديوتا: إنه غاضب جداً منكم جميعاً، غير أنه اليوم كان في مزاج جيد وودي.

ـ ولم هذا التغيير المفاجئ؟

أجاب براديوتا: لا أدري، بقيت عينا اكرورا النافذتين تنظران إليه بثبات، وكان براديوتا يشعر أن هذا الرجل النبيل يعلم بأنه كان يكذب عليه وشعر بالعار من نفسه.

سأله اكرورا: وما تعتقد السبب؟ فأنت تعرف الأمير أكثر من أي شخص آخر، هل يقصد حقاً أن يكون صديقاً لنا؟ أم أن تلك حيلة لقتلنا جميعاً وفي مكان واحد؟ بدا التوتر واضحاً على براديوتا في حضرة هذا الكاهن الذي كان محترماً على نطاق واسع ووجد ان من الصعوبة عليه أن ينظر إلى اكرورا ويكذب على ضوء ما قاله برالامبا قبل موته. قال براديوتا: أن الأمير رجل غريب، فربما تكون لديه خطة.

ـ وأنت تشك أن هذه خطة لفعل شيء شرير أليس كذلك؟

هز براديوتا رأسه إيجاباً:

وفجأة جاء صوت ناعم حزين من جانب الباب وهو يقول، هل عدت أيها الموقر؟ جارجاشاريا...

فتح براديوتا عينيه باستغراب، حيث دخلت إمرأة صغيرة الحجم ووقفت عند الباب كانت قد تجاوزت الثلاثين، غير أن شعرها كان برمته أبيض ووجهها يحمل آثار حزن أكبر من الكلمات، دخلت ولكنها حينما شاهدت براديوتا قطعت ما كانت تقوله وزحف خوف مفاجئ نحو عينيها.

قال اكرورا: ديفاكي أهلاً وسهلاً، أنت تعرفين براديوتا ابن زعيم انظاكا؟

ركزت ديفاكي بصرها على براديوتا لم تستطع التعرف عليه بعد ذلك شحب لونها وراحت شفتاها ترتجفان، وشعرت بالدوار فاستند بيدها على الباب وكادت أن يغمى عليها.

شعر براديوتا وكأنه على وشك أن يفقد وعيه، فها هي الأميرة التي أقدم سيده وهو إلى جواره على سحبها من العربة، وهي التي قتل أبناءها واحداً إثر آخر وهو واقف إلى جواره أيضاً.

وها هو سيده الآن يريد قتل ابن ديفاكي أيضا وبمساعدته هو. انتابته موجة شعور بالعار، وتحشرج صوته وغامت عيناه رعباً وهو يرى ديفاكي تحدق به.

وشبك يده وأحنى رأسه للأرض.

قال اكرورا: ديفاكي سأتي إليك حالما أنتهي من حديثي إلى براديوتا قالت ديفاكي بصوت منخفض نعم: ثم مسحت دموعها التي تحدرت من عينيها وخرجت.

www.alkottob.com

بقي براديوتا جالساً غير قادر على الكلام أو النظر في وجه اكرورا، لقد سمع بجنون ديفاكي الغريب وكيف تتعبد للعبة ذهبية على شكل صبي صغير ليلاً ونهاراً، كيف تحمم اللعبة، تطعمها، تلبسها وكيف تغني أغاني الحب لها، إلتمعت فكرة في ذهنه، إنها لم تكن تغني أغاني الحب للعبة ولكن الطفل الذي أخذ منها منذ ست عشرة سنة وأصبح الآن ابن ناندا، ومع ذلك فإن براديوتا الشرير يريد مساعدة كامسا لقتله، صدمته الفكرة.

فهم اكرورا الأزمة التي كان يمر بها براديوتا؟

سأله اكرورا: أترغب في زيارة فاسوديفا وإبلاغه الدعوة بنفسك؟

أجاب براديوتا: لا لا لا أستطيع إذ اني لا أجرؤ على لقياه سأله اكرورا وهو يبتسم إبتسامة طبيب يعالج مريضه، ربما تريد مشاهدة اللعبة التي تتعبد إليها ديفاكي يومياً.

أجاب براديوتا ويداه متشابكتان وبذّل، لا، لا، لا، أرجوك فلا أستطيع رؤيتها ثانية فقد أخطأت بحقها.

ـ أن لها قلباً نبيلاً وستسامحك، والأحرى أنها سامحتك منذ زمن وقد شعرت بالخوف من رؤيتك هنا.

ـ إنك طيب أيها الزعيم والآن دعني أذهب.

ـ انتظر واهدأ ومن ثم اذهب إن شئت، إن الفرصة تأتي لكل إنسان في أن تشمله عناية الآلهة وها قد جاءتك الفرصة.

نهض براديوتا وانحنى أمامه ثم خطا نحو الباب.

قال له اكرورا بصوت هادئ وهو يرافقه إلى الباب: حينما تأتي عناية الآلهة لا تحاول أن تغلق المنافذ أمامها، رحب بها، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي تتعرف بها على الإله وفجأة توقف براديوتا ثم استدار وهو يقول: اكرورا إن العناية الآلهية لن تشملني أبداً فإني لا أستحقها مطلقاً،

ثم توقف ونظر بغرابة نحو اكرورا وسأله بهمس: إن ابن فاسوديفا الثامن لا يزال حياً وهو في فرندافان أليس كذلك؟

نظر إليه اكرورا والخوف في عينيه وسأله: هل كشف السر؟ من أخبرك؟

ـ برالامبا حينما كان يموت أخبر الأمير عنه.

ـ أوه. وكاد قلب اكرورا يتوقف عن النبض.

وبنظرة خائفة، نظر براديوتا حوله ليتأكد أن لا أحد موجود ليسمع كلامهما ثم قال لا تزعج نفسك فلن يمسه أحد بسؤال: لقد قال برالامبا بأنه إله وقد جاء لإنقاذنا، قال براديوتا ذلك بأنفاس متقطعة ثم خرج من البيت مسرعاً.

www.alkottob.com

28 ـ الدعوة إلى ماثورا

مضت على كامسا خمس وعشرون سنة وهو يحكم ماثورا ولم يدع إلى إجتماع للزعماء، بالرغم من أن والده أوجراسينا كان يستشيرهم شفهياً في بعض المسائل الهامة.

لذا كان الزعماء مندهشين جداً وغير واثقين من صدق الدعوة لذا اجتمعوا بكبرائهم وقادتهم مثل فاسوديفا واكرورا. وكانوا يعلمون أنه خلال الغيبة الطويلة لكامسا قد استعادوا معظم سلطاتهم التي فقدوها ومن الطبيعي الآن وبعد عودته فإنهم يخافون تجدد التهديدات القديمة والإضطهاد وربما المجازر.

إن احتفالات القوس التي قرر الأمير إقامتها كانت تتضمن الدماء. فهناك الجنود والمصارعون مفعمون بالإنتصارات، وكان لتعيين فريتريغنا الأمير من ماجاظان، والمكروه، مسؤولاً عن الحرس في القصر بدلاً من براديوتا من زعماء آل يادافا رغم أنه كان شريراً في سلوكه ربما كان سبباً في الكراهية، لقد كان هناك شيء يخطط له، هكذا راح زعماء آل يادافا يفكرون، وقد قرروا سراً أن يمضون قدماً إلى أقصى مدى لقتال كامسا، وكانوا بانتظار أن يبدأ هو بالعدوان.

وحضر الجميع في الموعد المحدد، الزعماء والكبار ومجموعهم خمسون رجلاً، وكانوا جميعاً مسلحين وحينما شاهدوا أن القصر برمته كان مليئاً بالمحاربين من ماجاظان وعلى رأسهم فريتريغنا علموا ما الذي كان مخبأ لهم

وشعر الملك أوجراسينا بعدم الثقة بنفسه وهو وسط الجميع. بعد أن كان يعيش في قصره وحده ـ في سجن فاخر ـ فقد عادة الإلتقاء بالناس. ولذا جلس سريعاً بجانب ولده، كانت نظراته خاويه، يداه ترتعشان وجسمه ناحل.

وبجانب الملك أوجراسينا جلس باهوكا الموقر من قبيلة انظاكا وعمره يزيد على التسعين عاماً وهو عم الملك أوجراسينا وجد يراديوتا الجنرال، الذي دخل على غير ما هو متوقع إلى القاعة، وراح العديد من الزعماء يتهامسون فيما بينهم، فلعدة سنوات ابتعد باهوكا عنهم يتعبد للإله شيفافي قصره وهاهو قد جاء الآن وجهه مليء بالتجاعيد ولكنه يبتسم، ينظر للشباب بعينين غير ذابلتين، فكر الزعماء أن شيئاً ما سيحدث وإلا ولِمَ يأتي العجوز باهوكا ما لم يكن هناك غرض خفي؟

وبجانب باهوكا جلس فاسوديفا زعيم آل يادافا، وقد تركت الخيبة والإحباطات آثارها على وجهه وعينيه وجسمه، وكل من يرى ذلك يشعر بعد الراحة لما يمكن أن يحدث بسبب هذا التجمع غير المتوقع وعلى الجانب الآخر للأمير جلست ديفاكي، أخ أوجراسينا والكاهن اكرورا الطيب القلب، جلس غير هياب فقد كان يحمل إعتزازاً كبيراً بالنفس، وقد نظر الزعماء إليه باحترام بالغ حيث كانوا يؤملون الكثير على حكمته.

جلس براديوتا إلى جانبه صامتاً ينظر في وجهه، وكانت عيناه تنتقلان من زعيم لزعيم في تفحص دقيق، لقد كان يعرف أنهم جميعاً يكرهونه وأن سيده يحتقره، وجلس إلى جواره اثنان من إخوانه وإثنان آخران أصغر منه يقفان خلف كامسا حيث أن ذلك هو واجبهما حينما يكون الأمير في مواجهة الجمهور. وآخرون مسلحون بالسيوف والرماح، متوقعين بعض القلاقل، لقد كانوا متأكدين أن هذا الإجتماع لن ينتهي بسلام ورغم ذلك فقد وجدوا كامسا يضحك ويرحب بهم بحرارة، يحيّي كلاً منهم على إنفراد ويسأل عن شؤون عائلاتهم.

www.alkottob.com

وإزاء دهشة الجميع شبك كامسا يديه ثم استدار نحو والده وإلى انظاكا العجوز.

ـ الأب المعبود ـ قائلاً: عمي الكبير الموقر، إخوتي، لقد دعوتكم لتشاركوني في إحتفال القوس، فقد قمت بقوة ذراعي بتوسيع رقعة حكم آل يادافا وأصبحت ماثورا الآن ممكلة قوية، وأنتم جميعاً تعرفون أساليبنا القديمة وأريدكم أن تساعدونني على إنجاح هذا الاحتفال.

لم يتكلم أحد فلم يفهموا وراء هذه الديباجة.

أضاف كامسا قائلاً: وسيكون لدينا سبعة أيام من الاحتفالات حيث الأضواء والموسيقى والرقص بالإضافة إلى إستعراض المهارات العسكرية والمصارعة، حيث سيشارك مصارعون من بلاد أخرى، وقد أصدرت تعليمات لإعداد طقوس القوس، وفي النهاية فمن يرمي أبعد بها سيحظى بكل الشرف الذي سأمنحه أياه.

أجاب الزعماء بأدب بهز رؤوسهم ولم يتكلم أحد منهم.

وأضاف كامسا قائلاً: إن القوس الذي سأعده لا يقدر إلا القلة من الرجال على حمله ولا يستطيع أحد أن يثنيه، وحينما تبدأ الاحتفالات أريد أن يكون شباب آل يادافا مهيئين لإختبارات القوة والمهارة، فنحن آل يادافا مشهورين أيضاً بالمصارعة، فشانورا وموسيشكا لا يغلبان وهما أستاذان في هذا الفن وأريدكم أيها الشباب أن تشاركوا في حلبات المصارعة معهما وأن تبينوا أن آل يادافا لم يفقدوا السمعة التي أشتهر بها أجدادهم.

قال اكرورا قاطعاً الصمت المخيم: يا سيدي إني حقاً سعيد وأرجو أن تطمئن إلى أن زعماء آل يادافا لن يخالفوا شرائعهم.

قال كامسا: يا زعيم فرشني أعلم أنكم لن تخالفوا شرائعكم المقدسة فأنتم تعرفون التقاليد.

شبك اكروراديه بأدب وقال: يا سيدي وأنت تعلم أيضاً تعاليم أجدادنا، وسأقول لك ما نشعر به جميعاً، فنحن نريد أن يأتي معنا الملك النبيل المعبود خارج القصر ويرأس الاحتفالات، ثم استدار اكرورا نحو أوجراسينا وسأله: هل تأتي جلالتكم؟

نظر أوجراسينا إلى ولده ليرى أثر هذه الدعوة الغريبة عليه.

أجاب كامسا بعد تردد قليل: وبلا شك فإن والدي المعبود سيأتي أيضاً.

ثم أضاف بصوت متهدج لم يستطع السيطرة عليه ولاحظه الحضور، فهو سيدنا ومولانا.

نظر كامسا إلى الباب، وسرعان ما غادر الأمير الذي كان واقفاً عنده وترك الغرفة فوراً من خلال أبواب متعددة في القاعة، وسرعان ما دخل حوالي خمسين من مقاتلي ماجاظان وهم ينحنون وبأيديهم السيوف والحراب والرماح، ونظر زعماء آل يادافا إليهم بغضب وعاد أمير ماجاظان إلى مكانه ووقف خلف كامسا بجانب أخوي براديوتا الإثنين، تساءل باهوكا وعيناه متهجمتان، لماذا جيء بهؤلاء الأجانب إلى إجتماعنا؟

ضحك كامسا قليلاً وقال: هؤلاء هم المحاربون الشجعان الذين ساعدوني في أن أفوز وأنتصر إنهم هناك لمساعدتنا والمشاركة في الاحتفالات. ثم قال لهم إجلسوا: ثم استدار نحو الزعماء قائلاً يا إخوتي أريدكم أن تلتقوهم فإن فريتريغنا محارب شجاع وكان معي منذ إثنتي عشرة سنة إنه واحد منا.

تساءل اكرورا: ما الذي تريده منا بعد يا صاحب السمو؟

قال كامسا: لا شيء آخر يا اكرورا. عدا التحدث بصراحة معكم جميعاً، فإني أريد أن أخبركم شيئاً عن الأمير فاسوديفا.

www.alkottob.com

تساءل فاسوديفا بإنفعال: عني؟

قال كامسا بشيء من السخرية: نعم عنك يا زعيم آل شورا، فقد وعدتني بأن تعطيني كل طفل تلده ديفاكي وقد أعتقدتك رجلاً صادقاً. واعتمدت عليك وتركت ديفاكي تعيش. ومن ثم حنثت بوعدك. فقد قمت بسرقة الولد الثامن الذي ولدته ديفاكي. فأنا أعلم أن ذلك الولد يعيش الآن في فرندافان بصفة ابن ناندا زعيم الرعاة، أهذه هي شريعة شاتريا؟ تساءل كامسا وهو ينظر بتجهم إلى فاسوديفا.

سرت رعشة بين الزعماء، الإبن الثامن لديفاكي حي يرزق! هل ستتحقق نبوءة نارادا، كل منهم سأل نفسه هذا السؤال.

انعقد حاجبا فاسوديفا وكان على وشك الرد بغضب، غير أن زعيم أنظاكا الموقر رفع يده وأوقفه عن الإجابة قائلاً: تمهل يا فاسوديفا، ثم تابع، يا ابن أوجراسينا أنت من بين الجميع من خرق شريعة شاتريا ذهل كامسا فلم يكن متوقعاً من العجوز أن يأتي للإجتماع أصلاً وها هو يقود دفة الحديث وهو يعلم أن باهوكا الموقر حينما يتكلم فمن عدم الإحترام مقاطعته.

سأله الأمير: ولم؟

قال زعيم أنظاكا: لم؟ أنت تسأل: اسمع يا ابن أوجراسينا قل لي أين هي العدالة في أن تسجن والدك؟ أكان من الشريعة في شيء أن تسجن ديفاكي وفاسوديفا في يوم زواجهما؟ وأن تقتل الأبناء الثمانية لأم وهي ابنة عمك أيضاً.

أمن العدلة أن تقتل الطفل وهو رضيع؟ كان صوت العجوز ينطلق واضحاً بقوة، لدي بضع سنين فقط من عمري وحتى حينما كنت شاباً لم أكن أخاف حتى من إله الموت.

دعني أخبرك ما الذي أريد قوله لك طوال هذه السنين، لم يسمع أحد بمجرد سماع لجميع الشر الذي أرتكبته لقد أسأت لإسم آل يادافا.

توقف باهوكا للحظات لإلتقاط أنفاسه ثم تابع، لم أنت مهتم كل هذا الإهتمام بابن فاسوديفا أينما كان أو أياً كان؟ لقد عانى فاسوديفا بما فيه الكفاية على يديك ولن أسمح لك بإضطهاده أكثر من ذلك.

فقد كامسا لبرهة ثقته بنفسه وبدون وعي امتدت يده لمقبض سيفه ثم اقتنص نظره إلى براديوتا وفريتريغنا الواقفين خلفه.

شاهد اكرورا الموقف وتبادل النظرات مع يراديوتا ثم قال بهدوء، أيها الأمير لا تدع غضبك يسبق حلمك، إن الغضب جنون، أنت تريد أن تعلم عن طفل فاسوديفا الثامن؟

- نعم

- إن الطفل ديفاكي الثامن كان ولداً وتريد أن تعرف إن كان في فرندافان؟ سأخبرك نعم إنه هناك، وإن كان هناك من خدعك فهو أنا، أنا الذي رتبت لتبديل إبن ديفاكي بابنة ناندا.

سأله كامسا محاولاً بقوة أن يسيطر على غضبه المتزايد، أنت من فعل ذلك؟ ولماذا؟

أجابه اكرورا بابتسامة: لأنقذك من شر قتل جميع أولاد ديفاكي، أردت إنقاذك من نفسك.

سأله كامسا: إذن فصحيح ما يقال من أن كريشنا ابن ناندا هو الطفل الثامن لديفاكي.

أجاب اكرورا: نعم

ولبرهة سرت رعدة في جسم كامسا، فقد عاش مدمره برغم كل شيء! ورغم ذلك حافظ على هدوئه ثم استدار نحو اكرورا وهو يبتسم

www.alkottob.com

قائلاً: هل أنا شرير جداً يا أكرورا؟

ذلك كان في الماضي وقد نسيته، وعليكم أن تنسوه أنتم أيضاً، والأن أنا أعلم أن ابن ديفاكي حي وأريده أن يأتي إلى هنا.

سأله اكرورا: ولم تريده أن يأتي إلى هنا؟

أريده أن يأتي ليشارك في احتفالات القوس، لقد سمعت بمهاراته وأريده أن يأتي ليجرب يديه في قوسي، أريده أن يشارك في المصارعة، فإن كان ماهراً كما يصفه الناس فسيفوز في سباق القوس وفي مسابقات المصارعة أيضاً سأله باهوكا الموقر: أهي حيلة جديدة أيها الشاب؟

تساءل كامسا: وأين الحيلة في ذلك؟

تساءل كامسا: ثانية ثم استدار نحو الملك أوجراسينا، إني سعيد جداً ألست سعيداً أيها الأب المعبود؟

استمع الزعماء إلى هذا الحديث الرقيق بعدم الثقة، غير أنهم كانوا واثقين جداً بطريقة اكرورا في معالجة الموقف.

قال الملك العجوز: ما يفعله الإله سيفا هو الأفضل.

قال كامسا: والآن يا اكرورا عليك أن تؤدي لي خدمة، أجلب لي كريشنا هنا وكذلك ابن روهيني الذي معه، فأريد أن أستمتع برؤيتهما قد كبرا كما يجب.

أريدهما أن يشاركا في إحتفالات القوس. واطلب من ناندا أن يأتي ويجلب الجزية السنوية معه، ما تقول في هذا يا فاسوديفا؟

قاطعه اكرورا قائلاً: أيها الأمير عليّ أن أذهب وأجلبهما هنا من فرندافان.

29 ـ آلهة الفرح والجمال

لم يعد الوقت يسمح بالراحة والسكون في فرندافان فقد بقي الرجال والنساء جالسين على مداخل بيوتهم أو في الساحات العامة في القرية تحت ضوء القمر المنهمر يتحدثون عن شيء واحد فقط هو أن كامسا قد أرسل اكرورا زعيم آل فرشني ليدعو ناندا مع كريشنا وبالارما في أن يأتوا إلى ماثورا جالبين معهم، بالطبع، الجزية، حيث ستقام إحتفالات القوس إحتفاء بعودة كامسا منتصراً وعليهم جميعاً المشاركة بتلك الاحتفالات والاحتفالات في ماثورا يوليها الناس هناك اهتماماً كبيراً غير أن الدعوة لإقامة إحتفالات من قبل الأمير المكروه كانت مثار دهشة خاصة وأنها تضمنت دعوة ولدين يحبهما أهل القرية حباً جماً، فهما مدعوان أيضاً للمشاركة في إحتفالات القوة والمهارة وكان الناس يعتقدون أن وراء الدعودة ما وراءها وقد سرت إشاعة بأن اكرورا وعند وصوله قد إختلى بناندا وكريشنا وبالارما وحينما خرج ناندا من الغرفة كان وجهه تبدو عليه علائم القلق وفي عينيه خوف غريب. وقد طلب الزعيم إعداد العربات وتجهيزها قبل الفجر وإصدار أوامر لجمع الحبوب من أجل دفع الجزية إلى الأمير، ووجدت الأم ياشودا عزاء لها في الدموع، وتم تنفيذ جميع الأوامر غير أن القلوب جميعاً كانت مثقلة بالحزن والقلق ولم يستطع أحد أن ينام في تلك الليلة بالرغم من إنتصاف الليل.

وفجأة امتزج ضوء القمر المنهمر بأنغام مزمار، الأنغام المألوفة، العذبة والتي يحبها الجميع، نعم كان كريشنا يدعو جميع الفتيات للرقص ودبت

www.alkottob.com

الحياة في القرية، فها هو الحبيب يناديهم، وخفقت القلوب مع نغمات المزمار. وهرعت النسوة، وليس الشابات فقد هذه المرة، نسوة في أواسط العمر أيضاً هرعن إلى ضفة يامونا، ولم يكن هناك وقت لإرتداء ملابس مناسبة أو للتزين، جئن جميعهن، بعضهن بشعر منفوش والأخريات نسين أن يضعن العلامة على جباههن أو رحن يعدلن وضع ملابسهن في الطريق والجميع يتوجهن إلى المكان الذي كان كريشنا يناديهن فيه.

نعم لقد كان يناديهن وسيذهب غداً صباحاً قبل إنبلاج الفجر.

سمعت رادا بعزم كريشنا على المغادرة وكانت تتقلب في فراشها وقد استبد بها القلق حينما سمعت صوت المزمار، نهضت فوراً وتناولت خلاخيلها من الزاوية ثم خرجت من البيت وشعرها يتطاير، إنّه كان ينادي، يناديها.

وجئن كهلات وصبايا يركضن وأثداؤهن تترجرج فقد جلبهن المزمار بأنغامه أما الرجال فلا يشاركون في الرقص وإنما يتجمعون خلف نسائهم.

وحينما يشاهدونه جالساً في وضعيته المألوفة ورجلاه متصلبتان يبدأون بالتصفيق ويتصايحون ذا.. ذا.. ذا.

اهتزت الأرجل بالخلاخيل وقرعت الطبول وتشابكت الأيادي، وشكل الفتيان والفتيات دائرة كبيرة وداخلها دائرة صغيرة يدورون حول كريشنا وتركت رادا الحشد ووقفت بجانبه وكان نهداها الصغيران يعلوان بالفرح والكبرياء وافترت شفتاها عن ابتسامة سعيدة وكانت عيناها مثبتتين على وجه كان في وجد تعبدي.

بعد ذلك وضع كريشنا المزمار في حزامه وراح مع رادا يشاركان في الرقص وقد غنوا ورقصوا وظل الجميع يردد بجذل ذا.. ذا.. ذا.. ذا، ويصفقون بأيديهم على إيقاع الرقص.

ودار الراقصون بسرعة كل منهم يأخذ مكان الآخر وأخرج كل منهم عصي صغيرة من حزامه وراحوا يضربون بها موقعين لحناً حيث يضربون أولاً العصي ببعضها ثم كل منهم يضرب عصى زميله ثم يصفقون وهم يصيحون ذا.. ذا.. ذا.. ودارت الأرض والسماء، وبقي القمر ثابتاً في السماء يبتسم بحب، وغنى نهر يامونا ألحانه العذبة ونظرت الآلهة للأرض بفرح.

وانتشى الرعاة وانسحب بعضهم من الدائرة متعباً وخفت حدة الرقص ثم استلقى كل منهم على الأرض ليستريح وهو يضحك متقطع الأنفاس.

وقبل أن يستطيعوا فتح عيونهم سمعوا صوت المزمار وهو يأتي من مكان آخر يبعد قليلاً عن مكانهم حيث الطريق الموصل إلى الغابة، واندفع شبح أسود من بينهم يركض باتجاه تلك البقعة، ومن ثم اختفى شبحان في ظلمة الغابة.

وعرف كل منهم معنى ذلك، وبعض القلوب أكلها الحسد والغيره غير أن أحداً لم يتحرك حتى ليرقب العشاق.

قال كريشنا: رادا إني أعلم أنك متعبة فدعيني أحملك اندفع الدم إلى خدي رادا غير أن الحياء منعها من قبول عرضه فأجابته أستطيع المشي قال كريشنا: لا.. لاتستطيعين ذلك فإني أعتزم أن آخذك بعيداً ثم حملها بين يديه.

شعرت رادا بوهج الإثارة يسري في جسدها، وخفق قلبها فرحاً فاستكانت بين يديه ورأسها المشعث الشعر على كتفيه.

وكانت أوراق الأشجار الكثيفة فوقهم تشكل ظلالاً على الطريق حيث كريشنا يمضي إلى الغابة، وعلى ضوء القمر شاهدت عينيه الملتهبتين وهما تنظران إليها وكانت كل عضلة منها مستثارة وشعرت بنفس الإثارة في الأيدي التي تحملانها.

www.alkottob.com

قال كريشنا: رادا

أجابته رادا: كان

قال كريشنا: الليلة هي ليلة الليالي.

أجابت رادا: نعم لقد كانت رقصة جميلة.

ـ وأنت أيضاً كنت جميلة يا رادا، وأكثر جمالاً وانحنى عليها وألصق شفتيه بشفتيها فأغلقت عينيها في نشوة وتعلقت به باستسلام لذيذ وبصمت تعلقت به وسمعت نبضات قلبها تحاكي نبضاته وراح يمشي على أوراق الشجر الجافة التي تتكسر تحت أقدامه الثابتة.

سألته رادا كان: هل ستبقى هكذا؟

أجابها: سأبقى هكذا دائماً وللأبد ما دامت الشمس والقمر باقيين.

سألته: ألن تنساني؟

أجابها: كيف لي أن أنساك؟ أنت آلهة الفرح بالنسبة لي.

وصلا الآن إلى مكان مفتوح بعيد عن أصدقائهم، وكان القمر ينير المكان والنهر ينساب بهدوء. وضعها بهدوء على الأرض المكسوة بالطحالب في ظلال شجرة ورافة الظلال وجلس بجانبها، واضطجعت وهي لاتزال متعلقة برقبته غير قادرة على تركه شاعرة برغبة عارمة تجتاح جسدها وقلبها وكيانها وبرغبة لايمكن جماحها مال عليها وألصق شفتيه بشفتيها، ولم تفترق الشفاه حتى امتزجت الروحان وأصبحتا روحاً واحدة.

وعصفت بهما موجة عنيفة ليتحدا وكانت متعة لا توصف. وبعد بضع لحظات اعتدلت رادا لتربط شعرها المنثور وقالت:

ـ كان متى نتزوج؟ فلن أتحمل البعاد عنك.

ابتسم كريشنا وهو ينظر إليها وقال: وسنبقى دائماً سوية، وقد تزوجنا اليوم بعد أن التحمنا سرية عظماً لعظم ونفساً بنفس.

قالت رادا: كف عن الهراء وأخبرني؟

سألها كريشنا: لقد تزوجنا منذ لحظات أليس كذلك؟

قالت له رادا: ولكنك لست من سلالة الملوك.

ضحك كريشنا وقبلها على جفنيها وقال ساخراً: افترضي يا رادا بأني من سلالة ملوك؟

ـ إنك دائماً أميري يا كان إلهي، أمير الرعاة وأريدك أن تبقى كذلك للأبد.

قال لها جاداً: اصغ يا رادا أنا لست راعياً أنا أمير وأنت أميرة.

اعتدلت في جلستها وراحت تمسح وجهه لترى إن كان جاداً في حديثه قال لها: لا تنظري إلي هكذا يا رادا، فأنت تعلمين بأني ذاهب غداً إلى ماثورا وربما لن أعود لبضعة أيام.

قالت رادا: لا، لا ستعود ستعود لي.

ـ رادا لقد جلبتك إلى هنا لأخبرك سراً لا يعرفه إلا القلة رغم أن العالم برمته سيعرفه قريباً، إن سلالة آل يادافا كانت في عبودية لسنوات وسنوات وقد تنبأ الحكيم نارادا بأن تحريرهم سيقع على عاتقي، وكان صوته وهو يتحدث منفخضاً ومهيباً.

نظرات رادا إليه وتعلقت به قائلة: كان ما الذي تقوله؟ أخبرني ماذا تعني.

ـ اسمعي، لقد تنبأ الحكيم نارادا أن الولد الثامن للأميرة ديفاكي من زوجها الأمير فاسوديفا سينقذ آل يادافا ويدمر كامسا الشرير.

ـ نعم لقد سمعت شيئاً من ذلك.

www.alkottob.com

ـ أنا الولد الثامن لديفاكي.

ـ أنت.. أنت.. وتحركت بعيداً عنه مرعوبة.

ـ نعم فقد جلبني أبي فاسوديفا إلى جوكول في اليوم الذي ولدت فيه وتركني مع والدي الآخر ناندا، وأن بالارما هو أيضاً ابن أمي ديفاكي وهو ليس ولد روهيني.

أنت....

ـ نعم انا ابنه وكذلك بالارما، ويبدو أنهم جلبونا إلى هنا لنتخلص من انتقام كامسا بدأ وكأن رادا غير قادرة على استيعاب كامل ما قيل لها.

قال كريشنا: والآن هو....

قالت رادا: كامسا؟

ـ نعم إنه يجري احتفالات القوس ويريدنا أن نشارك بها، فربما يريدنا أن نقتل، قال كريشنا ذلك بهدوء.

عقبت رادا، إنه شرير، وبالتأكيد إنه يريد قتلكما.

ـ إني متأكد من أنه يريد ذلك غير إني متأكد من أن لن يصيبني أي مكروه.

ـ ولكن ماذا سنفعل لو حاول أن يقتلك؟

لن يقدر فالجميع يقول بأني قد جئت لإنقاذ الشرائع وان لدي إيماناً أن ذلك هو سبب ولادتي وسوف أحمي الشرائع المقدسة وأنقذ آل يادافا من العبودية فتحت فمها ذاهلة ثم أطبقته وعانقت كريشنا وهي تنتحب وهمست في أذنيه قائلة أليس هناك ما يحول بينك وبين الذهاب؟ بقي كريشنا لبرهة صامتاً ثم قال: لاشيء، لاشيء على الإطلاق علي أن أذهب إلى ماثورا إنها شريعتي التي بقيت أسأل نفسي لم لا أستطيع تدمير الظلم والخوف؟ وعلي الآن أن أقوم بذلك.

ـ ولكن ماذا عني؟ وبكت واخفت وجهها المغطى بالدموع في صدره ما الذي سأفعله أثناء ذهابك؟ لا لا يا كان لا تذهب. لا بد أن شيئاً سيحدث لك إن كامسا متعطش للدماء.

ـ رادا لا تخافي في شيئاً ولا تخشي علي، إن كامسا سيدمر وسيعيش الناس في حرية في ظل الشريعة المقدسة ولن تكوني وحدك، وحال انتهاء واجبي سأعود أو سأدعوك للمجيء إلى ماثورا وستبقين ملهمة الفرح لحياتي كما كنت دائماً، ثم ضمها إلى صدره.

بقي الإثنان صامتين، بعد ذلك راحت رادا تتكلم بصوت منخفض قائلة كان سوف تذهب إلى ماثورا وستنتصر، إعلم ذلك فأنا أفكر دائماً بأنك إله، وسيجعلونك ملكاً وستكون قوياً، وسيركع الناس عند قدميك وسيعبدونك وستمضي بين الأميرات باعتبارك المنتصر والمنقذ.

ـ وستكونين ملكتي، حياتي التي لا تفارقني.

بقيت رادا مطرقة تتطلع بالأرض للحظات ثم هزت رأسها وقالت: لا يا كان إني مجرد راعية فقيرة، وأنا غير مناسبة لأكون أميرة، وبين حشد الأميرات اللواتي سيعبدنك ولكني على استعداد للموت في سبيلك لن أكون سوى فتاة ريفية غبية.

قال كريشنا: لا لا بل ستكونين درة تاجهم.

ـ أجابت رادا: لا ثم دنت نحو النهر، ولن تكون بعدها كان الذي لي بل ستكون أميراً قوياً وستضع تاجاً على رأسك وسلاحك تحت إمرتك تذهب إلى الحروب... تتمشى مع الأبطال العظام، القساة، الصلبين المتعطشين للدماء، لا، لا سأكون عبئاً عليك، ولن أعود مصدر فرح لقلبك، توأم روحك؟ رفيقتك في الرقص.

بقي كريشنا صامتاً.

www.alkottob.com

ـ كان... اغفر لي إن سببت لك ألماً، ثم تابعت وأصبح صوتها ثابتاً وهادئاً لن أستطيع القدوم معك إلى ماثورا، يا كان من يعيش في عيني، يا من يضع ورداً برياً في أذنيه، ويحمل عصا قصيرة في يده، ويرعى الأبقار ويعزف على المزمار، إنه مبتهج وشجاع ذو ابتسامة خالدة على شفتيه لن أتحمل أن أراك أميراً... لن أستطيع القدوم إلى ماثورا وراحت تنتحب ثم عانقته بتشنج، ثم استطردت وكأنها تقول الحقيقة فقالت: اصغ يا كان إني أعلم بأنك لن تعود إلى فرندافان وحتى لوعدت فلن تكون كان الذي أحببته وعشت لأجله، دعني أبقى هنا أخدم والدك ووالدتك، ثم انخرطت في مودة بكاء، وتابعت وكأنها تتحدث في حلم سأذهب يومياً كما أفعل الآن، إلى ضفاف نهرنا الحبيب يامونا منتظرة قدومك بشوق ولهفة. وسأمر على الأيكة حيث قضينا فيها وقتاً سعيداً وستحدثني دائماً عنك وستمنحني الأزهار إليك.

توقفت ثانية لبرهة ثم أضافت، وإذا صادف أن جئت إلى ماثورا فلن أراك باعتبارك أمير آل يادافا كريشنا، بل ألقاك بين الأشجار التي تحبها، وسأسمع صوتك في تغريد الطيور، وسيخبرني التراب الذي نطأه ويدلني عليك، والنسيم الذي يداعب الأشجار سيجلب لي رسائلك وربما يغني لي كما تفعل الآن يا كان.

بقيا صامتين لفترة، ثم نظر كريشنا نحو السماء وأدرك ببصيرته ما كان يخبئه له القدر وكانت حنجرته صافية حينما تحدث مع رادا قائلاً: رادا إنك محقة فإني أريدك بإخلاص أن تأتي معي إلى ماثورا، ولكني أرى بأني لن أكون كما أنا الآن، وأنت يا فرح قلبي لن تكوني الزهرة الرائعة كما أنت الآن. لقد ولدت لتقبلك الشمس المشرقة ولتنثر عليك عبير الفرح.

صمت كريشنا هنيهة ثم تابع قائلاً: وإذا ما جئت يارادا، فإن فرندافان

لن تبقى كما هي الآن معك، ستكون مزاراً أنت آلهته للحب والفرح.

وحينما أفكر بك هنا سأجد دائماً حياة جديدة وكذلك سيفعل الرجال والنساء مادام العالم موجوداً.

حمل كريشنا رادا بين يديه مرة أخرى وتعلقت هي به كطفل صغير وراحت تنتحب.

ـ لقد أعطيتك كل شيء يا كان، ولكني أريد منك خدمة أخيرة، فحينما تذهب أترك لي مزمارك، فأنت أمير وأنا راعية، ويجب ألا يتكلم عني أحد بكلمة سوء...

ـ أفهم ما تقصدين، ودعينا نذهب فوراً إلى الكاهن ساندي باني لنتزوج أمام النار المقدسة، قال كريشنا ذلك ثم أضاف: وأنت والمزمار متماثلان وسبقى معك فهو لك.

www.alkottob.com

30 ـ كريشنا يغادر إلى ماثورا

قبل انبلاج الفجر، كان ناندا والرعاة الذين يرافقونه في طريقهم إلى ماثورا سوية مع العربات المحملة بالجزية. وقد غسل اكرورا وسقى أحصنته وربطها إلى العربة وكان منتظراً في ضواحي فرندافان وكان كريشنا وبالارما مشغولين في توديع القرويين، غير أن الناس الذين أحبوهما لم يكتفوا بذلك، فقد خرجوا رجالاً ونساءً وأطفالاً ليودعوا كريشنا وجلبوا معهم بعضاً من أبقارهم وعجولهم التي كان يحبها كريشنا.

وجلس اكرورا في العربة يراقب القرية أو سكانها من الذين لم يرافقوهم إلى ماثورا وهو قادمون مع كريشنا وهو يتوسطهم، حيث كان من السهولة تمييزه وهو واضع ريشة الطاووس في عمامته، وتميز بالاراما نظراً لطوله المفرط.

وتجمع الأولاد أمام اكرورا الذي باركهم، ومن ثم استدار كريشنا نحو والدته ياشودا التي كانت تقف أمام الحشد وهي تبكي وانحنى كريشنا على رجلي أمه ووضع تراب قدميها على عينيه، فأنهضته ثم احتضنته وكأنه كل حياتها ثم عانقت بالاراما.

وكانت رادا واقفة إلى جوارها مرتدية ملابس الزواج الجديدة، وجهها مغطى بساريها بطريقة تظهر أنها عروس جديدة، وكما تلتمع الشمس من خلال السحاب راحت تتطلع إلى كريشنا بنظرات طويلة، كل نظرة تعبر عن الرغبة واللهفة، وراح كريشنا يبادلها النظرات وابتسامة تعبر عن الوداع كانا هما الإثنان فقد يفهمان مغزاها. وبحضور الكبار لم يكن أمامهما سوى تبادل النظرات.

الوداع ـ الأيدي تتشابك لآخر مرة ـ تربيته على رأس عجل اقترب منه واستدار كريشنا جميع العيون دامعة وشوق في كل قلب حيث الناس ينظرون إليه، وأمسك بيالارما وصعدا إلى العربة. وقرقع اكرورا بكرباجه وانطلقت الخيول التي طال انتظارها، وراح كريشنا وبالارما يردان على تحية الناس، وللحظة وبسبب قلبيهما المرهفين فقد شعر أن ضوء الحياة قد انطفأ. بقيت رادا تنظر للعربة وهي تختفي مسرعة وحينما اختفت في إنعطافة الطريق حاولت الإمساك بيد الأم ثم انطلقت صرخة حسرة لم تسمع من قبل وسقطت مغشياً عليها. حينما شاهد اكرورا هذا الوداع العاطفي تزعزع إيمانه، أيكون هذا الفتى الوسيم ذو الشعر المعقوص وريشة الطاووس والبنية التي لا تقارن هو المنقذ المنتظر، والذي بقي بانتظاره سبعة عشر عاماً؟ كان يسمع من وقت لآخر بمعجزات كريشنا فآمن أن آماله التي عاش من أجلها سوف تتحقق. ولكن أهذا هو الولد الذي سيحققها أم أخوه، الطويل ذو الكتفين العريضتين بالرغم من أن عمره ثمانية عشر عاماً؟ أم أن كل ماسمعه لايزيد عن كونه إشاعات قرويين لقد قيل أن كريشنا كان حبيب الفتيات في فرندافان، الحبيب الذي يعزف على المزمار ويرقص، وأن طريقته في الإصرار على الزواج من خادمة قروية في منتصف الليل أبدت ضعفه إزاء النساء والتي لايجب أن تكون من أخلاقيات المنقذ.

إن جارجا شاريا الذي يتحدث عنه دائماً بإعجاب لابد أن يكون مخطئاً في تقييمه، فكيف يمكن أن تكون له القوة والإرداة على تنفيذ نبوءة نارادا وتحقيق ما وعده به فياسا؟ وكيف يمكن أن يكون إله بذاته؟ فلا شيء من الملامح الآلهية تميزه عدا شبابه.

كان كريشنا يبتسم لاكرورا. حين كان الفتى والعجوز كلاهما سارح بأفكاره وكان كريشنا يبتسم بشفتيه وعينيه بينما كيانه منفعل، ولم يملك اكرورا سوى أن يبتسم.

www.alkottob.com

سأله كريشنا: أيها العم متى يصل الوالد إلى ماثورا؟ قبلنا أم بعدنا؟ أجابه اركرورا، لا بد أنهم سيصلون بعد الظهر وعلينا أن نصل في حوالي الساعة الثامنة فخيولنا قوية.

قال بالارما: إني أحب الخيول حين تخب بسرعة، وكان بالاراما جالساً بشكل غير مريح في العربة بسبب ضخامة جسمه تاركاً ساقيه الطويلتين تتدليان خارجاً،نستطيع أن نصل بشكل أسرع لو قدت الجياد بشكل أفضل ابتسم اكرورا بسخرية وحدث نفسه، ما الفرق بين الأخ الأكبر ضخم الجث والذي يركب العربة لأول مرة في حياته وأخيه الأصغر الواثق من نفسه والذي يتقبل التجربة كما لو أنه اعتاد عليها طوال حياته.

سأله كريشنا: ولكن يا عماه أمن المناسب الوصول قبل الوالد وماذا عن الحفلة؟ أجابه اكرورا لقد جئت معكما لأنكما أردتما ذلك وإلا فإني كنت أحب أن آتي معهم في العربة التي تجرها الثيران وأجلس فوق الحبوب.

لقد كان اكرورا رجلاً طيب القلب والطريقة التي أشار فيها كريشنا إلى ناندا ملكت قلبه.

قال اكرورا: إن ماثورا برمتها بانتظارك بفارغ الصبر وإن فاسوديفا وديفاكي في شوق للقياكما.

قال كريشنا: لقد انتظرا ستة عشر عاماً لذا يمكنهما أن ينتظرا بضع ساعات إضافية، غير أني لا أقبل أن أدخل ماثورا بينما الوالد يدخلها ماشياً على قدميه.

قال اكرورا: يا ولدي إنس فرندافان إنك الآن أمير، إبن الأمير فاسوديفا ضحك كريشنا بخجل وحياء وقال: لا يا عماه إني أحد أبناء فرندافان من الرعاة ولا أريد أن أنس ذلك أبداً.

داخل الشك اكرورا ثانية، أيستطيع هذا الفتى حقاً أن ينهي عبودية آل

يادافا؟ قال كريشنا: دعنا نتوقف قبل دخول المدينة لنأخذ الوالد معنا.

عبس بالارما وقال: كريشنا إنك دائماً هكذا، إنها متعة كبيرة أن تصل المدينة بسرعة فأنا أرغب في رؤيتها، قصورها أسواقها، ورغم أن بالارما أبدى رغبته في الوصول إلى ماثورا قبل أن يصلها الآخرون فإن مسحة الإصرار في وجه كريشنا كانت حاسمة ولم يكن أمام بالارما سوى الإذعان لما يراه أخاه الصغير.

قال اكرورا حسناً كما تشاء ولكنك تعلم ما هو مخبوء لنا فقد دعوت آل يادافا للمضي في شرك كامسا وها أنا أقودك إليه.

سأله بالارما: ولم تركت العم كامسا ينصب هذه الشراك لكم جميعاً؟

قال اكرورا: لقد كنا أغبياء لسنوات وكان كامسا محترفاً، وكان وزيره برالامبا أبعد منا نظرا وكان معظم رجال الأنظاكا معهم وكما تعلم فإن واحداً من أقوى زعمائهم وهو برادبوتا من أتباع كامسا المخلصين.

سأله كريشنا: من الخطأ دوماً جعل الأعداء يزدادون قوة، ما الذي تتوقع أن يحدث اليوم؟

قال اكرورا: اليوم أو غداً فحينما تصل عبادة القوس إلى نهايتها سيحاول أن يقوم بمجزرة ضدنا.

سأله بالارما: ولماذا دعانا إذن؟ ليقتلنا؟

بقي اكرورا صامتاً لبرهة ثم قال: إنه يريد أن يقتل كريشنا أو فهو يخاف إن تركه حياً أن تتحقق النبوءة.

ضحك كريشنا وكانت ضحكة إله يعرف أن مصير الإنسان في يديه. ولأول مرة شاهد اكرورا تلك الثقة بالنفس الثابتة في عيني كريشنا وفيض الإيمان العميق يكتنفه.

قال كريشنا بصوت واثق: سيموت قبل أن يقتلني.

www.alkottob.com

سأله اكرورا: وكيف تعرف؟

قال كريشنا: لقد علمت ذلك من جارجاشاريا الموقر ومن ساندي باني

سأله اكرورا: وهل أخبروك عن حزننا؟ وما عانيناه طوال تلك السنين؟

أجاب كريشنا: لقد أخبروني كل شيء عن شرور العم كامسا.

قال اكرورا: يا ولدي إنك لاتعرف ما عانيناه طوال تلك السنين، وأحياناً أستغرب كيف استطعت أن أبقى على قيد الحياة مع كل تلك المعاناة، إن أوجراسينا الموقر في السجن وعاشت والدتك في جحيم، وأخواتك تم قتلهم أمام عيني لحظة ولادتهم، وقمت أنا بإخفاء بالارما وإخفائك في جوكول لأني آمنت بنبوءة نارادا ووعد الحكيم فيدا فياسا، وتحدرت الدموع من عيني اكرورا.

قال كريشنا: لا تفكر بالماضي يا عماه، وكان في صوته مواساة أبوية إني أعلم كيف حطم العم كامسا قوة وكبرياء آل يادافا الأقوياء، وكيف جردهم من أرضهم، وكيف أبعد العديد منهم خارج ماثورا، وكيف سرق الأطفال من أمهاتهم وكيف اغتصب بنات الزعماء.

قال اكرورا: نعم يا كريشنا، إن القتل والنهب والإغتصاب كانت هوايته لقد جعل نفسه مطلق الصلاحيات دونما مسؤولية، لقد سخر من الإله، وأسكت صوت الكهنة منبع الحكمة وابتعد عن تقاليد أسلافنا الموقرين.

قال كريشنا: إنه عدو الشرائع المقدسة.

لقد سمع اكرورا هذا الفتى ذو الستة عشر عاماً يتحدث عن سلطة العرافين القدماء وراح إيمانه به الذي تزعزع في البداية يكبر ثانية.

سأله اركروا: إذن فأنت تعلم مهمتك في الحياة؟

أجاب كريشنا: نعم.

سأله اكرورا: ومتى علمت بها؟

غالباً ماكنت أشعر بشيء يتحرك في داخلي ولم أعلم ما هو، ولكن في اليوم التالي على إخبارهم لي من أكون وعما فعله العم كامسا، ذهبت ووقفت على أعلى قمة في جبل جوفارظان انظر بزوغ الشمس، وحينما بزغت الشمس وأضاءت بشعاعها الأرض، شعرت...

وأسرع كريشنا وسأل: هل أخبرك؟ ولن تسخر مني؟

قال اكرورا: يا ولدي إني بشوق أن أسمعك تخبرني بماذا شعرت لقد عشت فقد لأسمعك تقولها بشفتيك.

قال كريشنا: شعرت أن الظلم قد انزاح عن الأرض، ورأيت الإنسان يمشي في ظل العدالة، ورأسه مرفوع مثل الإله حراً، شعرت أن العدالة تغطي الجنة والأرض وكل بقعة، ثم سكت.

سأله اكرورا وأنفاسه متقطعة: وماذا بعد؟

قال كريشنا: لم يكن قانوناً، لقد كانت الحياة بذاتها... و...

سأله اكرورا: نعم وماذا؟

قال كريشنا: شعرت... نعم شعرت أن... كأن الجميع قد حلوا في فلم أكن فاسوديفا، ابن فاسوديفا ولكن ف ا س و د ي ف ا الذي هو الجميع.

سأله اكرورا بهمس وتوقير، وماذا بعد؟

ـ عدت بعد ذلك إلى القرية، وشعرت أن ذاتي قد تغيرت، لم يعد الناس ناساً فقط بل حلّوا بي وحللت بهم... لم أستطيع أن أفهم ذلك التغير. لقد كان جارجاشاريا محقاً حينما أخبرني بأن لدي مهمة إقتداء البشرية، ودهشت ثم انتظرت إشارة... إشارة تثبت أن ما شعرت به كان حقيقة، لقد قاتلت ضد الخوف من أندرا الذي استحوذ على شعبي، ومن ثم استلمت الإشارة حينما رفعت جوفارظان عالياً لمسافة ذراعين، وصمت كريشنا.

www.alkottob.com

نظر اكرورا إلى كريشنا برهبة، لقد شاهد الشمس والقمر والنجوم السبع تدور حول هذا الفتى، والذي كان لإيقاع صوته صدى الخلود، لم يشعر من قبل بمثل هذا التواضع أو الضآلة، وانبثاق العبادة الجارفة في قلبه المترهب، شاهد كريشنا يتمجد بهيئة ف ا س و د ي ف ا، إله الآلهة محاطة بإشعاع آلاف الشموس.

شعر اكرورا بالدوار والعمى يصيبه، وراح رأسه للأسفل راغباً في وضعها على قدمي كريشنا، ولكنه شعر وكأنه أوقظ من إغماءة وشعر بيدي كريشنا تمنعه من تقديم الثناء.

ورنّت كلمة ف ا س و د ي ف ا الذي هو الجميع في أذنيه وكأنها آتية من أعماقه، وراح صداها يخبو تدريجياً. وسمع ضحكة الفتى الجالس أمامه الضحكة المحببة والمحترمة والمخلوق المحبوب.

فرك اكرورا عينيه، هل كان في حلم أم في يقظة؟

و ف ا س و د ي ف ا الذي هو الجميع هل سمعها في الحلم؟

قال كريشنا: يا عماه ها هنا مكان ظليل على ضفة يا مونا فهل نتوقف هنا؟ وهل لنا أن نذهب ونستحم.

قال اكرورا: نعم ياكريشنا إن كانت تلك إرادتك وأوقف الخيول فوراً قال بالارما وهو نائم، والآن اذهبا أنتما الإثنان واستحما قليلاً فعلي أن أتهيأ لقتال العم كامسا وجميع رجاله.

قال كريشنا: يا أخي ستحتاج لكل قوتك.

وحينما قفز اكرورا في مياه يامونا كانت لديه رؤية عن ابن أخيه الصغير الذي تحول إلى ف ا س و د ي ف ا.

30 ـ إنذار الإنطاكا

زحف قلق نحو قلب كامسا، من ناحية واحدة، فهو لم يك الأقوى من قبل إلا أن لديه الآن أقوى مملكة، وكان في السابق يخشى جيرانه الملوك، إلا أن والد زوجتيه الآن امبراطور يحكم أراضي واسعة. ولديه في ماثورا ثلاثة آلاف جندي من جاماظان ينفذون رغباته وأوامره فوراً وقبيلة أنظاكا، عدا بعض الزعماء القلة، موالين له يقودهم براديوتا الذي على الرغم من سوء إدارته أثناء غياب كامسا، فإنه لايزال ضابطاً موثوقاً به.

كما أن آل يادافا بالرغم من مزاجيتهم وتململهم فقد كانوا منقسمين وتنقصهم الزعامة، والكهنة كانوا أقوياء جداً أما الآن فقد أسكتهم إما بكرمة أو بقسوته وما تبقى الآن هوسحق روح التحدي لدى آل يا دافا بضربة واحدة سريعة ورغم أن كامسا حلل مع نفسه جميع هذه المقومات مرات ومرات إلا أنه لم يكن مرتاحاً ولم تدخل الطمأنينة قلبه. إذ أن الولد الثامن لديفاكي لايزال حياً، وقد تحقق جانب من نبوءة نارادا (وهو) آت إليه.

وصحيح أن كريشنا لم يكن سوى فتى راع، وأن بطولاته المشهورة كانت أعمالاً اعتيادية لفتى ريفي شجاع تم تضخيمها، غير أن فاسوديفا وديفاكي والعديد من آل يادافا يعتقدون أنه المنقذ المنتظر. كما أن الإشاعات دعمت هذا الإيمان، جارجاشاريا، الكهنة المراوغون، يتحدثون قليلاً ولا يفعلون شيئاً لإعلان مجيء المنقذ، ولكن بشكل عام فإن الناس يعتقدون بأنه يعرف كل شيء عنه. وقد حاول كامسا تطويق تلك

www.alkottob.com

الإشاعات التي تسري بسرعه بين الناس، من ان ابن الراعي فارادا هو الوند الثامن لديفاكي، ولكن بعد هيجانه في اجتماع زعماء آل يادافا، كان من الصعب منع الأخبار من الإنتقال من فم لفم.

وشعر كامسا في بعض الأحيان وكأنه شبكة قد التفت حوله، وحينما يفكر بجميع الأشياء بنفاذ صبر يشعر أن خوفه لاشيء سوى وحي مخيلته، بالرغم من أن الخوف لايمكن كبحه.

هذه الليلة فقد كان قلق كامسا أكثر من ذي قبل. لابد أن اكرورا قد وصل فرندافان الآن، ولابد أن الفتيين قد تهيأ للقدوم معه إلى ماثورا وسيصلان المدينة غداً، يا ترى ما هو شكلهما؟ ولماذا القلق؟ أنهما مجرد فتيين، راح كامسا يفكر، إن الخوف منهما ما هو إلا وحي خياله.

غير أن كامسا لم يكن يستطيع الجلوس، ولم يكن يستطيع التفكير بوضوح، وكان يريد قبل أي شيء أن يتخلص من هذا القلق. وتذكر فارادا، المحظية الشابة التي جلبها معه حينما عاد من الحروب. لقد كانت فعلاً ما يتمناه المرء، جميلة، فاتنة، مرحة، لطيفة، ولكنها تتساءل عن شؤون الدولة، وقد هجرها لعدة أيام. ولكن لو ذهب إليها الآن فربما ترفع من روحه المعنوية فستيعد إليه ثقته بنفسه وسيشعر بعدها بالسعادة وينس الخطر القادم من الفتيان القرويين الذي يرعبه.

أرسل كامسا رسولاً إلى فارادا، التي تعيش في دار منفصلة ضمن أراضي القصر. ثم ما لبث هو نفسه أن تبع الرسول واستقبلته فارادا بفرح وترحيب لقد كانت عيناها ساحرتين تتراقصان مع كل كلمة تقولها. وضحكت وهي تقدم المشروبات للأمير ثم راحت تهوّي بيديها الرقيقتين عليه.

وشعر كامسا بالراحة، فالهواء هنا يتموج مع متع فارادا، فلا وجود للقلق والخوف هنا. بعد ذلك غنت فارادا ورقصت ثم ارتمت مثل غصن

زهرة بين يدي كامسا وابتسمت في وجهه وهي تجلس على ركبتيه وإحدى يديها حول عنقه.

قال لها كامسا: فارادا أنك جميلة.

قالت فارادا: وأنت كذلك، ثم طوقت بيديها عنقه وجذبت نفسها نحوه لتدفن وجهها في صدره، سألته بهمس رقيق، هل أنت سعيد يا أميري؟ فهي كمحظية فنانة كبيرة وتعرف أساليب استعباد الرجال.

أجابها كامسا وهو يتنهد براحة، أوه إني في غاية السعادة حينما أكون معك، ثم قبلها، وأتمنى لو أترك مملكتي وأبقى معك دائماً، قال جملته الأخير بحرارة الحب. ثم همست في أذنه بحب، إذن فهل تجيبيني على سؤال واحد؟

أجابها كامسا وهو يحتضنها إلى صدره: ليس واحد ولكن مائة يا عزيزي.

ثم همست ثانية في أذنيه، أخبرني شيئاً واحداً ولن أقول لأي أحد.

سألها كامسا وهو يرتب على خديها: ما هو؟

سألته: أخبرني يا أميري، وسيدي، هل صحيح أن ابن ديفاكي الثامن سيأتي إلى هنا غداً؟ تصلب كامسا وكأن ثعباناً لدغه، ونظر بعينين واسعتين نحو فارادا مرتعباً وبردت رغبته فجأة. وصرخ بصوت كالرعد، من أخبرك؟

لم تفهم فارادا سبب هذا التغير المفاجئ فارتمت بين ذراعيه وهمهمت برقة، إن القصر برمته يتحدث عن ذلك، وأود ان ألتقيه أنهم يقولون إنه إله.

صرخ كامسا: تردين لقاءه، ونهض عن الكرسي الذي كان جالساً عليه تريدين أن تلتقي بابن ديفاكي الثامن، أيتها الساقطة! واحمرت عيناه

www.alkottob.com

ثم دفع فارادا عنه فسقطت على الأرض، وراح يردد، ساقطة! ثم ترك البيت وهو في أقصى حالات غضبه.

ابن ديفاكي الثامن! نعم، أنه آت الجميع يعتقد بأنه سيقتله، يقتله، وهو كامسا ذو المائة انتصار، حسناً سيرى إذن.

أرسل كامسا بطلب براديوتا، الجنرال، وفريتريغنا أمير ماجاظان، وجاءا حيث وجداه في حالة غضب عنيف لا يستطيع معه السيطرة على نفسه ووجهه مشبع بتعابير القسوة.

قال كامسا، فريتريغنا، براديوتا ما هذا. إن الجميع قد علموا بأن ابن ديفاكي الثامن سيصل غداً قال براديوتا وقد شبك يديه احتراماً، سيدي لو سامحتني فأود أن أذكركم أن عدداً من الزعماء قد سمعوا منكم بان اكرورا قد ذهب ليأتي به فكيف

يمكن إذن الإحتفاظ بذلك سراً قال كامسا: ليس مهماً ما حصل، غير أني أوصيكم بشيء واحد، ذلك أن الصبي يجب ألا يسمح له أن يأتي إلى القصر أو المثول أمامي، يجب التخلص منه قبل ما بعد الغد، وحينما تبدأ الاحتفالات بحضوري يجب ألا يعطي فرصة للحضور حينما يشد القوس ويطلق السهم. فربما يكون رامياً مدهشاً، ذلك ما أريد قوله.

قال براديوتا: كما تشاء يا مولاي.

سأل كامسا: ماذا بك يا براديوتا فإنك لست كالمعتاد.

قال براديوتا: إني على مايرام يا سيدي، ولكن ربما كان ذلك بسبب ضغط العمل، كما إني لم أعد صغيراً، قال جملته الأخيرة وهو يرسم شبح ابتسامة على شفتيه قال كامسا: ضع جاسوساً على كل زعيم يا براد يوتا وتأكد من أن أخوتك مخلصين، وأنت يافريتريغنا دع رجالك يراقبون تحركات كل زعيم منهم جميعاً غير موالين لنا وهم يتمنون أن يرونني ميتاً

ومن ثم أضاف بصوت مستثار، غير أن باق بالرغم منهم.

وجاء الحاجب ليعلن وصول باهوكا انظاكا العجوز ذي التسعين عاماً وعم براد يوتا لقد جاء ليلتقي كامسا بشأن موضوع عاجل. وشحب وجه كامسا وحدث نفسه، ماذا يريد هذا العجوز وفي هذه الساعة؟ غير أن العجوز كان واحد من أكبر زعماء قبيلته وشديد الإحترام ولا يمكن تجاهله وعدم مقابلته وبصعوبة بالغة سيطر الأمير على نفسه ونزل عن عرشه وجاء ليرحب بالزعيم العجوز.

بقي العجوز جامداً مثل عصا ودخل رافعاً كتفيه.

قال كامسا: عماه لماذا أزعجت نفسك بالقدوم في هذا الوقت من الليل؟ سأله زعيم الأنظاكا، من هؤلاء؟ ثم وضع يده فوق عينيه وركّز بصره وقال أوه براديوتا والأمير فريتريفنا.

قال كامسا: تفضل أجلس أرجوك، جلس الزعيم أمام الأمير.

سأله كامسا: أوامرك يا عماه؟ محاولاً أن يكون مؤدباً قدر الإمكان قال الزعيم: لقد جئت لأقدم لك آخر نصيحة من أكبر آل يادافا، إن واجبي يحتم عليّ ذلك.

قال كامسا: نعم يا عمي.

قال الزعيم: لقد ذهب اكرورا لجلب ولدي فاسوديفا وسيصلون غداً صباحاً.

- نعم

- وأنا أعرفك جيداً منذ ولادتك، إنك تريد التخلص منهما.

- ولم أتخلص منهما، ما الذي فعلاه لي أنهما مجرد ولدين؟

- لاتقل لي أنك لست خائفاً من تحقق نبوءة نارادا، بل إنك خائف ولا تحاول خداعي، غير إني أريدك أن تدحض النبوءة.

www.alkottob.com

ـ إني لا أؤمن بذلك الهراء، ولكن كيف يمكن للنبوءة إن كانت حقيقة أن تدحض؟

ـ التوبة هي الموت وعودة الحياة للإنسان، فلو تبت الآن عما فعلته في الماضي فستولد من جديد وستتحقق النبوءة.

ـ وكيف لي أن أكون واثقاً من ذلك؟ لقد رأيت أناساً تابوا وقتلوا بالرغم من توبتهم.

ـ ربما لم تكن توبة نصوحاً، فإن لم يكن ابن فاسوديفا إلهاً حسب النبوءة فإن التوبة ستجلب لك حب الناس، وإن كان إلهاً كما يعتقد البعض فإن بركته ستجعلك أكثر سعادة وأكثرة قوة من ذي قبل.

ـ وكيف لي أن أتوب يا عماه؟ قالها كامسا بسخرية.

ـ أرى أنك لا تؤمن بما أقول، ولكني هنا لأريك الطريقة الصحيحة لذلك وعلي أن أفعل ذلك بقسوة. لقد اضطهدت فاسوديفا وديفاكي، وجعلت من آل يادافا عبيداً تقريباً، وقمت بنفي الكهنة من ماثورا، إن ماثورا الآن لاشيء سوى جحيم.

ـ نعم وماذا بعد؟

رفع العجوز صوته وكانت عيناه مشعتين بنار جديدة، وصوته قوياً مليئاً بالإيمان وقال: أيها الأمير بصفتي أكبر آل يادافا سناً فإني أطلب منك أن تعيد إلينا حريتنا وأراضينا التي صادرتها، دع فاسوديفا وديفاكي يعيشان مع أولادهما دون خوف، ودع آل يادافا الذين تركوا ماثورا أن يعودوا مكرمين، ودع الكهنة يعودون لديانة الفيدا كما في السابق وتخلص من هؤلاء الأغراب الذين جعلتهم أدوات لإرهابك وأطلق سراح أبيك ودعه يحكم كما كان في الماضي وانت إلى جانبه وفوق كل ذلك دع شعبك حراً متخلصاً من الخوف.

ـ آنت تريدني ان اطهر نفسي بهذه التوبة اليس كذلك؟ اتطنني اتستر بذاته وتريدني أن أتطهر؟ وماذا بعد؟

ـ وبعد؟ فإن الإله سيباركك حيث تكون قد أنقذت نفسك وأنقذت آل يادافا وماثورا، ومن ثم فإن كريشنا إن كان إلهاً فسيعطيك ما تريد، هل أنت جاهز لذلك؟

ـ أعطني فرصة يا عماه لأفكر بما قلت، إذ لا أستطيع أن أعدك بشيء حالاً بالرغم من أني أرى نصيحتك ذات معنى، دعني أفكر، قالها كامسا بسخرية.

ـ إني أعلم يا ولدي بأنك تظنني عجوزاً خرفاً.

إزاء ذلك راح كامسا يضحك وسخر من العجوز، رفع العجوز رأسه بكبرياء وعيناه راحتا تلتهبان مثل الجمر وأختفت منهما ملامح العجز وقال: أعلم أن من الصعوبة عليك أن تأخذ نصيحتي على محمل الجد، غير أني أمنحك إنذاراً أخيراً، وتوقف العجوز برهة عن الكلام وراحت عيناه تلتمعان بقوة، لقد كنت سوطاً لتعذيب آل يادافا، وتريد أن تدمر منقذهم، إصغ يا كامسا إن كريشنا لن يموت مادام هناك فرد حي من آل يادافا إنه أملهم الأخير، وهذه هي فرصتك الأخيرة أيضاً إن كان لك لب لتعقل.

ـ لاتحاول أن تخيفي يا عماه، فإني سأفعل ما أراه مناسباً.

ـ إن غضب الإله شنكر سينزل عليك إن لم تغير طريقتك.

ـ إني لا أخاف من الإله.

ـ يا ويلتاه للإنسان المتكبر الذي لا يخشى الإله، ويا ويلتاه للناس الذين يحكمهم مثل هؤلاء الحكام.

قال كامسا وهو يبتسم: انتظر يا عماه، ثم استدار نحو فريتريغنا وهمس شيئاً في أذنه وهز الأمير رأسه وترك الغرفة.

www.alkottob.com

ـ إنك محق يا عماه، قالها كامسا بسخرية، ولم أؤذي كريشنا، اليس كذلك يا براديوتا.

قال براد يوتا بتهجم: كما تشاء يا مولاي، وقد فهم تماماً إشارة سيده وابتسامته.

قال الزعيم: سأرى إن كنت ستحفظ عهدك يا ولدي، ثم خرج من الغرفة وكان براد يوتا على وشك أن يترك الغرفة مع العجوز حينما طلب منه كامسا أن يبقى.

قال كامسا: تذكر يا براد يوتا عهودي جيداً، لن أؤذي كريشنا غير أن ذلك لايعني عدم تطبيق أوامري والتي منها عدم السماح له بالحضور إليّ، قال كامسا وهو يضحك ضحكة شريرة.

انحنى براد يوتا للأمير وخرج من الغرفة، وحينما كان يمشي عبر الممر شاهد آثار صراع، وسيفاً مرمياً على الأرض وشالاً مضمخاً بالدماء مرمياً في الركن وتابع صوت وقع الأقدام حتى الممر المظلم حيث استطاع أن يرى محارين من ماجاظان يحملان جثتين ومنعاً من أن يسقط على الأرض رعباً أغمض براد يوتا عينيه واستند إلى عمود وتمالك نفسه ثم عض على شفته حتى أدماها ومضى.

32 ـ تريفاكرا الحدباء

كانت تريفاكرا واحدة من المقيمات في قصر كامسا، وكانت أعمالها الإشراف على العطور التي سيحتاجها الأمير وعائلته يومياً. وكان لديها عدد كبير من الموظفين الذين يعنون بزراعة الأعشاب ويشرفون على أنواع الدهون وتشرف على أعمالهم. ومن خلال العطور اكتشف الكثير من الأسرار لبعض الأدوية. وقد كانت أمها تمارس نفس العمل حينما كانت على قيد الحياة، وقبل أن تتوفى أخذت عهداً من الجنرال براد يوتا والذي كان آنذاك السلطة العليا في القصر في أن تخلفها في هذه الوظيفة.

وحينما كانت تريفاكرا في الثانية عشرة من عمرها أصابها مرض كاد أن يؤدي بحياتها وحينما تانقت أصبحت مفاصلها متشابكة وأصبحت معوقة، ذات حدبة.

وقبل مرضها كانت قد تزوجت من أنجاراكا إبن الفيّال الملكي، وهو كأي ضابط كان يتمتع بموقع هام في القصر. ولكن وبعد تعافيها صدم لرؤيتها ولم يعد يتقلبها. ونظراً لأن الحياة إنما تقبل على النساء الشابات الجميلات، الذكيات، فقد أصيبت تريفاكرا بالإحباط والغضب والحقد على العالم وعلى الآلهة، غير أنها كانت ذات طبيعة محببة لذا سرعان ما تماسكت مرة أخرى. وكانت تريفاكرا كثيرة الحركة طوال النهار تسحب أرجلها المعوجة من غرفة ملكية لأخرى وهي تمزح وتسخر وبيديها صندوق العطور الفضي، والجميع يضحك ويسخر منها ـ وأحياناً بعدوانية ـ ومن شكلها، والبعض يسخر منها بالقول، ويتبعها

www.alkottob.com

الأطفال وهم يسخرون ويتصايحون من حولها، وكل ذلك تتقبله برحابة صدر.

وكان اسمها عند الولادة ماليني، ولكن بعد مرضها راح الجميع يسمونها تريفاكرا الحدباء وقد تقبلت ذلك الإسم، وهي تسخر من إعاقتها وتشارك الآخرين في الضحك منها، وأحياناً تتحدث عن نفسها بسخرية أكثر مما يفعل الآخرون لذا كان الجميع يحبونها. لقد كانت جالبة الحظ للنساء في قصر كامسا. وحتى كامسا الذي كان نادراً ما يضحك أو يستمتع بالمزاح كان يستمتع وهو يرى تريفاكرا تسخرا من نفسها.

وخلف هذا المظهر المرح كان هناك سر لا يعرفه غيرها، فهي تعلم إنه لولا إلتواء عنقها لكان لها وجه جميل. ولولا حدبتها لكان لها جسد رائع، ولولا تيبس ركبتها لكان بإمكانها المشي بشكل اعتيادي، وفي أعماق أعماقها كانت تعلم أنها أكثر جمالاً من الأميرات، وذلك هو سرها ولم تكن أحد أن يشاركها فيه.

ولم تشأ أن تهتز قناعتها تلك، لذا فحينما يصدف أن تمر بمرآة فإنها سرعان ما تغلق عينيها حيث أن إيمانها بجمالها يجب أن لا يتزعزع. وحينما تخلو إلى نفسها في الليل تبقى صاحية في فراشها لفترة طويلة تحلم بجمالها. بعد ذلك تصلي لإلها الحامي له الإله شنكر، الذي كان دائماً كريماً، مع أولئك الذين يصلون له بإخلاص، في أن يجعل الآخرين ينظرون إليها كما كانت متكاملة الهيئة جميلة.

ولسنوات وسنوات، وليلة بعد ليلة، بقيت تريفاكرا تصلي ووصلت إلى قناعة إن الإله العظيم الذي حجب عن الآخرين ميزة أن يروها كما كانت عليه سوف يمنحهم تلك القدرة في يوم ما.

وقد سمعت منذ ثلاثة أيام بإشاعة مفادها أن ابن ديفاكي الثامن، المنقذ الموعود لا يزال حياً وقد جعلتها تلك الإشاعة تمتلئ بالأمل، فربما يأتي

المنقذ يوماً إلى ماثورا ويجعل الآخرون يرون كم كانت جميلة. ومع ولادة هذا الأمل الجديد ازدادت صلاتها قوة جديدة، حيث راحت تردد، يا إله الآلهة، أرسل ابن ديفاكي سريعاً إلى ماثورا، فسيجعل هؤلاء العمي يرونني كما أنا على حقيقتي وليس كإمرأة حدباء. ومن ثم تغرق في البكاء بعد ذلك سمعت الأخبار من الأميرات أن ابن ناندا قادم إلى ماثورا! وقد صعقت حينما وجدت الأميرات فرحات بقدومه. لأنهن كن متأكدات من أن الأمير كامسا سيعفو عنه، لذا كانت تنتقل بفرج وهي تعلم أن منقذها آت.

وقد انتشرت في ماثورا أخبار القدوم المتوقع لكريشنا بفرح بين الجميع وقد شعر الرجال الموالون لكامسا بحتمية تدمير هذا العدو قريباً وأن الكابوس الذي خيم على حياتهم سيزاح، من ناحية أخرى فإن آل يادافا والناس بشكل عام والذين كانوا يرهبون كامسا والذين سمعوا عن كريشنا ومعجزاته كانوا ينتظرونه بفرح غامر وبنفاذ صبر.

ومنذ أن سمعت أن ابن ناندا قادم إلى ماثورا، أبقت تريفاكرا أذنيها مفتوحتين لكل خبر عنه. وكان القصر يموج بالإشاعات الغريبة، ابن ناندا هو ابن ديفاكي الثامن، الذي قتل الشياطين وتحدى الإله أندرا ورفع جبل جوفارظان بخنصره، والكثيرون يقولون ذلك واستناداً إلى نبوؤة نارادا فسيقتل كامسا، وفكرت تريفاكرا، لو كان كل ذلك صحيحاً فإن ابن ناندا إله كما حلمت هي دائماً به.

لذا لم تستطع تريفاكرا أن تنام ثلاثة أيام، وكانت خطواتها مرحة وضحكاتها مجلجلة وفي كل لحظة كانت تحلم بالإله القادم ليستجيب لصلواتها نعم إنه قادم، ذلك الذي انتظرته.

وفي إحدى الليالي سمعت تريفاكرا أن ابني ناندا الإثنين قد وصلا إلى ماثورا وبقيا عند اكرورا زعيم آل فرشني. وفي تلك الليلة حدثت أشياء

www.alkottob.com

غريبة في القصر، فقد كان الناس يأتون ويذهبون، اكرورا، براديوتا، فريتريغنا، وآغا، ورجال كامسا المقربون كل منهم يأتي للتحادث مع كامسا بسرية. وكان لها ما تحبه ومالا تحبه، وكانت تحب براديوتا ولكنها كانت تكره اكرورا الذي رفض عطورها، وكانت تكره أمير ماجاظان لأنه كان دائم الخصام معها حول العطور وإدعائه بأنها غير أصلية رغم أنه لم يكن يعلم الفرق بين عطر وآخر.

وعلمت في تلك الليلة أن الأسلحة قد تم توزيعها على بعض الناس في المدينة، وكانت الأميرات أيضاً قلقات، كان الجو متوتراً حيث يقيم زعماء آل يادافا وقد سرت إشاعة بأن باهوكا العجوز زعيم أنظاكا وولده قد اختفيا - وربما قتلا - وقد سمعت الإشاعة في جميع أرجاء القصر وقد ربطت جميع هذه الأحداث بقدوم ابن ناندا.

في صباح اليوم التالي أفاقت تريفاكرا مبكرة وقدمت العطور إلى كامسا وملكاته وتركت بقية الأمور لتقود بها مساعداتها وتركت القصر حاملة صندوقها الفضي المتلامع في طريقها إلى مسكن اكرورا.

وفي الطريق التقت بجموع تتحرك نحوالأسواق. وكان شباب آل يادافا بأعداد كبيرة يحثون الخطى أكثر من الآخرين، الذين لم يكونوا ليضيعوا الفرصة للسخرية منها، أهملوها ولم يتحدثوا معها واستمروا في مشيهم فازداد فضولها وانضمت إليهم.

ووجدت حشداً كبيراً يقف أمام دكان صباغ الأقمشة، وكان شخصاً مفضلاً في القصر حيث أن واجبه هو مراقبة صبغ ملابس كامسا، وراحت تريفاكرا تشق لنفسها طريقاً بين الحشد برغم أن الناس الذين أزاحتهم كانوا يسمعونها كلمات جارحة غير أنها لم تهتم. وحينما كانت قريبة من المحل سمعت مشادة كلامية بين الصباغ وولدين واللذين كانا يريدان استعارة بعض الملابس المصبوغة. وراح الصباغ يتعامل بقسوة قائلاً: أيهما

القرويان الغبيان، ورفع يده في محاولة لضرب الولد الأصغر والذي كان ذا بشرة داكنة مزرقة، غير أن الولد تنحى جانباً ليتحاشى الضربة وضرب الصباغ ضربة لم يتوقعها وكانت ضربة قوية وسقط أثرها الصباغ أرضاً مغمى عليه.

وتجمع الناس ليستمتعوا بهزيمة الصباغ وراح بعض الشباب يكيلون له الضرب وهو على الأرض فاقد الوعي، وانضمت تريفاكرا إليهم في لعن وشتم الصباغ قائلة: لقد كان خطأ من هذا الرجل الكبير أن يبدأ العراك مع هذين الولدين.

ودخل الولدان بهدوء إلى الدكان واختارا الملابس التي يريدانها أمام فرح الحشد المتجمع.

سألت تريفاكرا الشخص الواقف جوارها: من هذين الفتيان؟

أجابها الشخص: ألا تعريفيهما؟ إنهما ولدا ناندا زعيم الرعاة في فرندافان خفق قلب تريفاكرا فرحاً، سألته: ولماذا أساء إليهم الصباغ؟

أجاب آخر: أراد الولدان من الصباغ أن يعطيهما ملابس جميلة ليرتدياها فقد قالا أنهما مدعوان لإحتفال يقيمه كامسا ولايستطيعان الذهاب ما لم يرتديا ملابس لائقة علقت تريفاكرا قائلة: إنهما ولدان لطيفان.

قال الأول: ما أجملهما! أية كرامة يتحلى بها الرعاة!

قال آخر: أوه لقد كانت ضربة قوية دقيقة أسقطت ذلك التابع، إنه كان يظن نفسه دائماً أنه كامسا نفسه.

قال تريفاكرا: ولكن الأمير سيغضب جداً.

قال أحد الواقفين: إن الولدين شجاعان جداً ولا يهتمان بمن سيغضب.

خرج الولدان من دكان الصباغ يرتديان ملابس ويشبهان الآلهة، كان

www.alkottob.com

الكبير مرتدياً ملابس زرقاء أما الأصغر ذو الشعر المعقوص فقد كان مرتدياً ملابس صفراء. وكانا يرتديان أيضاً شالات وأغطية للرأس مشابهة في ألوانها ألوان ملابسهما. وكان الولد الأصغر شديد الإهتمام بملابسه حيث أخذ ريشة الطاووس من عمامته السابقة وثبتها في عمامته الذهبية التي كان يرتديها الآن. وحينما خرج الولدان من الدكان حياهما الناس، وجاء بائع الزهور الذي كان دكانه مقابل دكان الصباغ حاملاً باقة من الزهور وقدمها إليهما. فقبلها الولدان بود وربت الولد الأصغر على ظهر بائع الزهور.

وأعجبت تريفاكرا بالولد الأصغر وبطريقته في النظر إلى الناس الواقفين حيث كان ينظر إليهم بود. وافترت شفتاه عن ابتسامة شعرت أنها موجهة إليها وحدها. ودفعت واحداً واثنين و أصبحت في مقدمة الحشد وخفق قلبها قلقاً، فهل سيتحقق الأمل الذي انتظرته طويلاً؟

ـ يا ابن ناندا، كريشنا، لقد جئت إليك يا إلهي، لقد كنت بانتظارك أوه منذ فترة طويلة، قالت ذلك وتهدج صوتها.

وراح الناس يضحكون وهم يرون محاولات المرأة الخرقاء للوقوف أمام كريشنا سألها كريشنا: أنت كنت بانتظارنا؟ ما ألطف ذلك! وكيف عرفت بأننا قادمان؟

ـ أعرف بأنكما قادمان، يا إلهي، أوه ليلة وراء ليلة لسنوات وسنوات وقد جلبت لك العطور والدهون.

ـ سألها كريشنا: من أنت يا أختاه؟

ـ إني تريفاكرا، إني مسؤولة عن العطور والدهور في القصر، غير أن أفضل ما لدي منها هو لك وحدك يا إلهي.

خفق قلب تريفاكرا وهي تشاهد الإبتسامة على تلك الشفتين الجميلتين

نعم أن الإبتسامة لها، إنها ابتسامة الأمل والوعد، أنه الحبيب الذي كانت تحلم به.

وأخذ العطور وراحت ترشها على يدي وخدي كريشنا، ومسحت بدهن العود جبهته ومن ثم مسحت على جبهة بالارما أيضاً الذي استمتع بالرائحة غير المألوفة لديه وراح يتشمم بمتعة صبيانيه.

بعد ذلك ارتمت على قدمي كريشنا ودفنت رأسها في رجليه وراحت تبكي بمرارة قائلة: يا إلهي، يا إلهي، إني قبيحة جداً، ذلك كان ما تمتمت به، حيث انفجرت آمالها في نشيجها العميق.

قال كريشنا بصوت حنون: أنت لست قبيحة، ثم انحنى ورفع تريفاكرا من على الأرض قائلاً: يا أختي من قال أنك لست جميلة؟ إنك جميلة؟ وتكلم بقدرة.

نهضت تريفاكرا من على الأرض، وحاولت أن تقف بالطريقة التي اعتادت عليها، غير أنها شعرت أن هناك شيئاً غريباً، طاقة مفاجئة، حاولت أن تقف واستطاعت وضمت أرجلها سوية وكانتا مستقيمتين، ومدت قامتها لأقصاها ووقفت منتصبة، وبشعور يشبه الصدمة أدركت ما الذي حصل لها ونسيت ما يتوجب على المرأة أن تراعيه في سلوكها فقفزت فرحاً. وكان الناس الذين تجمعوا لينظروا إليها قد أصابتهم الدهشة.

ـ يا إلهي.. ياإلهي لقد أزلت عاهتي، قالت ذلك وارتمت على رجلي كريشنا مغطية رجليه بشعرها الطويل بعرفان لا ينطق به لأنه أقدس من أن يذكر.

www.alkottob.com

33 ـ القوس المقدسة

بينما كان الناس مجتمعين أمام دكان صباغ الملابس وهم ذاهلون لمعجزة شفاء تريفاكرا، كانت النداءات والصياح تسمع من نهاية الحشد وسمع وقع حوافر الحصان وقرقعة كرباج. وكان فارس يتمطى حصاناً يحاول اختراق الحشد وهو يقرقع بكرباجه على ظهر من يأتي أمامه أن يدفع الناس دفعاً.

ورغم أن بالارما كان بطبيعته بطيئاً في الحركة وبطيئاً في الحديث غير أنه حين يغضب فإنه يتبع غضبه ويستسلم له. وتقدم ليصبح بمواجهة الفارس وأمسك بلجام الحصان محاولاً أن يوقف اندفاعه، وبغضب ساط الفارس بالارما، ولكنه وقبل أن يستطيع رفع سوطه ثانية جذبه منه بالارما وأسقط الفارس أرضاً، و راح الحشد الذي لم يعتد على رؤية من يقاوم أصحاب السلطة يهلل ويحيي بالارما بحماس. ولم يكتف بالارما بإيقاف الحصان وإنما راح يدفعه إلى الخلف وحاول الحصان ان يتخلص منه دون جدوى، وخطوة فخطوة دفعه بالارما نحو عربة تجرها الثيران كانت تتبعه.

وذعرت الثيران بالحصان المتراجع نحوها وبصياح الحشد واستدارت بقوة حيث انقلبت العربة التي تجرها. وصرخت النسوة اللواتي كن جالسات في العربة ـ واحدة منهن كانت في حوالي الخامسة والعشرين جميلة الطلعة والأخرى في حوالي السادسة عشرة ـ ونهض الفارس الملكي عن الأرض وصاح بفارسين كانا يتبعان العربة للتقدم نحوه. غير أنهما لم

يستطيعا القدوم بسبب العربة المستعرضة في الشارع، واستدار ليتابع بالارما غير أن كريشنا أمسكه من عنقه.

استدار الفارس نحوه قائلاً أيها الغبي ألا تعلم من أنا؟ إني روكمي أمير فيداريا وضيف سيدك الأمير كامسا.

أجابه كريشنا: هاقد قلت ذلك، إني أعلم من تكون، من الأفضل لك أن تعود لنسائك وتكف عن مضايقة الناس.

وصرخ روكمي، أيها الوغد !وحاول تجريد سيفه ولكن قبل أن يتمكن من ذلك لوى كريشنا يده بمهارة وأفقد الأمير توازنه، ومن ثم دفعه نحو العربة قبل أن يبدي أية مقاومة ورماه فيها كما لو أنه كيس ذرة.

وراحت المرأتان تصرخان على كريشنا بعصبية و قالت المرأة الجميلة، دعنا نذهب يا أخي، ثم إلى كريشنا أيها الشرير.

ابتسم كريشنا ابتسامته المتميزة التي تؤسر القلوب وقال:هل هذا هو أخوك؟

إنك كأميرة عليك أن تعلميه أخلاق الأمراء.

صرخت الفتاة، آه ما الذي فعلته بأخي؟

التمعت عينا كريشنا بعلامات الفرح وقال: لاتخشي يا سيدتي، لم يفقد أخاك شيئاً عدا غروره، وإني واثق من أنه سيتصرف بشكل أضاف من الآن فصاعداً وحتى معك، وضحك وأضاف فلم تكن هناك أية مقاومة، ورغم دموعها لم تستطع أميرة فيداريا أن تمنع نفسها عن الإبتسام.

بعد ذلك مشى كريشنا نحو الثيران الخائفة التي كانت تحاول أن تجد مخرجاً ازاء صياح الحشد وتقدم منها وكلمها برقة، وبضع ربتات وبعض الكلمات هدأت الثيران. ومع مداعبته للغود الثيران نسيت الحيوانات

www.alkottob.com

خوفها، وبعد برهة أعادهما إلى حيث كانا يقفان وأصبحت العربة جاهزة للحركة. وربت كريشنا تربيتة الحركة وراحت الثيران تتشممه وكأنها وجدت فيه رفيقاً فقدته منذ فترة. بعد ذلك رمى العنان في حضن السائق وقال له، اعتن بالثورين جيداً فهما ثوران جيدان وابتسم بمرح للفتاة، وتحركت العربة تتبع روكمي وهو على حصانه جالس بأدب بقى الحشد الذي تجمع حول الأخوين يتطلع إليهما بإعجاب شديد ممزوج باحترام. فقد شفيت الحدباء ودفع الحصان إلى الخلف وكأنه لعبة، فقد أسقط أحد رجال كامسا من على حصانه وقذف به مثل الكيس وتمت تهدئة الثيران الهائجة بربتة.

راحت تريفاكرا تمشي معتدلة القوام فقد تحقق حلم حياتها، وكانت فرحة جداً ولم تستطع أن تتمالك نفسها فراحت تحدث الناس الذين بجوارها قائلة: إنه ابن ديفاكي الثامن، وكما تنبأ نادارا فقد عاد.

رد كريشنا وبالارما على تحية الجمهور ومشيا. وتبعهم جزء من الحشد وعلى رأسهم تريفاكرا وكانت الطرقات التي مروا بها تعج بالنبلاء والعامة الذين جاءوا من أماكن بعيدة للمشاركة في الاحتفالات ولم يكونوا يبالون بالصراعات التي كانت تتنامي. ولم يكن شيء يسعد تريفاكرا أكثر من أن تمشي مع الفتيان الوسيمين مع كريشنا التي كانت تنظر إليه كإله محبوب. وتريهم المعالم المشهورة في المدينة الثرية.

وتناقلت أنباء ما حدث لصباغ الأقمشة ولروكمي ووصلت للسلطات، وجاء الجنرال براديوتا مع ثلة من الحرس إلى الموقع الذي حدثت فيه الوقائع وبعد الإستفسارات لحقوا بكريشنا وبالارما اللذين كانا يتمشيان في المدينة باستمتاع وحالما شاهداهما، ترجل الجنرال عن حصانه وتقدم نحو الولدين.

ـ أنتما ولدا نادا أليس كذلك؟ المدعوان من قبل سيدي؟ لقد كنت

أحاول أن أجدكما منذ الصباح، إني آسف لأني لم ألتقيكما مبكراً لم يستطع براديوتا أن يمنع إعجابه بالولدين وسرعان ما وقع تحت تأثير سحر الأصغر.

سأله براديوتا: من أنت؟

أجاب براديوتا: أوه إني براديوتا زعيم انظاكا واني جنرال كامسا قال بالارما: لقد جمعتم العديد من ذوي عدم الأخلاق في المدينة فبمجرد أن جئنا إلى المدينة أراد أحدهم الإعتداء على كريشنا وحاول الآخر سوطي، وأشار بالارما إلى الآثار التي تركها سوط روكمي عليه وأضاف ضاحكاً بصخب، يبدو أنكم مضيافون جداً.

أما كريشنا فشبك يديه قائلاً: نحن سعداء جداً للقائك يا زعيم أنطاكا لقد سمعنا بك كثيراً، وكانت الطريقة التي تحدث بها تجمع بين الإحترام والكرامة ثم أضاف، إنك محارب عظيم.

قاطعته تريفاكرا قائلة: أيها العم براديوتا إن صباغ الأقمشة كان وقحاً جداً مع ولدي ناندا كما أن أمير فيداريا ضرب بالارما بالسوط.

استدار براديوتا نحو المرأة الجميلة الواقفة إلى جواره واتسعت حدقتاه دهشة وسألها: من أنت أيتها السيدة؟

سألته تريفاكرا بضحكة رنانة،هل نسيتني بسرعة يا عماه؟ لقد أعطيتك العطور والدهون هذا الصباح فقط، لقد أصبحت تنسى بسرعة، كلمته بطريقة مألوفة جداً.

لم يصدق براديوتا عينيه فصرخ، تريفاكرا، ما الذي حدث لك؟ أين ذهبت حدبتك؟ إنك الأن جميلة، كان براديوتا في أشد حالات الإستغراب فلم يستطع أن يتخيل أن الحدباء التي أعطته اعطور والدهون هذا الصباح تتحول إلى مخلوق آخر.

www.alkottob.com

قالت ويداها متشابكتان. كل ذلك بفضل إلهي.. ثم انحنت لكريشنا نظر براديوتا إلى كريشنا نظرة أخرى، هاهو ابن ديفاكي الثامن والذي هو مكلف بقتله.

فلو أنه فعلاً أزال حدبة ترايفاكرا فهو إله وإن نبوءة نارادا ستتحقق، شرد ذهنه إلى منظر الرواق المظلم الذي شهده الليلة الماضية، وشعر بالمرارة في قلبه لما رآه وللمهمة التي أوكلت إليه.

فقال براديوتا: أود أن أريكما مدينتنا فهل ترغبان بذلك.

قال كريشنا: نعم كل ما فيها

قال بالارما: ما نود أن نشاهد القوس الكبيرة، فقد سمعنا الكثير عنها.

قال براديوتا: تعالا معي فسآخذكما إلى المعبد حيث وضعت هناك للعبادة.

ومضى الجميع إلى المعبد، وكانت تريفاكرا تتحدث بسعادة عن المعالم التي مروا بها بطريقهم وحينما إقتربوا من المعبد استدار براديوتا نحو الولدين قائلاً: هل سبق لأي منكما أن استخدم قوساً كبيرة؟

ـ نعم قمنا بذلك ولكن ليس من الأنواع التي لديكم، فنحن نختار عصي الخيران أو الخشب نصنع منها أقواساً ونرمي بها الحيوانات المتوحشة.

وعلى ضفاف نهر يامونا وبجانب الحصن الداخلي في الوسط كان هناك معبد ضخم قد تم بناؤه، وكان هناك عدد من الناس من الذين وصلوا منذ ثلاثة أيام في زيارة القوس الممسوحة بالزيت. وفي وسط المعبد أقيمت دكة حيث وضعت القوس المقدسة، وعلى الجوانب الثلاثة جلس الكهنة يتعبدون ويمارسون الطقوس العبادية.

وكان هناك العديد من الضيوف حولهم وهم يبدون إعجابهم بقوة

القوس والبعض منهم من المشاركين في الرماية وكانوا يحاولون أن يكتشفوا هذه القوس حيث أنه استناداً لتعليمات السباق فإن من يرمي السهم بهذه القوس لمسافة أبعد في اليوم الأخير للسباق يتوج بطلاً للاحتفال ويكافأ ذلك الأساس.

وحينما اقتربوا من المكان حيث القوس موضوعة، همس براديوتا بشيء في أذن تريفاكرا التي نظرت إلى كريشنا ذات معنى، وشعر كريشنا فوراً بأنه معني بما قيل، وسواء رمى أي رجل بسهم من هذه القوس أومن غيرها فإن اليوم التالي ليس له من معنى، سوى أنه رمز لقوة كامسا الذي بسببه يعيش شعبه في خوف، لذا يجب استئصاله، وإن سحر ذلك الرمز يجب أن يتحطم، كل ذلك دار في ذهنه وهو يتطلع بالقوس وشعر برعشة تجتاحه.

لقد سمع ترايفاكرا تخبه، ياإلهي لم لاتحاول أن ترفع القوس الآن؟ إنها أعجوبة صنعتها خبرة العم براديوتا.

سأل كريشنا نفسه: هل هناك أية اشارة فيما قالته تريفاكرا، وسواء كان هناك أم لا فإن هذا الرمز يجب يتحطم إن كانت له مهمة يجب أن يؤديها.

قررثم استدر نحو براديوتا وقال: إني لست رامي سهام إذ أني مجرد راع لكني أرغب أن أرمي سهماً في اليوم الأخير، هل لي برفع القوس الآن لأرى وزنها؟

قال براديوتا وهو يتبادل النظرات مع تريفاكرا: نعم لك ذلك يا ابن ناندا ولكنك لن تقدر على حملها، إذ أن الرماة المحترفين لا يقدرون.

ولمعت فكرة في ذهن براديوتا، أهو حقاً المنقذ؟ أم أنه سيخذل شعبه؟

قال برايوتا: جرّب هيا حاول.

www.alkottob.com

نظر كريشنا نحو القوس لبعض الوقت بدقة وقدر وزنها، وبدا البعض متشككاً والآخر ساخراً، ومن ثم انحنى ورفعها بقوة وذهل الذين تجمعوا حوله لرؤيته.

سأل كريشنا: أهذه هي القوس التي يتوجب علينا استعمالها يوم غد؟

قال براديوتا وصوته مليء باحترام جديد، نعم

سأله كريشنا ببراءة: أمن الصعب استعمالها؟

تفحص كريشنا القوس بدقة ليرى إن كان فيها أي شيء متميز ولاحظ أن فيها مفصلاً، آه إنها العلامة وإن مهمته يجب أن تنجز إذن.

وأمام رعب الحضور وبدلاً من أن يضع القوس في مكانها، وضع كريشنا رجله في إحدى نهايات القوس وطوى النهاية الأخرى بقوة مركزاً كل قوته تحطمت القوس وتكسرت ورمى كريشنا القطع المكسرة وهو يضحك.

كان عملاً لم يسمع به من قبل ـ إهانة لكامسا ـ تدنيساً للمقدسات! بعد ذلك فإن أولئك الذين شاهدوا الأخوين الماشيين بقوا واقفين صامتين برهبة، أما براديوتا فقد امتلأ قلبه بتوبة عميقة وسعادة غامرة.

34 ـ سيد الأفيال

أبلغ براديوكا كامسا بما فعله كريشنا في تدنيسه للمقدسات، ورغم أن الفرحة في قلبه غير أن وجهه كان جامداً شاحباً كالأموات، وحينما استمع كامسا إلى التقرير أصابه جمود.

فقد كان قد استلم أخباراً سيئة طوال ذلك اليوم، فجموع الناس راحت تتعبد للولدين، وتريفاكرا تخلصت من حدبتها بمعجزة وروكمي ابن الملك بشماك أهين أمام جموع العوام والآن هذه المصيبة. فالقوس المقدسة لايستطيع على تحريكها سوى الرماة المحترفين، يرفعها كريشنا ويكسرها إلى قطع. أمعنى ذلك أن الموت قد أصبح قريباً منه؟

سأل كامسا: كيف استطاع كريشنا أن يكسر القوس؟ لقد كانت القوس قوية وصلبة.

أجاب براديوتا باحترام: جميع الخبراء أكدوا أن القوس كانت سليمة وحتى أنت رأيتها يا سيدي.

سأله كامسا: ولم تركت الأولاد يمسكون بها؟

أجاب براديوتا ويداه متشابكتان: وما علي أن أفعل؟ إن قواعد الاحتفال تسمح لاولئك الراغبين في المسابقة أن يتفحصوا القوس.

سأله كامسا: وماذا سنفعل بشأن الاحتفال؟ إذ لن تكون مسابقة رماية بدون قوس.

قال براديوتا: ذلك شيء مؤسف ولكن ماذا نفعل؟ لقد استشرت

www.alkottob.com

الكهنة وأفادوا أن قوساً أخرى يجب صنعها فوراً ويجب أن يمارسوا طقوسهم عليها.

قال كامسا آمراً: اصنع واحدة أخرى فوراً، سنكمل إجراءات الطقوس، إن لم يكن غداً ففي اليوم الذي يليه. وغداً سنخصصه للمصارعة فقط، أخبرني يا براديوتا كيف يبدو أولاد ناندا؟

أجاب براديوتا: الكبير ضخم الجثة قوي البنية فقد دفع حصان الأمير روكمي إلى الخلف بسهولة شديدة، أما الأصغر كريشنا فهو جميل لم أتصوره هكذا ولم أعتقد أن مثل هذا الولد الرقيق يمتلك تلك القوة الهائلة سأل كامسا: وأين هما الآن؟

أجاب براديوتا: إنهما مع ناندا والرعاة في معسكرهم خارج ماثورا

جلس كامسا وبقي ساهماً يفكر ويعبث بشنبه كما هي عادته في تلك الأحوال مثبتاً نظره على الأرض، ثم تكلم قائلاً: هل أعتمد عليك يا براديوتا؟

سأله براديوتا: سيدي هل لديك أي شك في ولائي خلال العشرين سنة الماضية؟ فلو لديك أرجو أن تعفيني من منصبي وسأرحل عن المدينة لم يجب كامسا فقد كان منشغلاً بالتفكير، فحتى لو كان براديوتا يخدعه فإن ذلك لم يكن الوقت المناسب لفقدانه. بعد ذلك رفع رأسه وقال:

براديوتا إني واثق بك ثقة كاملة فقد وقفت إلى جانبي باخلاص ولن أنسى أبداً ما فعلته وتستطيع الذهاب الآن.

وبعد بضع دقائق أضاف كامسا، ولكن لاتنسى أن تنفذ أوامري، يجب ألا يسمح لكريشنا أن يمثل أمامي.

سأله براديوتا: ولكن جميع الناس سيأتون للمصارعة. فكيف أستطيع منعه من أن يحضر مع جماعة ناندا؟

قال كامسا: إنك محق، لن أستطيع ذلك، وسحب نفساً عميقاً،

والآن اذهب وأعلن أن الاحتفالات ستستمر حتى مابعد الغد وسيكون يوم غد مخصصاً للمصارعة وحينما خرج براديوتا، صفق كامسا ودخل أحد أتباعه المخلصين.

سأل كامسا: هل عادت تريفاكرا؟

ـ نعم يامولاي إنها مع الأميرات.

أمره كامسا قائلاً: اطلب من الأمير فريتريغنا أن يأتي فوراً وفي الواقع فإن فريتريغنا كان ينتظر المقابلة لذا دخل فوراً

سأله كامسا: فريتريغنا ها أخبرك براديوتا عن التغيير في أوامر الاحتفالات

ماهي المشاعر العامة؟

قال فريتريغنا: ليست على ما يرام، فهناك هياج في المدينة، لقد بث ابنا ناندا روحاً جديدة في الشعب.

قال كامسا: سأنظر في ذلك، إذ لا أستطيع الإنتظار أكثر من ذلك دع رجالك يقون مستعدين ولا تدع شيئاً للظروف. فسيحضر العديد من زعماء آل يادافا وفي الوقت المناسب سأعطي الإشارة وأرسل في طلب أنجاراكا.

قال أمير ماجاظان: كما تشاء يامولاي، وغادر الغرفة.

أما تريفاكا فقد جنت من الفرح، وفي غرف الأميرات راحت تعبر عن ذلك الفرح، ضحكت وراحت تمزح وتتحدث عن منقذها داكن اللون.

وقد استمعت أميرات ماثورا ووصيفاتهن من الأميرات اللواتي حضرن من أجل الاحتفالات، استمعن لتريفاكرا بمشاعر مختلفة، فملكات كامسا كن خائفات أما الأميرات الغرييات فقد سررن وكن يردن معرفة المزيد عن كريشنا وكانت هناك أميرتان بالتحديد كانتا ذاتي مشاعر مختلفة

www.alkottob.com

ومتعارضة. فزوجة روكمي ابن الملك بشماك لم تستطع السيطرة على مشاعرها إزاء ما حصل لزوجها حينما أمسك به راع ورماه دون أن يعاقب المعتدي. وقال لو أن مثل هذا الشيء قد حصل في بلدهم فإن المعتدي كان سيقطع فوراً أما الأميرة الأخرى التي استمتعت لما قالته ترايفاكرا بحماس سحري أثار اشمئزاز عدد من الأميرات الأخريات وكان اسمها روكميني وهي أخت روكمي وعمرها ستة عشر عاماً والتي كانت برغم عمرها الصغير ذات جمال أخاذ، فقد كانت تعتقد دائماً أن أخاها مستأسد وأنه بحاجة للعقاب. بالاضافة إلى ذلك سحرت بالولد الأصغر ذي ريشة الطاووس في عمامته والذي رمى أخاها كرضيع لاحول له ولاقوة.

وقد أعجبت جداً بجسده كما أن عينيه سحرتاها.

حالما غادرت ترايفاكرا مخادع الأميرات ذاهبة إلى غرفتها في القصر سمعت من يركض خلفها يريد اللحاق بها، ووقفت في الممر المظلم وجاءت روكميني وأمسكت بيديها قائلة.

ترايفاكرا أنقذي ذلك الولد الراعي، الأسمر فسيقتلونه

ـ لن يستطيعوا أن يقتلوه يا أميرتي، إنه إله، ولكن ماالذي جرى لك هل عشقتيه إني أرى ذلك في عينيك

ـ لاتتحدثي. اصغ هل يوجد شرير هنا اسمه كوفالاياييدا؟ إنه سيقتل ذلك الولد غداً، لقد سمعت أميرات يضحكن من الفكرة.

ـ أخبريني أكثر عن حديثهن.

ـ دعيني أعود، إن أخي سيقتلني إذا علم أني أخبرك بذلك، قالت روكميني ذلك وعادت راكضة تاركة ترايفاكرا في قلق.

ولم يكن كوفالاياييدا رجلاً ولكن فيلاً قوياً في القصر. ولكن كيف سيقتل ابن ناندا غداً؟ عليها ألا تدع شيئاً للإحتمالات، فزوجها انجاراكا

والذي تركها بسبب حدتها منذ سنوات كان فيالاً ومسؤولاً عن كوفالاياييدا ولابد أنه يعلم. وللحظات ترددت، فقد هجرها منذ زمن وتزوج انجاراكا زوجتين لذا وجدت أن كبرياءها سيجرح لو ذهبت إليه الآن غير أنها كانت تفعل ذلك لخدمة إلهها وكان انجاراكا فيّال القصر الملكي رجلاً من آل يادافا في ماثورا طويل القامة، وكانت واجباته العناية بالأفيال وتعليمها وتدريبها للإستفادة منها في الحروب أوفي الاحتفالات والمناسبات والعناية بها ورعايتها كان الوقت في حوالي منتصف الليل وانجاراكا الذي تجاوز الخمسين لا بد أنه لايزال صاحياً في فراشه، وكانت إحدى زوجتيه تغسل رجليه والأخرى تداعبه، ولم يكن سعيداً، فقد أمر بفعل شيء كان يكره القيام به وكانت هاتين المرأتين تتحدثان عن شخص مجرد ذكر اسمه كان يجعله يكره نفسه. وود لويستطيع أن يضرب هؤلاء النسوة حتى يصمتن. غير أنه كان لايحب أن يحاط بنساء غير سعيدات. وسمع دقاً على الباب، جلس انجاراكا خائفاً فمن يمكن أن يستدعيه الآن؟ فقد عانى الكثير من سيده ونظرت الزوجة الكبيرة في زوجها وفهمت أنه يطلب منها أن تفتح الباب ودخلت ترايفاكرا منتصبة القامة جميلة، فتح انجاراكا عينيه واسعتين بذهول كما لو أن شبحاً قد دخل البيت وشهقت زوجتاه برعب.

سأل انجاراكا: من أنت؟ ولم يكن قادراً على تصديق ما يرى.

سألته ترايفاكرا: هل نسيتني يا اريابوترا؟ وضحكت بسخرية ضحكة رنت لها الغرفة قالت الزوجة الكبيرة يا أختاه هل شفيت! وشهقت بحسد إزاء طول استقامة ترايفاكرا وجمالها.

قالت ترايفاكرا بسعادة: لقد جعلني إلهي كما أنا عليه، جئت أخبرك يا اريابوترا بالرغم من أننا لا نتحادث مع بعض منذ سنين وسنين.

قال انجاراكا: ما الذي حدث لك يا ترايفاكرا؟ اجلسي وأخبريني كل شيء ونسي فجأة أنه منذ عشرين عاماً شعر بالعار من مجرد أن تذكر في

www.alkottob.com

القصر باعتبارها زوجته. جلست تريفاكرا وهي تبتسم ابتسامة سحرت انجاراكا وطلبت أن تشرب ماء وذهبت الزوجة الصغرى لتجلب لها الماء.

قال انجاراكا الناس يتحدثون عن المعجزات التي يقوم بها ابن ناندا أخبريني عنها،ولم يستطع أن يمنع نفسه من مخالسة النظر إلى المرأة الجميلة التي تحولت إليها زوجته الممسوخة.

قالت الزوجة الكبيرة: كيف يبدو ابن ناندا؟

وجلبت الزوجة الصغرى الماء الذي أخذته تريفاكرا ومن ثم قالت: ابن ناندا إنه ليس ابن ناندا يااريابوتراوسأخبركم بشيء إن بقى سراً، ونظرت إلى زوجتي زوجها.

قال انجاراكا: اذهبن إلى غرفكن.

وخشية من عدم إطاعة زوجهن تركن الغرفة وهن ينظرن بغضب لتريفاكرا راغبات في سماع الحديث.

قال انجاراكا: أخبريني عن ابن ناندا يا تريفاكرا فطوال الأيام الماضية وأنا أسمع عنه ولابد أنك تعرفين الكثير.

ـ إنه ليس ابن ناندا، إنه ابن ديفاكي الثامن وقد جاء لينقذنا من سيدك قالت ذلك بهمس استمع انجاراكا إلى كلماتها ووضّع أذنه على الحائط ليتأكد من أن الحيطان ليست لها آذان.

صرخ انجاراكا: يارب الأرباب.

سألته: لم أنت تعيس يا اريابوترا؟ إن يوماً جديداً سيضيء علينا جميعاً ألست قرفاً من هذا الرق، هذه العبودية لرجل شرير؟

قال انجاراكا: لاتقولي كل ذلك لي فربما يسمعنا أحد.

ـ كم مرة أهنت؟ كم مرة كنت ضحية النزوات؟ إن اليوم الذي تنبأ به الحكيم نارادا قد حل، وهاهو قد جاء.

سألها انجاراكا: هل جاء حقاً؟

ـ انظر إلي جيداً، هل كان بإمكان أحد غير الإله أن يقوّم جسمي؟ وهل كان بإمكان أحد غيره أن يكسر القوس المقدسة؟ وسترى غداً كيف سيذهب الطاغية المستبد ليلحق بأجداده، قالتها تريفاكرا بإيمان ثابت.

قال انجاراكا: لاتعلمين أيتها المرأة كم أنا تعيس.

ـ ما الأمر أخبرني؟ فإني أستطيع أن أجعل ابن ديفاكي يقدم لك المساعدة، إنه طيب جداً معي، قالتها تريفاكي بزهو.

ـ لن يستطيع أحد مساعدتي، لقد انتهيت وسأموت، قالها انجاراكا بيأس.

ـ ما الأمر؟ أخبرني، دعني أقدم لك بعض المساعدات أهو شيء يخص ابن ديفاكي وكوفالاياييدا؟

ـ فتح انجاراكا عينيه واسعتين وسألها: كيف عرفت؟

ـ كن متأكداً أن لاأحد يستطيع أن يقتل ابن ديفاكي

ـ غير أني أمرت بأن أفعل ذلك، قالها انجاراكا وصوته يرتجف

ـ إن من الخطأ إطاعة أوامر الظالم

ـ وماذا أفعل؟

ـ صل لابن ديفاكي واستمع لي

وراح الزوج الذي هجر زوجته عشرين عاماً يستمع إليها بثقة وعرفان وبعد هنيهة عادت تريفاكي إلى غرفتها ثم رجعت ومعها بعض الأعشاب. وبقيت طوال الليل مع انجاراكا مشغولين بعلف كوفالاياييدا الفيل المشاكس في الإصطبلات الملكية.

www.alkottob.com

35 ـ كوفالايابيدا: الفيل الغاضب

كان زعماء آل يادافا كبيرهم وصغيرهم منزعجين لما حدث خلال اليومين الماضيين. فاختفاء باهوكا العجوز زعيم انظاكا والمحترم جداً من قبل قبائل آل يادافا، وإشاعة صدور أوامر من كامسا بوضعهم تحت رحمة أمير ماجاظان، ووصول ولدي ديفاكي إلى ماثورا بعد استدعائهم من قبل كامسا، ومعجزة شفاء تريفاكرا، وكسر القوس المقدسة، كل تلك الأشياء اعتبرت فواجع. وقد علموا أنهم مستهدفون وإن ولدي ديفاكي سيواجهان قدرهما مالم تحدث معجزة، لذا جاء الزعماء عند الفجر إلى مسكن فاسوديفا وكان هناك همس ومناقشات مليئة بالتردد، الشكوك والخوف. وقد اقترح البعض الهجرة الجماعية والآخرون اقترحوا القتال حتى النهاية، وقال اكرورا النبوءة ستتحقق وإن ابن ديفاكي الثامن قد جاء لانقاذهم.

وقال أحد الزعماء الشباب: سيدي الموقر هل أنت متأكد من أن نبوءة نارادا ستتحقق؟

أجاب اكرورا: نعم التقيت بابن ديفاكي وهو المنقذ؟

اجاب أحد المتشككين: ولنفرض أنه ليس المنقذ؟

أجاب اكرورا بإخلاص عميق: إذن فعلينا أن نعتبر أن الإله قد قرر تدميرنا لجبننا، ولكني أعلم أنه لن يفعل ذلك.

ـ أتمنى أن يكون لنا إيمانك

ـ وما الذي تريدون ليكون إيمانكم ثابتاً؟ ها هو قد جاء، وقد أعاد تريفاكرا لطبيعتها وأهان روكمي وكسر القوس المقدسة

حينما كان اكرورا يتحدث دخل رجلان الغرفة ولم يستطع الزعماء الجالسون تمييز القادمين بسبب النور الضعيف في الغرفة.

وكان هناك صخب وتحدث جارجاشاريا قائلاً: أن ابنة الأمير ديفاكا تريد إخباركم بشيء أيها السادة.

نظر الجميع بذهول إليها، حيث كانت ديفاكي من خلال مصيرها المأساوي وشخصيتها المقدسة قد أعطتها مسحة إلهية وكان لوجودها بينهم أثراً في تحريك مشاعرهم.

وقفت ديفاكي تحت المصباح النفطي الذي أضاء وجهها بمسحة الشهداء وتركزت عيناها الحزينتان على الزعماء، وحاولت الكلام ولكن للحظة لم تستطع، بعد ذلك تنحنحت وراحت تتحدث بصوت منخفض قائلة: أيها الكبار الموقرون، أرجو أن تغفروا لي مجيئي للتحدث إليكم ثم توقفت وأنشد اهتمام الموجودين لالتقاط كلماتها، لقد قررت ـ قررت ـ ثم تهدج صوتها، فيما لو قتل ولداي فإني سأحرق نفسي.

كان لكلامها تأثير جارف كما لو أن الأرض قد زلزلت تحت أقدام الزعماء.

وكان اكرورا الوحيد الذي استطاع أن يتمالك نفسه ويتحدث بثقة حيث قال: ديفاكي يا ابنتي النبيلة نحن على استعداد للموت جميعاً قبل أن يمّس ولداك بسوء وانسحبت ديفاكي بهدوء كما دخلت. وتم اتخاذ القرار. وكان كامسا في أشد حالات القلق ينتقل في قصره وفي الشرفة، لقد كان ضعيفاً جداً.

كان عليه أن يذبح آل يادافا جميعاً قبل ذهابه للحروب أو بعد عودته

www.alkottob.com

مباشرة على رأس جيشه المنتصر وكان عليه إرسال من يقتل ولدي فاسوديفا في فرندافان:

كل تلك الأشياء كانت صحيحة، غير أن الوقت لم يفت بعد لاتخاذ قرار بذلك، ولم يكن ممكناً قتل زعماء آل يادافا هذه الليلة، فهناك العديد من الضيوف الملكيين والزوار في المدينة لايسمح بإجراء مذبحة لقبيلته ولم يكن ممكناً أيضاً إجراء شيء لولدي فاسوديفا هذه الليلة، فهما في معسكر القرويين، وإن العديد من الناس قد سمعوا بالمعجزات التي قام بها ابن ناندا وهم يتقاطرون على المعسكر للتبرك بابن ناندا، وإن الإنطباع الذي تولد في ذهن الناس أن كريشنا إله. وإن أية محاولة لقتله ستقود ربما إلى هياج عام يكون على أثره تصدي محاربي ماجاظان رجاله الموالين له.

وراح كامسا يفكر بمخرج من هذه المشكلة، فانجاراكا ضابط يوثق به وربما يجد أن كافالاياييدا الفيل العصبي لا يخطىء هدفه. وقد أعجبته الفكرة حيث سيتخلص من كريشنا دون أن يثير حفيظة أحد، نعم سيتم ذلك، قبل تجمع الحشد، بعد شروق الشمس. وسيطيع انجاراكا أوامره وسينتهي إيمان الحشود بقدوم المنقذ. بعد ذلك يذهب هو ليشهد حفلة المصارعة التي ستقام لامتاع الحشود والذين سينسون إيمانهم بنبوءة نارادا.

انتعش الأمل في قلب كامسا وشعر بالنعاس ونام وكانت أحلامه سعيدة حيث وجد نفسه يسحق الأعداء بفيله وكاد أن يسمع صوت انسحاق عظام كريشنا تحت أقدام الفيل الضخم.

نهض كامسا في الفجر وقام بإعداد الترتيبات مع رجاله المخلصين، وكانت تريفاكرا هناك أيضاً مع صندوقها الفضي، وفتح كامسا عينيه واسعتين ذاهلاً وهو يراها، أهذه حقاً تريفاكرا التي كانت أمامه يوماً بعد يوم لسنوات بحدبتها والتي كانت تسخر من نفسها ومن إعاقتها؟

وهي الآن امرأة جميلة ذات ابتسامة ساحرة وكل ذلك قام بها ابن ناندا.

سألها كامسا: تريفاكرا ما الذي حدث لك؟

ـ سيدي لقد شفيت، وإني الأن على ما يرام، قالت ذلك وهي تضحك بفرح وتنظر بفخر لجسمها وقدمت صندوق العطور ليختار منه ما يشاء داخل الشك قلب كامسا فتسأل مع نفسه، هل ستتحقق نبوءة نارادا؟ وفقد الشجاعة على سؤال تريفاكرا التي تعرضت للمعجزة. أخذ كامسا العطور والدهون ومسح بها جسده بسرعة وصرف الخدم، لقد نفذ صبره ويريد أن يرى كريشنا مسحوقاً حتى الموت تحت أقدام كوفالا ياييدا، لذا فحينما أخذ الناس يتوافدون على القاعة وضع التاج على رأسه وتمنطق بسيفه وقف قرب النافذة ليرقب المدخل حيث سيدخل منه كوفالاياييدا.

مرت اللحظات بطيئة واستجمع كامسا جل صبره ليبقى واقفاً ويراقب عبر الشباك. شاهد الناس وهم يتوافدون. الكهنة، الحكماء كل منهم يجلس في المكان المخصص له. وكان رجال الأمير فريتريغنا قد اتخذوا مواقع لهم في أماكن استراتيجية حول الملعب الذي راح يمتلئ بزعماء آل يادافا، وازدحم المكان المخصص للنساء أيضاً، نساء من مختلف الأشكال مرتديات ملابس ملونة وجميعهن يتطلعن ليرين ابن ناندا.

بعد ذلك قرعت الصنوج ودخل الرياضيون الملكيون يضربون على عضلات أيديهم وأرجلهم يدعون أولئك الراغبين في المصارعة للتقدم إليهم. وكان كامسا فخوراً برياضييه والذين كانوا يقودونهم شانور وموشتيكا، والأول رجل طويل ضخم ذو وجه مرح، والآخر طويل، عضل ذو وجه قبيح.

ودخل كافالاياييدا أخيراً إلى الملعب. يقوده إنجاراكا وهو مرتد طيلساناً مشغولاً بخيوط ذهبية حيث أنه كمسؤول عن الأفيال يجب أن يحضر مثل هذه المناسبات، وكوفالاياييدا فيل ضخم قوي ذو أذنين كبيرتين.

www.alkottob.com

واقترب الفيل بكبرياء ورفع خرطومه وزعق بصوت عال. وقد دهش كامسا فالفيل كان يمشي دائماً بتؤودة غير أنه اليوم يمشي بمرح، وكانت عيناه دائماً غاضبتين غير أنهما اليوم تبدوان مختلفتين، ما سبب هذا التغير يا ترى؟ أم أنه ربما يحلم؟

إلا أنه لايحلم وراح الفيل يحرك خرطومه بجذل وبشكل لم يره سابقاً ونظر الحيوان إلى الحشد بطريقة ودية وبشكل لم يعهد منه سابقاً.

بعد ذلك دخل الفيل إلى الحلبة وراح يلعب، وقد استغرب من كان يعرفه من هذه التصرفات الغريبة. وأوقفه انجاراكا عند المدخل حيث راح يتمايل يميناً ويساراً وكأنه يرقص.

وحينما شاهد كامسا الحشد رأى منظراً غريباً، فقد كان هناك حشد من القرويين قسم منهم مسلح يتبعون شابين حيث راح النساء والرجال يحاولون تقبيل أرجلهما وينثرون تراب أقدامهم على رؤوسهم وفوق أجفانهم لم يعد عنده شك من أن الشابين هما اللذان سمع عنهما. أحدهما كان أسمر اللون يميل لونه للزرقة يرتدي ملابس ذات لون أصفر والآخر أشقر قوي البنية يرتدي اللون الأزرق، وكان الأصغر وسيماً ورقيقاً، وحالما شاهد كامسا ابن ديفاكي الثامن تصاعد حنقه وراح يغلي غضباً، هاهو عدوه الذي سيدمره كوفالاياييد الآن.واقترب الشاب من الفيل وها هي اللحظة الحاسمة، هكذا راح كامسا يفكر، سيهجم الفيل عليهما يرفعهما عالياً ويسحق عظامهما تحت قدميه. غير أن كامسا فتح عينيه دهشة فقد حدث شيء غريب، فحينما اقترب الشابان من كافالاياييدا انزل خرطومه ليفسح لهما الطريق ولكن كريشنا قال له شيئاً: ورفع الفيل خرطومه وراح يزعق - ليس بغضب كما يفعل عادة - ولكن بطريقة لطيفة وخطا كريشنا إلى أحد جانبيه، وحرك الفيل خرطومه إلى ذلك الإتجاه أيضاً، وتحرك كريشنا إلى الجانب الآخر وحرك الفيل خرطومه أيضاً.

وانتبه بعض الحضور لما يجري. وجاء بعض الرجال برماحهم لحماية كريشنا وصرخوا لإخافة الفيل غير أن كريشنا أبعد الرجال المرعويين جانباً، واقترب من الفيل دون خوف وراح يتحدث معه برقة ولطف وبصوت ودي. فهو يعرف كيف يدخل إلى قلوب الحيوانات وكذلك قلوب الرجال والنساء. نظر كافالاياييدا إلى كريشنا وكأنه صديق قديم له وراح يحرك جسمه بطريقة مضحكة وراح يؤدي بعض الحركات التي أضحكت الحشد لم يصدق كامسا عينيه، فقد كان الفيل الضخم يتصرف غير إعتيادية.

والفرح يشع من عينيه وأكثر الأشياء رعباً كانت حين مد خرطومه لكريشنا ليربت عليه بود.

ورغم التحذيرات التي انطلقت من الرجال حوله، تقدم كريشنا للأمام وراح يتحدث بود للفيل كما كان يفعل مع الثيران في فرندافان. ومد الفيل خرطومه ورفع كريشنا وراح الناس يتراكضون في كل اتجاه. وكانت هناك صرخات رعب. واغمي على بعض النساء ثم أخذ الفيل ينزله بهدوء حتى وصل الأرض. وكان الحشد قد جن ابتهاجاً وترددت صرخات، النصر النصر، واستمر كريشنا يربت على الخرطوم بإعجاب، وأما الفيل الذي بقي ينظر إلى كريشنا فيبدو أنه كان يغالب النعاس، لذا راح يستند أولاً إلى رجل واحدة ثم إلى الأخرى، ثم طوى رجليه الضخمتين وبرك على الأرض ومد خرطومه وأغلق عينيه.

وكان الحشد في نشوة وبهجة، وفكر البعض أن كافالاياييدا قد استسلم لكريشنا حيث أنه إله، والبعض الآخر اعتقد بأنه مات، وذلك ما اعتقده كامسا حيث وجد الحيوان يستلقي على الأرض والجمهور متجمع عند المدخل وراح كامسا يستند إلى الجدار خشية أن يغمى عليه.

www.alkottob.com

36 ـ شانور البطل

بجهد بالغ تمالك كامسا نفسه، وكان ولدا ديفاكي قد دخلا الآن إلى الملعب، وكل منهما يرتدي ملابس زاهية، يحيط بهما حشد من المعجبين وهم يصيحون فرحين، النصر لابن ناندا.

واستطاع بسهولة أن يميز الأصغر من بين الأخوين، الأسمر ذو اللون الداكن الذي يتبع الأكبر. إذن فهذا هو الشاب الذي سيدمره! وزحفت عليه موجة من السخط، إذن فهو القائد الذي لايقهر سيموت ميتة شنيعة على يدي هذا الشاب! وصر على أسنانه بقوة. وصرخ لا! سيتحدى الآلهة التي كتبت له هذه النهاية. وسيقاتل لآخر رمق. ولو اضطر فسيخنق ابن ديفاكي بيديه المجردتين.

وصفق كامسا. ودخل أحد التابعين حيث أمره أن يستدعي إنما مستشاره السري. وكان إنما ذا وجه غير مميز، رجلاً عجوزاً ذا ابتسامة خنوعة، ووجه مليء بالتجاعيد.

ـ إنما، لقد دخل ابن ناندا إلى الملعب، ما الذي حصل لكوفالاياييدا؟

ـ يقولون أنه قتل الفيل يا سيدي، والبعض يقول أنه دجنّه بلسمة وقد أرسلت رجلاً ليستطلع الأمر من انجاراكا.

ـ ليس هناك وقت للتفكير بانجاراكا، فقد أعلنت الطبول عن وصول أبطال المصارعة وخلال لحظات على أن أذهب إلى الملعب مع ضيوفي.

ـ كما تشاء يا مولاي، قال آغا ووقف بانتظار الأوامر.

ـ قبل أن تبدأ المصارعة أرسل من يخبر شانور أن عليه أن يقتل ابن ناندا.

ـ وكيف يقدر يا مولاي؟ وتكاثفت التجاعيد في وجهه، لايستطيع شانور أن يتحدى ولدا فان ذلك مخالف للنظم.

سمع كامسا وقع خطوات قادمة لضيوفه الملكيين والذين كانوا سيرافقونه إلى المقصورة الملكية، فضرب رجله في غضب ونفاذ صبر وقال: لا أهتم كيف سيفعل ذلك هذه هي أوامري وعليهم تنفيذها وإلا.... ونظر كامسا بتهديد للعجوز.

وحينما وصل الضيوف الملكيون سيطر كامسا على نفسه وصرف آغا بإشارة من يده ثم استدار ليرحب بالقادمين الجدد.

وكانت الساحة الرباعية محاطة بمباني القصر. ومن جانب واحد للساحة الرباعية وعلى أرض مرتفعة قليلاً تمت إقامة المقصورة الملكية لكامسا وضيوفه وزعماء مختلف القبائل وكبار الضباط. وعلى الجوانب الأخرى كانت هناك مقصورات لمختلف الفئات: الكهنة، أفراد مختلفون من آل يادافا، الحرفيون القرويون والعامة.

وفي وسط الساحة تمت إقامة حلبة مغطاة برمل ناعم وخصصت للمصارعة وكان هناك رجال كثيرون ونساء بملابسهن الملونة وجئن للمشاهدة، غير أن المثير في الحشد هو تجمع الناس حول ابني ناندا اللذين كانا في مقدمة الحشد ومعهما ناندا.

صدحت الموسيقى عند وصول كامسا وضيوفه إلى المقصورة الملكية، وساد فجأة صمت عميق ولم تطلق صيحات للترحيب به، نظر كامسا حوله بابتسامة اغتصبها اغتصاباً وجلس. وجلس ضيوفه على يمينه، وجلس إلى يساره فاسوديفا واكرورا اللذان كانا محاطين بزعماء آل يادافا

www.alkottob.com

وجلس براديوتا خلف كامسا، وجلس إلى جوراه وخلف فاسوديفا الأمير فريتريغنا وبعض من ضباطه من ماجاظان.

ولم يكن أحد من الجالسين في المقصورة الملكية من لم يفهم المشكلة عدا بعض الضيوف. وفي حلبة المصارعة وأمام المقصورة وقف شانور، موشيكا وتوشالا، ثلاثة أساتذة في المصارعة، وحيوا سيدهم بشبك أيديهم وعلى جنبي كل منهم وعلى بعد خطوات خلفهم وقف إثنا عشر تلميذاً قاموا بنفخ الأبواق لإعلان أن احتفالات اليوم قد بدأت، وخلف المصارعين وطلبتهم تم تصنيف المصارعين وكان عددهم حوالي مائتي مصارع.

وكان الذين في الحلبة يرتدون ملابس ضيقة ويتشحون بمآزر، فموشيكا وتوشالا كانا يتشحان بمآزر فضية اللون باعتبارهما أبطالاً ملكيين وشانور كان يرتدي مئزراً ذهبي اللون لأنه كان ينتمي لمكتب رئيس المصارعين.

والأسلحة التي كانوا سيستعملونها هي، العصي، الهراوات، الحراب المناجل، السيوف، الرماح، القضبان الشائكة، الفؤوس، الأقراص والأقواس.

وهذه الأسلحة توزع حسب درجات المصارعين. وكانت الفأس من الأسلحة المفضلة لدى باراشور أما أعظم من يتقن فن القتال، ولم يكن يستعملها إلا الأقويا، والقرص يحتاج دقة في التصويب والتركيز ولم تكن سلاحاً مضموناً، أما السهم والقوس فإنهما يتطلبان تدريباً طويلاً كي يستخدمان في الحرب، وبجانب كل ذلك فإن تلك الأسلحة يمكن أن تسقط بسهولة من يدي المحارب تاركة إياه لا يملك سوى يديه ورجليه أدوات للقتال.

وكان المصارعون محترمين جداً في المجتمع وقام القصر الملكي بإنشاء

مدارس كبيرة للرياضيين ولم يكن هناك ملك يريد المحافظة على حياته في المعارك من لم يعتن بالرياضة البدنية، ولم يكن هناك احتفال ليقام دون حفلات للمصارعة والتي تثير اهتمام العامة. والمصارعة خارج إطار المعارك كانت تتم لأغراض الترفيه حيث يعتبر المصارع خاسراً إن استطاع خصمه طرحه أرضاً وإبقاءه على الأرض لفترة طويلة. ولا يسمح للخاسر أن يتحدى ثانية. وفوق كل ذلك فإن القواعد تمنع المنتصر أن يقتل الخاسر.

قرعت الطبول ونفخت الأبواق بإشارة من شانور، وقام مائة مصارع بنزع مآزرهم وأصبحوا جاهزين للنزال وبإشارة أخرى من يده بدأت المصارعة وسرعان ما توتر الجو وابتدأ الاحتفال. وتشابك المصارعون بالأيدي في محاولة من كل منهم لمعرفة توازن خصمه وجس نبض قوته، وراح كل منهم يستعرض مهاراته ويستخدم الحيل التي تعلموها أثناء التمارين وأصبح الجمهور متشوقاً ومستمتعاً وراح المصارعون ينقلبون على الأرض ويلتحم بعضهم ببعض ثم ينفصلون ويعودون للصراع.

لم يمض وقت طويل حتى انفصل الفائزون عن أولئك الذين أعلنت خسارتهم ووقف الفائزون في جانب والخاسرون في الجانب الآخر، وقام شانور وموشيكا وتوشالا بالتمشي في الحلبة، يتبعهم الطلبة الذين بقوا ينفخون الأبواق، بفخر واعتزاز.

وكان شانور رجلاً ثقيل الوزن جداً برأس محلوق، وكانت عضلاته قوية بارزة بضخامتها، وكان ساعده ورجلاه ضخمتين جداً. وراح شانور يتمشى حول سور الحلبة يدعو المشاهدين للمشاركة في العرض التالي الذي خصص للضيوف الخاصين.

وحينما وصل إلى المقصورة التي كان يجلس فيها الرعاة من فرندافان

www.alkottob.com

توقف وضحك بصوت عال وبود نحو كريشنا وبالارما اللذين كانا جالسين في المقدمة يرتديان ملابس أنيقة والتي أخذاها من دكان صباغ الأقمشة.

سأل شانورا ناندا قائلاً: يا سيد ناندا هل هذان هما ولداك؟ إنهما يبدوان كأميرين لم لا يشاركان في المصارعة؟

أجاب ناندا: لا لن يشاركا، إنهما لم يتصارعا من قبل مثلك فأنت محترف ثم إننا مجرد ريفيين.

وحيث توقف شانور تطاولت جميع الأعناق لتشهد الذي يجري وما سيحدث وكان الناس الذين أعجبوا بولدي ناندا يريدونهما أن يستعرضا مهاراتهما. من ناحية أخرى أحس زعماء آل يادافا الذين كانوا يحرسونهما بالخطر وفي الشرفة خلف مقصورة القرويين كانت نساء آل يادافا واقفات يتفرجن ومن بينهن كانت ديفاكي التي شحب لونها حالما شاهدت شانور يتحدث. لولديها. وقد أغلقت عينيها للحظة. وراحت تدمدم، يا إلهي، يا حبيبي يا كريشنا، ثم فتحت عينيها وركزت بصرها على مكان يجري تحت. سألها شانور: لم تصغيان لوالدكما العجوز، لقد سمعت أن كليكما خبير بالمصارعة وأن الناس يتحدثون الكثير من معجزاتكما، قالها شانور بسخرية لم يجب كريشنا وبالارما.

أضاف شانور، تعالا إلى الحلبة وبينا قوتكما، قالها وضرب رجله بقوة وأطلق أحد تلامذته بوقاً طويلاً. وقد جعلت ضربة شانور والبوق الذي أطلق قلوب جميع آل يادافا تخفق بسرعة. وكان كامسا الوحيد الذي يعرف ما الذي يجري وارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتيه وراحت يده تعبث بشنبه.

لم يتحمل بالارما سخرية المصارع وسلوكه ونظر إلى ناندا طالباً موافقته غير أن العجوز كانت منتبهاً، سأله شانور: لم تنظر إلى والدك بفزع؟ وكان صوته مرتفعاً بما يكفي لإسماع الجميع، سأل شانور كريشنا: بسخرية ألست مصارعاً؟

سأله كريشنا بنفس طريقته في السخرية: معك أنت؟ إني لا أزال صغيراً جداً.

وكان قبول التحدي يعتبر دائماً مسألة شرف غير أن كريشنا خمن دوافع شانور ولم يكن مهيأ لقبول التحدي ما لم يجبر عليه.

قال شانور تعال يا ابن ناندا: إن العجوز يعلمك بعض الحيل التي لن تنساها. ثم ضرب على ذراعه بطريقة تحد، وهز كريشنا رأسه:

وتقدم شانور من كريشنا ليسحبه إلى الحلبة، صرخ اكرورا لا... لا. وقام من على كرسيه في المقصورة الملكية قائلاً: إن شانور يجب ألا يصارع ولداً.

وراح زعماء آل يادافا يكون، وبقي فاسوديفا ينظر صامتاً وقلبه يتنازعه الخوف والأمل. فالجميع كان يعرف حيل شانور القاتلة، وحينما يبدأ بها لايتجاوز القواعد المسموح بها غير أنه من المعروف أنه لا يترك خصمه إلا ويكسر بعضاً من أضلاعه بسبب ضخامة جسمه.

وراحت نساء آل يادافا يصرخن بهلع قائلات، لا... لا.. أما القرويين فقد راحوا يرددون النصر لإبن ناندا! وقد اعتقدوا أن لديهم سبباً وجيهاً لذلك لمجرد تحدي شانور لكريشنا نظر كريشنا دون خوف في عيني شانور ثم هز رأسه وهو يبتسم.

ضحك شانور وقال: هل أنت خائف أن تتصارع معي يا صديقي؟

نظر اكرورا إلى كامسا ورأى السرور على محياه، فقد كان راضياً عن الطريقة التي يتصرف بها شانور.

قال اكرورا: يا سيد انظاكا إن هذا غير عادل إنه ضد التعليمات، ولكن كامسا لم يرد وجاء صوت آل يادافا ثانية، لا، لا، لا

وأجابهم شانور ساخراً: ها، ها، خائف؟

www.alkottob.com

أجابه كريشنا فوراً: لقد منعني أبي

قال شانور: ذلك طبيعي فهو يعرفك لا تحسن إلا الرقص مع الحلابات أليس كذلك؟

أجابه كريشنا: نعم أستطيع أن أرقص جيداً.

ونهض ثم شابك يديه أمام ناندا قائلاً وصوته مسموع: يا والدي لا تحجب موافقتك عني وخلع عمامته ووشاحة وإزاره وسلمهما إلى صديقه أودافا ووقف مرتدياً السير الجلدي كإله الحب جاهزاً للمصارعة. وقال شانور إني جاهز.

وراح الجمهور يصرخ، النصر النصر.

37 ـ النبوءة تتحقق

كان غضب بالارما سريعاً، فقد كان سيستجيب للتحدي بطريقته حينما أقدم عليه شانور، ولكن الأمر حينما يصبح معرفة التوقيت المناسب فإنه ينتظر قيادة أخيه الأصغر ولا يأخذ المبادرة ما لم يحصل على الموافقة وحينما قبل كريشنا تحدي شانور، تقدم موشيكا الرياضي الطويل القامة وهو ينفخ عضلاته نحو بالارما قائلاً:

ـ وأنت لِمَ تَتَرَدَّدّ؟ هل أنت فتاة أيضاً؟

والتهبت عينا بالارما بغضب، فقد كان يعتقد أن قبول كريشنا المصارعة مع شانور كان كافياً له ولم ينتظر أن يخلع عمامته أو مئزره أو وشاحه، نهض واقفاً وضرب المصارع بقبضة يده اليمنى ضربة في وجهه وراح المصارع يتمايل محاولاً المحافظة على توازنه وخلال لحظة قفز بالارما إلى الحلبة حيث استعاد موشيكا توازنه وقفز مثل النمر والتحم الإثنان في صراع وحشي وراحا يتدحرجان على الأرض.

وراح الجمهور يتابع الإثنين بأنفاس متقطعة والكثير منهم نهض واقفاً في ترقب وإثارة وكلما هزم موشيكا تتردد صرخات جيد جيد من آلاف الحناجر ودخل كريشنا الحلبة وراح ينظر ببرود إلى أيدي الرجل الضخمتين وعينيه الواسعتين المستديرتين. وحينما حاول شانور أن يمسك به راح كريشنا يتراجع إلى الخلف قليلاً قليلاً حتى المقصورة الملكية. وراقب كريشنا جسم المصارع وخطواته. وكان شبيهاً بالأفعوان الجائع. غير أن كريشنا أدرك أن

www.alkottob.com

تلك حيلة من حيله، وكان رصيد المصارع يكمن في وزنه الثقيل وعضلاته القوية القادرة على السحق، غير أن كريشنا أدرك أن تلك يمكن أن تتحول لصالحه هو، ولاحظ أيضاً أن ساقه اليسرى أضعف من الأخرى وكانت بالكاد تطأ الأرض وخطوة قاد كريشنا شانور إلى أمام المقصورة الملكية وحاول شانور أن يمسك بيده ليعصره غير أنه كان يفلت منه.

والآن أصبحا أمام كامسا، غير أن حركات كريشنا ونجاحه في الإفلات من قبضة شانور جعلت الأخير عصبياً، وراح يتنفس ببعض الصعوبة وانزعج كذلك حين اكتشف أن كريشنا الذي كان يظنه مبتدئاً قد أبدى مهارة وخفة في الحركة. وقفز بسرعة محاولاً أن يحتضن كريشنا غير أن الأخير استطاع الإفلات ودار حوله وضربه ضربة قوية برجله على رجل شانور اليسرى وكان كريشنا محقاً في اعتقاده إذ أنها كانت أضعف من الأخرى، وفقد المصارع توازنه وكاد أن يسقط على الأرض لولا قوة ذراعيه. وترددت أصوات ضحكات عالية ونهض على قدميه ثانية وهو يدرك أنه تعرض للسخرية وفقد أعصابه، من ناحية أخرى فإن خصمه كان منتظراً إياه وهو ثابت هادئ كما هوعهده دائماً.

ووقف الخصمان يحدق كل منهما بالآخر حتى شد انتباههما صوت الجماهير وهي تصيح النصر النصر وتقافز الصبية فرحين والآباء يراقبون بشوق فقد استطاع بالارما أن يرمي موشيكا أرضاً حيث شجت جمجمته وبقي على الأرض والدم ينزف من أنفه.

وأصبح شانور متوحشاً أما كريشنا فقد بقي هادئاً، واقتربا كل من الآخر، وتشابكت أيديهما استتبع ذلك صراع عنيف، وحاول كل منهما أن يمارس حيلة لخداع الآخر وكان لشانور ميزة ثقل الوزن والممارسة الطويلة غير أن كريشنا كان خبيراً بالتعامل مع جميع الحيل الممكنة من خلال المصارعة في

غابات فرندافان، لذا كان يعلم كيف يتعامل مع أية حركة يأتيها الطرف الآخر. فإذا كان لذلك الطرف ذراعان طويلان فقد كان هو عنده جسم ممشوق وسرعة بديهة، وكان شانور غاضباً بينما خصمه هادئ وأدرك شانور أن أنفاسه متقطعة بينما لم يبد على كريشنا التعب، لذا قرر استخدام قبضته، التي لم تكن تخطئ وتلك يستعملها حينما يواجه موقفاً مشكوكاً به. فهو يستعمل ذراعاه القويتان للإمساك بخصمه ورميه بسرعة على الأرض والجلوس فوقه بكل قوة وكسر ضلوعه أو إفقاده الوعي بسبب ضخامة الوزن لذا تنطلي الحيلة ويبدو الموت وكأنه حادث ليس مقصوداً.

لذا وبمحاولة من شانور لممارسة هذه الحيلة حمل بقوة كريشنا وترنح كريشنا وكان على وشك أن يسقط على الأرض، ولكنه تمالك واستجمع قوة ذراعه واستطاع لوي يد الخصم وسقط الإثنان على الأرض، ولم يستطع شانور أن يسقط فوق كريشنا كما كان متوقعاً.

وأرهق شانور فقد فشلت حيلته المفضلة وكان متقطع الأنفاس، وقد جعل من نفسه مسخرة. وتصاعدت رغبته الدموية في القتل حينما شاهد كريشنا ينسل من قبضته وتذكر أوامر سيده وشاهد رقبة كريشنا، وكان كريشنا متوقعاً هذه الحركة وقبل أن تصبح رقبته بين يدي المصارع ابتعد عنه قائلاً: إني أتحداك يا شانور. وراح شانور يتخبط في الهواء ونهض من على الأرض بمساعدة يديه، ونظر نحو كريشنا بعينين دمويتين وتقدم نحوه وراح كريشنا يتحرك من جهة لأخرى للأمام والخلف، وكان يمس ذراعي خصمه ويقفز بعيداً. وأنهك شانور تماماً ولم يعد قادراً على النزل وصار بصره يخدعه. وقبل أن يدرك شانور قفز كريشنا عليه بقوة النمر وأسقطه أرضاً وسقط المصارع مثل شجرة كبيرة أصابتها الصاعقة وواصل كريشنا الإمساك بخصمه وجلس على صدره وهو يقول له، أعلن استسلامك وأنقذ نفسك.

وكان الجواب الوحيد هو حركة مفاجئة في محاولة لرميه وإبعاده عنه

www.alkottob.com

غير أنه ظل ممسكاً برأس المصارع مثبتاً إياها على الأرض وباءت محاولات المصارع لإلقاء كريشنا بعيداً عنه بالفشل، وحاول شانور أن يقوم بمحاولة أخرى فقد حاول الإمساك برقبة كريشنا، وشاهده كريشنا يحاول ذلك وقرر ألا يرحمه وترك رأسه فجأة وضربه ضربة قوية على أنفه وعلى عينيه وفمه وأذنيه.

وتهشم أنف شانور وتحطمت أسنانه وفقد بصره وراح الدم يسيل من أنفه وفمه وسقط المصارع مغشياً عليه ووجهه عبارة عن قطعة من الدماء.

وتصاعدت الصرخات القوية من المدرجات تحييه بحماس، وتراكض آل يادافا في مقاعدهم للإحتفاء بكريشنا.

وتتابعت الأحداث بسرعة وألقى كريشنا بنظره نحو كامسا، ووجد أنه سرعان ما سقط شانور فاقداً الوعي سرعان ما أصبح الأمير هائجاً كالوحش حيث نهض من على كرسيه والسيف بيده وترك المقصورة الملكية واكرورا يحاول منعه. وفي تلك اللحظة شاهد محاربين ملكيين من ماجاظان يرفعون السيف على والده فاسوديفا والذي قام من على كرسيه سوية مع اكرورا ولكن وقبل أن تمسه السيوف الأجنبية قام الجنرال براديوتا بضرب الحرس، ونهض الضيوف الملكيون كل في مكانه وأسلحتهم بأيديهم للدفاع عنه عند الضرورة وفي اللحظة التالية سمع كريشنا صخباً آتياً من المقصورة الملكية حيث زعماء آل يادافا يمكن رؤيتهم وهم مجردين أسلحتهم وكان زعماء ماجاظان قد سقطوا بينهم.

حصل كل ذلك في وقت واحد تقريباً وعرف كريشنا معنى ذلك تماماً، ونهض عن المصارع الميت وتقدم إلى حيث منع اكرورا كامسا من التقدم. وحاول اكرورا أن يمنع كامسا من المضي قائلاً: لا... لا، وهو يصرخ.

وشاهد كريشنا تصميم القتل في عيني كامسا بعد أن دفع زعيم آل فرشني وأسقطه أرضاً. وبعد أن أسقط كامسا اكرورا أرضاً استدار نحو

كريشنا وعند ذاك سقط تاجه على الأرض من على رأسه وكان شعره الطويل يسهل الإمساك به، وقفز كريشنا وراءه وأمسكه من شعره وسحبه إلى الأرض وشعر كامسا بالدوار فسقط السيف من يده. وعلم أنه أسقط أرضاً من قبل عدوه وفي لحظة تذكر النبوءة التي كان يتهرب منها، وشاهد عدوه منتصراً كالإله، وشعر أن الخوف من الإله الذي دائماً ما أنكره قد دخل قلبه. في تلك الأثناء أحس بالارما بالخطر الذي يتهدد فاسوديفا فاختطف قضيباً شائكاً من أحد محاربي ماجاظان وهرع لنجدة آل يادافا الذين كانوا يقاتلون لحماية والده. واختلط الحابل بالنابل، فقد كان هناك أناس غير مسلحين يهربون ونساء يصرخن، وأسلحة تقعقع وكان آل يادافا مشتبكين مع محاربي ماجاظان، ووجد كريشنا أن هناك وسيلة وحيدة لإيقاف هذه المجزرة (لقد آن الأوان).

والتقط سيف كامسا الملقى عند قدميه، والذي كان يتلامع، وحزّ به رأس كامسا الذي تدحرج بعيداً على الأرض. والتقط المحارة الذهبية التي كان يعلقها كامسا على كتفيه ونفخ فيها نفخة قوية. وذهل الناس ثم أدركوا ما الذي حصل وشاهدوا ابن فاسوديفا يقف والسيف في يده فوق جسد الطاغية ينفخ بوق النصر. وبفرح غامر تقدموا نحوه ليحيوه ورمى كريشنا السيف جانباً وتوجه حيث فاسوديفا يحرسه بالارما بهراوته وتقدم من أبيه وجثا على ركبتيه أمامه.

وهو يقول له امنحني بركاتك يا والدي.

وبفرح غامر رفع ابنه واحتضنه وراح ينتحب بصوت عال ورأسه على كتف ابنه الذي انتظره طويلاً.

وهكذا تحققت النبوءة.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com